

تفسير

سُورَةُ الْقِيَمَةِ

من

نظامِ عمر القزويني

في بيان الفرق بين الفرق

للمعلم عبد الحميد الهندی

طبع في مطبعه دار الفقه في سنة ١٣٠٢ هـ

سُورَةُ الْيَقِيَةِ

فهرس مطالب الفصول التي في تفسير هذه السورة

صفحة

- (١) عمود السورة وربطها بما قبلها (٢٢)
- (٢) اسلوب السورة (٣)
- (٣) كثرة الردع من دلائل الخط (٤)
- (٤) اسلوب احتجاج السورة مجردا عن قواعب البلاغة (٥)
- (٥) في قوله تعالى "لا اقسم" لمنفصلة (٦)
- (٦) معنى المعاذير والفارقة (٦)
- (٦) بيان المقسم عليه ووجه القسم بالقيمة (٧)
- (٨) بيان وجه القسم باللوامثة (٨)
- (٩) جمع القسمين وقبح حسب ربطا بعدهما (٩)
- (١٠) وجه الجمع بين القيمة واللوامثة (١٠)
- (١١) بيان تحسيف القمر وجمع الشمس والقمر (١١)
- (١٢) تفسير قوله تعالى "لا تحرك به لسانك لتعجل به" (١٢)
- (١٣) زيادة التوضيح لنظم الكلام (١٣)
- (١٤) في حفظ القرآن وانه اجمع في عهد النبي وروحى من اسد وان الامام (١٤)
- موافقون بنا في كل ذلك
- (١٥) معنى قوله تعالى "وجه يومئذ ناضرة" الى قوله تعالى "فاقره" (١٥)
- (١٦) الاشارة من محي "يقفل" مجولا (١٦)
- (١٦) الوقف على قوله تعالى "التراتي" وحذف الياء (١٦)
- (١٨) تاويل قوله تعالى "من راق" (١٨)
- (١٩) تاويل قوله تعالى "والفت الساق بالساق" (١٩)
- (٢٠) زيادة التوضيح لنظم الكلام (٢٠)
- (٢١) موقع الصلوة في الدين (٢١)
- (٢٢) ربط السورة بالتي بعدها (٢١)

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَحْسَبُ
الْإِنْسَانَ أَنْ تُجْزَمَ عِظَامُهُ (٣) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ
بَنَانَهُ (٤) بَلَى يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) لَيْسَ لِيَأْيَانَ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ (٦) فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْعَةُ (١٠) كَلَّا لَا تَزِرُ (١١)
إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا
قَدَّمَ وَآخَرَ (١٣) بَلَى الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ
مَعَاذِيرَهُ (١٥) لَا تَحْزَنْكَ بِهِ لِسَانُكَ لَنُجِلَّ بِهِ (١٦) إِنْ عَلَيْنَا
جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ (١٧) فَإِذَا قُرْآنُهُ فَاتَبَعَ قُرْآنُهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا
بَيَانَهُ (١٩) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١)
وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ بِاسِرَّةٍ (٢٤) تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) كَلَّا إِذَا

بَلَغْتَ التَّرَاقِي (٢٧) وَقِيلَ مَنْ يَنْتَرَاكِ (٢٨) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٩)
 وَالتَّفَتُّ الْمَسَاقُ بِالْمَسَاقِ (٣٠) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣١)
 فَلَا صَدَقَ وَلَا صُلِيَ (٣٢) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٣٣) ثُمَّ ذَهَبَ
 إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (٣٤) أَوَّلَى لَكَ فَأُولَى (٣٥) ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأُولَى (٣٦)
 أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٧) أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّنْ
 مَّنِيٍّ يُمْنَى (٣٨) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٩) فَجَعَلَ مِنْهُ
 الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٤٠) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ
 يُجِئَ مِنَ الْمُؤْنَى (٤١)

نظام القرآن تأييد الفرق بالفرقا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) اعلم ان عمود هذه السورة ابطال ظن المنكرين بالقيمة والجزاء وكان منشأ انكارهم حسب
 هذه العاجلة الغانية فان حب الشيء يبعد عن استماع ذكر خلافه ثم استكبارهم عن الطاعة وتقوى الله
 لما غرهم الممهم والمهم كما ذكر الله تعالى هذا الامرين بقوله "كلابل شهبون العاجلة وتذرون الآخرة"

وبقوله "فلا صدق ولا صلي ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى ايه تيمطى" وهذا تصوير من استغنى
 بابه وما له . تشبثوا في الكارهم بشبه عامه ذكرها القرآن بحكاية اقوالهم مرارا مثلاً " اذ اننا
 عظاما مخزءة " او تهيمات سهيات لما توعدون " فاجابهم الله حسب حالهم بما يزيل عنهم الشبهة
 ويؤفكهم عن الغفلة . فجمع في السورة من الزواجر والدلائل ما فيه بللغ مبين . ولما كانت السورة
 السابقة قد صرحت بحالهم من الاستكبار والانكار وذكرتهم بهويل شديد قلل في هذه السورة
 من ذلك التصريح وخالبهم بالدلائل فكما ان الصنائع ينفخ في الحديد او لا فيجعله نارا ثم يطرق
 عليه فكذا ربا يفعل بالكلام اذا صادف قوما اخيما مستكبرا . فذه السورة مع لوائح الغضب
 في اسلوبها ليست بصراحة السورة السابقة . كقوله تعالى فيها " ذرني ومن خلقت وحيدا
 وجعلت له مالا حمو وداو بنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلاً انه كان لا يتنا غيدا
 سار بهقه صعودا . انه فكر وقدر . فقتل كيف قدر . ثم عسى وبسر . ثم ادبر واستكبر فقال
 ان هذا الاسحر يوثر . ان هذا الا قول البشر . ساصليه سفر . وما ادرى ما سقر لا تبقى ولا تذر
 الى قوله تعالى " فلما لم عن التذكرة معرضين كانهم حم مستنفرة . فت من قسورة " فترى
 فرقا واضحا بين هذا التصريح وما تجد في سورة نحن فيها الآن .

(٢) ومع ذلك تجد في اسلوب السورة بقايا لغضب لما ترى فيها من ذكر عتو الانسان و
 اجتراره . ولما ترى فيها من التقرير والتخضع في جوابها وخطابها ولما ترى كثرة الروع و
 الاستغنام في آياتها . فالسورة من جهة الاسلوب غير منقطعة بل متصلة بالسابقة كما بيناه
 في الفصل الاول . الا ترى قول الانسان " ايان يوم القيمة " على غاية العتو والاجترار
 فانه بعد اتمام الحجته لا يستطيع الانكار بها ولكن لمحض غياها ولما امله الله رحمة يقول مستهزا
 مستكبرا مستعجلا " ايان ذلك اليوم " فاستحي التقرير والتخضع في الجواب فما اخبر عن
 وقتها ولكنه صور له حاله في ذلك اليوم وعلى هذا الاسلوب ما جاز مرارا في القرآن فمنه قوله
 تعالى " يسئلون ايان يوم الدين " يوم هم على النار يفتنون " ذو قوا فتنتكم هذا الذي كنتم به

تسجلون؟" (الذاريات) فكذا اقول تعالى "فاذا برق البصر وحسف القمر وجمع الشمس والقمر" يقول الانسان يومئذ اين المفر؟ جواب يلحق بانكارهم اى انه اليوم مستعبد مستجمل مستكبر ويقول اياان يوم القيمة ولكنه حين راى ذلك اليوم يقول "اين المفر؟" ومثل ذلك تصوير حاله فى قوله تعالى "ووجه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة" الى قوله تعالى "وانتفت الساق بالساق" ومثل سؤاله استكبارا اعراضه عن الحق كما قال تعالى "فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى" ثم ذهب الى امله تيمنى "فاتبع هذا بقوله" اولى لك فاولى ثم اولى لك "مطابقا لحاله على سبيل الحسرة كما قال تعالى "يا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول الا كانوا يستهزؤن" فان كلمة اولى تستعمل للحسرة كما ان "ويلا" للمقت والزجر قالت الخنساء

هممت بنفسى كل الموم
فاولى لنفسى اولى لسا

وانما التفت من الغيبة الى الخطاب لتكون اشد فلو قال اولى له فاولى لم يبلغ هذا المبلغ وانما جرى الكلام الى آخر السورة على الاستفهام لمثل ذلك السبب فالسورة من اولها الى اخرها ردع وتوبيخ.

(٣) لازى الحاجة الى تفصيل مواقع الردع والاستفهام فى هذه السورة ولكن نشير الى امرهم وذلك ان الخطاب اذا كان على سبيل اسخط ترى فيه كثرة لفصل كان المتكلم يفت عن القول ويكظم غيظ ثم ياخذ فى اسلوب آخر ويختم الكلام بكلمة الردع كما ترى الالتفات كثيرا فى كلامهم بمثل قول الشاعر ع فدع ذا دسل المم عنك بحسرة و لك ان تقاس هذه السورة بسورة العلق والكاثر والهمزة فانهم متشابهات فى هذا الاسلوب كتبتهم فى انهم اسخط ولكن تفهم هذا الاسلوب ومواقع الردع والسؤال نوردها عليك بطريق موجز "ايحسب الانسان ان لا نشرو لاجز ايل من ان فجور يقول اياان ذلك فاذا جاء لامفر كلالا لمجاله والى الله المستقر بل الانسان مع البصيرة يعامى. كلا بل يحب الدنيا ويترك الآخرة كلا،

ما غنائه الدنيا عنه اذا بلغت التراقي وسبق الى ربه. فترى كثرة الالتفات والقطع الظاهر ولكن الكلام جار على معنى متصل وما ذلك الا لظهار السخط وشناعة احوالهم ومن الالتفات آية "لا تحرك به لسانك لتعجل به" الى كلمة بيانه "وسترد على تفسيرها-

(٣٤) قد علمت ما قدمناه ان السورة بنيت على الزجر والتخفيف ولذلك يخفى وجه الاحتياج على غير الممارس ببلاغة العرب فانه ينظر في الكلام من جهة الاخبار والاستدلال فارادنا ان نكشف عن وجه الحجة بتجديد الكلام عن بوارقه فحتمله الابصار الضعيفة ايضا. فنقول ان وجه الكلام تحت قناع البلاغة هكذا. "كذب الانسان بالقيمة. وتولى عن الذكر وحسب انه تترك سدى ولا يجزى. وقد اُنذِر بها فيسأل مستهزء ايان يوم القيمة فيعلم انه لن تترك سدى بل انه يحى ثم يجزى. نفع عظامه ونسوى بانه. وانما هو في سكرة العمى فيفتح بصره عند الواقعة فيقر بها اذا اشهدت عليه بنفسها، بل قد شهدت نفسه اللوامته فهو بصيرة على نفسه ولكن محبة هذه العاجلة اذهبت عن الآخرة فينبغي ان تترك لها كي يفهم. الا يذكر الموت وفراق هذه العاجلة الزاهية والرجوع الى ربه فيصدق ويصلي ام لا يذكر خلقته فيؤمن بان المبدع قادر على احيائه مرة اخرى". ولكن اين هذا من النظم البليغ الباهر والذي يتدبر القرآن يرى تحت قوارعه حجة الدامغة كما قال تعالى "تقشع منه جلود الذين نخشون ربهم ثم تملين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله" وسينكشف لك وجه الحجة بعد النظر في مجموعها وفهم تاويلها، والآن نلطف الى اجزاء السورة وشرح كلماتها بحول الله تعالى وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب.

(٥) في قوله تعالى "لا اقسم" لا منفصلة اى باطل ما يحسب الانسان. والقول بزيادة لا تخيف جدا وبانها متصلة سيثم لضعف المعنى وتصريح القرآن بخلافه حيث جاء "فلا اقسم بمواقع النجوم وان القسم لو تعلمون عظيم" (انظر تفسير هذه الآية)

والانفصال لا قبل القسم كالانفصال كلا قبله كما قال تعالى "كلا والقر" وتكرارهما كتكرارها
كما قال "كلا، سوف تعلمون ثم كلا، سوف تعلمون" وهذا لاسلوب شائع في كلامهم اذا
ارادوا شدة الانكار لظن سابق لان في تقديم لادلالة على ان الكلام جواب ورد
لما قبل من قبل وعلى ان الانكار به لا يحتمل كمثل فان القسم عادة الابتداء وانما قدمت
عليه كلمة الانكار لشدة الاعتناء به والقسم على الاكثر تأكيد الاثبات فاذا كان الانكار
ينبغي ان يصدر الكلام بالنفي ولذا لك قالوا "لادائته" وان قيل "والله لا" كان
ضعيفا - فعلى هذا جاز قوله تعالى "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا
في انفسهم حرجا مما قضيت" ومنه قول النابغة الذبياني هـ

فلا لعمر الذي مسحت كعبته وما هريق على الانصاب من جسد
والمومن العائذات الطير تمسحها ركبان مكة بين الغنيل والسعد
ما قلت من سئى ما اتيته به اذا فلا رفعت سوطى الى يدى

وايضا قوله هـ

فلا عمر الذي اثنى عليه وما رفع الحجيح من الالال
لما اغضت شكرك فانتفضي وكيف دمن عطاك جل مالى

وقول امرئ القيس هـ

فلا دايك ابنة العامرى لا يدعى القوم انى افر
وفي هذا الشواهد من القرآن وكلام العرب كان القسم على الانكار للمحض فحجى بذكر ما
يتعلق به الانكار واما اذا كان القسم على اثبات وانكار معا كما وقع بهنا اتبع بكلام
يناسب هذا الموضع فبما يذكر في الجواب الاثبات والانكار معا كما قال تعالى
"فلا أقسم بالتبصرون ولا تبصرون - انه لقول رسول كريم (هذا ذكر الاثبات)
وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون (هذا ذكر الانكار)

تنزيل من رب العالمين“ اعادة الاثبات كما ثنى الامكار - وربما يحدف كلاهما ديوتى بما يدل على المقسم عليه او يعتمد على ظهوره من موقع الكلام كما ترى فى قوله تعالى ”ص والقرآن ذى الذكربل الذين كفروا فى عزة وشقاق“ فذلك ههنا ايضا لم يصرح كل تصريح بالمقسم عليه لما دل عليه ما يتلوه ولما يفهم من نفس المقسم به ولما يفهم من الروع والتوبيخ كما مر بك ذكره فى لفصل الرابع ولما مهد له فى السورة السابقة كما بيناه فى لفصل الاول (٦١) اما باقى الفاظ السورة فمعروف ولكن ربما يسأل عن كلمتين معاذير وقارقة - اما المعاذير فاسم جمع للعدرة واصلها معاذرة فى امثالهم المعاذير مكاذب“ ثم زيدت الياء كما ترى فى المناكير وهذا المعنى اقرب الى ظاهر الموقع مما قالوا انه جمع معذار للمستر بلفظة اليمين وينضح لك هذا من تفسير الآية - واما القارقة فهى من اسماء الداهية كما هنا تكسر فقرات نهضة وبهذا القارعة واسماء الداهية تستعمل للقيمة - انها لكبرى بها -

٥١ القسم بالقيمة من التائب الشديد كانه قال سوف تعلمون ذلك اليوم فاخرج الكلام مخرج التهويل ومثل ذلك فى قوله تعالى ”واليوم الموعود“ ويدل لك على موقع سخطه قوله تعالى بعده ”قتل صحب الاخذود“ وهذا السلوب ابلغ فى خطاب المستعجلين كما قال ”اذ وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة“ فلهذا الاقسام من شهاد الشئ بنفسه على نفسه لشدة الظهور ثم هذا السلوب انفع لهم لى تعلموا الصبر ويعتقوا المهلة ولذلك كثر فى القرآن الامر بما لهم والاعراض عنهم فان امراض النفس كادوا يحسم تعاجل باضدادها كما ترى فى قوله تعالى ”سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذى المعارج“ تعرج الملكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا“ فلم يجب للسائل بل امر النبى بالصبر - وربما تبع التهويل بحجة كما ترى فى قوله تعالى ”ثم تسمى تيسلون“ - عن النبأ العظيم - الذى هم فيه مختلفون - كلا سيعلون ثم كلا سيعلون“ (فهذا تهويل وزجر وتنبيه ثم اتبع ذلك بالحجة فقال) ”الم نخلل الارض

مبادا" الى قوله "الفاقا" احتججا بآيات الدالة على القيمة. (انظر تفسير تلك السورة) فذلك في هذه السورة بعد القسم بالقيمة على سبيل التحويل اشهد بدليل هو من اقرب الدالة ولنذكره الآن -

(٨) فاعلم ان القسم بالنفس اللوامة اشهاد النفس على النفس بالبداهة فان النفس تعلم علم اليقين بانها تحت ذمة وعليها حاكم يحاسبها والاما ذلوم نفسها على بعض ما فعلت وفي ذلك دلالة ظاهرة على الحساب والجزاء وعلى ان فيها من فطرتها وانزع وراوع لا يزال ينضمها وينيرها حتى تصير مطمئنة ومنقادة فتدخل في حزب الله راضية مرضية فمع هذا الحس البديهي الذي سماه الله تعالى بصيرة بقوله "بل الانسان على نفسه بصيرة" كيف يشك في يوم الجزاء الا انه ينكر بان الله قادر على احيائه وهذا اثم كبير مع انه حق شديد وذلك الظن السيئ الباطل حمله على اثم الكبر منه وهو فجوره وسوء ادبه بين يدي خالقه فيسأل مستهزا ببيدي ما استمكن في نفسه من مرض الشك متباهيا به -

(٩) وكما جمع في الاشهاد بين القيمة والنفس اللوامة فذلك جمع فيما بعد بين صفة القيمة وصفة النفس اللوامة اي البصيرة واكد على ثبوت البصيرة بان الانسان مع تشبهه بالمعاذير وتسكينه اللوامة بها لا يستطيع ان يسكتها فانها لا تزال تلومه الا بتصير عمياء صماء باران على قلبه حينئذ يصدق عليه "ختم الله على قلوبهم" وعن هذه الجهة الصمم العمى امر الله النبي بالصمغ والاعراض كما قال "فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم" فمنا ايضا امره بالاعراض عنهم كما ستعلم في تفسير قوله "لا تحرك به لسانك لتعجل به"

(١٠) ان في الجمع بين القيمة والنفس اللوامة ايضا دلالة على نسبة بينهما عند من تدبر فاعلم ان القيمة لوامة النفس الكلية فان العالم شخص واحد لمجاري احواله

على مواقفة بعضها ببعض وكما ان في كل انسان لوامته على افعاله السابقة فكذا لك
للعالم نفس لوامته على ما جرى فيه كان فيه قوة اصلاحه ولولا ذلك لفسد ولذا لك
ترى الكون بعد الفساد والرجوع بعد الحيادة عن اسبيل حكم مرة كادت الاجرام
تتصادم او تخرج عن النظام ثم كانت صارفا اعاذها على الصراط وهذا بحث طويل
الذيل واهل العلم لا يرتابون في ان في العالم مصليا ومرمما وفي توالي الليل والنهار
والحر بعد القرد والمطر بعد القحط آيات على ذلك وهكذا في جته الاخلاق بروفجر وقسط
وجور وعلم وجهالة وعمارة وخراب وسجد بعض البسط في سورة الاعلى - وجلة القوة
بهنا ان القيمة لوامته النفس الكلية فترها ما فعلت وقوله تعالى "ينبؤ الانسان يومئذ
باقدم واخر" عبارة عنه كما ان اللوامته مثال قيمة فيك فتركيب حقيقة اعمالك و
قوله تعالى "بل الانسان على نفسه بصيرة" عبارة عنه - وهكذا اكل بني نفس لوامته
لقومه وخاتم الانبياء تسعة بعثته هو النفس اللوامته بجميع بني آدم وهو مثل القيمة
ودينوته العالم وبسط الكلام في كتاب ملكوت الله وتجدر طرافته في تفسير سورة الصف
(١١) قد مر يك بعض تفسير قوله تعالى "فاذا برق البصر" الى قوله تعالى "ولو اتقى
معاذيرة" وقد بينا دج الكلام في الفصل الثالث فالآن نتوجه الى مضمون هذه الكلمات
فاعلم ان الله تعالى صور بهذه الآيات هياة القيمة حين تتجلى لهم فيبرق بصرهم و
شدة الفزع توفظهم عن قدة الغفلات - اما كيف نخسف القمر ام كيف يجمع بالشمس
فقد بينا في كتاب المنشابهات ان امور القيمة ليست من الاحوال الجارية فتطابق
عليها الاعلى سبيل العبرة فان الخوض فيها لا يزيد شيئا في التخويف الذي هو المطلوب
الا قدم من ذكرها بل خفاء الكيفته اعظم تهويلا من بعض الوجوه لمن اليقين بها - واما
المنكردون الشاكون فيكفي لنا في جوابهم ان نقرب احوالها الى فهمهم بما علوا من مجاري نظرهم
غير مقرين بانها هي بل انها غير مستبعدة عما صح عندهم فيقال لهم - انكم لا تشكون

فی ان حرارة الاجسام تنقص آناً فاناً اذا كان باحوالها ابرد منها وكذلك زعمتم ان
الاجسام تدرجت من الحرارة الشديدة والهوائية الى اسيلان ثم البرودة والجمود
وقد حققتم ان كثيرا من الاجرام انجذب الى الشمس وألقى فيها فان صح عندكم
هذه الامور فيوشك ان يجذب القمر وكذلك ارضنا اليها والشمس يومئذ قليلة الحرارة
فتدود الانسان في ويرق البصر بنورها ونخيف القمر ولا يذهاب نوره لقرب الارض
من الشمس كما روى عن قتادة وعن الحسن وخسف القمر ذهاب نوره ثم يقع
فيها وهو المعنى الاصلي للخسف كما جاء في غير مرة في القرآن مثلاً في قصة قارون
"فخسفناه وبداره الارض" وذلك لخروجه عن مداره وهذا يقع عند اقتراب الساتر
فان الآن كما ترى صنع الله تعالى اتقن كل شئ فتجربى الاجرام في افلاكها حتى
تتم امرها وتكمل مصالحتها قال تعالى "واية لهم ايل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون
والشمس تجري لمستقر لما ذلك تقدير العزيز العليم - والقمر قدرناه منازل حتى
عاد كالعرجون القديم - لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا ايل سابق النهار
كل في فلك يسبحون" اى لنا آية على انتهار هذا النظام في ذهاب النهار
جريان الشمس حسب مستقرها من الله تعالى وتقديره وكذلك في قلب القمر الذي
نمو ثم ينزل ومع تقاربها بعد التباعد لا تقدر الشمس ان تدرك القمر ولا الارض
ان تفر من الشمس فلا يدرك نهار الشمس ليل الارض بل كل من الاجرام يسبحون
في مدارهم ففى ذلك تذكرة لمن علم بتصرف البدن في خلقه على فنار العالم وان الى الله
الرجعى - فاذا رمى بالقمر في الشمس وخسف به وقدرأوا دنو الشمس خافوا ان
تلقى هذه الارض فيها وفزعوا ولا مفزع فقالوا اين المفزع هذا والآن ترجع الى من
ما بعد هذه الآيات بحول تعالى -

(١٣) ان في اول النبوة كان نزول الوحى موجزاً ونذر القلة استعداد بهم و

تفهمهم ومن الحكمة الرفق والتلطف فكانوا يهلون ويصنع عنهم ريثما يهدوا جواهرهم
 ويسكن جاشهم والنبى عليه السلام ربما يضيق صدره اذا فتر الوحي لمجوم الخ صمته
 عليه وكان نزول القرآن له تسكيناً وتثبيتاً فكان حاله بين الخصام والقرآن كحال
 الشجر الممطور في حرا المواجه وفتح الحزور وزد على ذلك حرصه الشديد على ايمان
 الناس وتكميل الشريعة وقد قالوا "ولانزل عليه القرآن جملة واحدة" فلهذه الوجوه
 التي اشرنا اليها كان النبى عليه الصلوة يتشوق عند ما يوحى اليه حتى ان كان يقرؤه بلسانه
 لكى يعيه ولا ينسى فيتلقي وراء ذلك ليكون به اسديدا واكثر ددا في البطل
 الباطل واثبات الحق وقد اظهر الله تعالى عليه مصاح الملهمة والتدريج في الامور
 الالهية في كثير من الآيات كما قال "ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يلقى اليك
 وحيه وقل رب زدنى علما ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزاء"
 فبين ان الانسان قليل العزم فلا يحتمل جملة الشريعة اذا حملها دفعة واحدة
 فلا تعجل بان يلقى اليك القرآن بتمامه بل خذها اعطيت منها واعلم ان لما بقية
 من تخفيف او تكميل واستزد علما من ربك فبين مصلحة التدرج مجلا من جهة
 ضعف الانسان واما قوله "لا تتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه فاذا
 قرناه فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه كلابل تجون العاجلة وتذرون الآخرة" فقد
 بين فيه مصلحة التدرج من جهة استعداد الانسان للتربية فان الله تعالى
 اودعه بصيرة وتميزا وشوقا الى العلوف فيسموا اليه حالافا ولا ولكن تنازع زخارف
 الدنيا وشهوات العاجلة وهذا حب العاجل ايضا مودع فيه كما قال تعالى
 "خلق الانسان من عجل" وقال "ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا
 مسه الخير منوعا الا المصلين" وهذا لكى يتبليه ويخلص النصارى من الحبث نفى الانسان
 حب العاجل وشوق المعالى كلاهما مفسوران وبذلك اجتهاده ومنه الترتيبية

لينو بذر الفطرة بقوة المودعة فيه من قبل ذاته ولذلك منع الاكراه في الدين -
 فبعد ما بين الله تعالى ان في الانسان لوامته وعلم الدين وبصيرة علم النبي كيف
 يرسم فقال لا ينبغي لك ان تعجل بالقرآن فان التدرج امر مقضى عندنا وعليه
 يجري امر الترتيب والمرابي الحق هو الله تعالى كما قال " انك لا تهدي من حبيب
 ولكن الله يهدي من يشاء " ومثلها آيات كثيرة - فليكن ان تتلو عليهم ما يوحى اليك -
 وسلي النبي بان علينا جمع القرآن بعد هذا النزول المتفرق ثم قراءته حسب
 نظامه ثم بيانه باضافة الآيات البنية (وبسطنا الكلام في كتاب تاريخ القرآن)
 ثم بين ان عدم انتفاعهم بهذا القرآن ليس من جهة مكنته وتدرج بل انه لو التذير
 ولكنهم يحبون العاجلة ويزرون الآخرة فهم عبید المحسوسات وعمون عن غيب
 عمدا وقرءان الانسان على نفسه بصيرة ولكنه يعمى ويتغافل كفرافان الله
 تعالى هداه لسبيل ونصب له الدليل ويريه آياته ويذكره باياته وقدين
 في اول القرآن انه انما يهتدى به من آمن بالغيب ولم يحمد على المحسوس العاجل
 فلا تعجل بان تلقى عليهم النصائح جملة بل تذكرهم وتصفح عنهم فينتفع به من
 صلح له - ولا تحرص على تلقى القرآن جملة مجموعا مرتبا - ويقرب من هذا ما بين الله
 من حالهم حيث قال " فلما لم عن التذكرة معرضين كانهم منكم مستغفرون
 من قسوره بل يريد كل امرئ منهم ان يوتى صحفا منشرة " فاجاب الله بقوله
 " كلا بل لا يخافون الآخرة كلا انه تذكرة فمن شاء ذكره " فوضح ان دأبهم
 الذبول عن الآخرة - وهذا دليل ظاهر ان تمسكت بنظام الآيات ومثل
 ذلك جاء قوله تعالى " سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى
 وفيسرک ليسرى فذكر ان نفعه الذي سذكوم من نخشة وتجنهها الاشقى الذي
 يصل النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى

بل توثرون الحيوۃ الدنيا والآخرة خير والبقی قال والمتس المطابقة بين
 هذين الکلامين ونظامهما - وبمثل ذلك جار في سورة الدهر - فاشهد الانسان
 على نفسه بما يعلم بالبداهة من انه لم يكن ثم جعله الرب سميعا وبصيرا واره
 سبيل الخير والشر وجعله مختارا اما شاكر ا واما كفور - ثم صور حال كلا الفريقين
 فبعد بيان ان الهداية من الله والانسان مختار ومجزي اخبر الله النبي تسكينه
 انك لست في شئ من الذمة نحن نزلنا القرآن ولربك الحكم فاصبره ولا تطع
 لما يطلب منك ذلك الكفور الذي لم يفتع بسمعه وبصره - فهذا هو الامر بالصبر
 والرجوع الى الصلوة كما جار في مواضع كثيرة وسنذكر بعضه في تفسير
 سورة الدهر - ثم بين ان مرضهم محبة هذا العاجلة والاعراض عن الآخرة ثم صرح
 بانك برى الذمة وانه تعالى هدى سبيل ونزل عليك تذكرة فمن شار
 انخذ الى رب سبيلا - وتفصيل هذا التأويل في تلك السورة فانظر هناك ثم
 التمس المطابقة بين هذه الآيات والآيات التي كنا في تفسيرها -

(١٣) قد اشكل هذا الالتفات على المفسرين لما خفي عليهم رباط الكلام حتى
 ان الفقهاء زعم انه ما يقال للكفار يوم القيمة والباقون لم يبعدوا عن بعض
 فحواه ولكنهم جعلوه كلاما مستانفا غير مربوط بمضمون السورة وظنوا ان النبي
 اعتراه العجل فكله جبريل ناهيا عن العجل - نعم ان نزول القرآن كنز وول
 ينظر تبيانا وابتعاثا لكي يطابق بالحال وقد وقع عند القارئ هذا الكلام ان النبي
 كان عاجلا تلقى الوحى حرصا عليه لشدة حرصه على انذار قومه كما قد ذكرته في
 اول (١١) ولكن كان هذا دابة وكثر في القرآن تسلية بامثال هذه الكلمات
 ولما كان هذا الشوق لوجه كثيرة جارت التسلية على وجه كما ذكرته آنفا
 وظنوا ان الجملة المذكورة في هذه السورة كانت من خوفه الضياع والنقصان

على القرآن فنقول نعم - بهذا الامر ولكن فيه غورا يستدعى تفصيلا فاعلم ان النبي عليه السلام بعد ما اوحى اليه كان يحسب ان حلا باهضا قد اتقى عليه فان نسي منه شيئا كان مسئولا عنه ومع ذلك انه كان يشاق الى زيادة الوحي لعل قومه ينتفع بنجارت التسلية حسب هذين الامرين مع رعاية وجه الكلام في هذه السورة فكانت قيل له - "لم تهتد بهذا في تلقى الوحي اما حفظه وجمعه فعيلنا واما هدايته قومك فهم منهكون في محبة العاجلة فكثير القول وقيلده سوار عليهم" وقد اراهم الحق ثم بين الفرق بين المهتدين والضالين - فهذا كلام اجمل فيه ما فصل في سورة الاحقلى وسورة الداهر وفصل فيه ما ترك مجلا في تلك السورتين والآن نبينه بعون الله تعالى فانه من مهمات المسائل -

(١٢) فاعلم ان الله تعالى وعد حفظ القرآن في كثير من الآيات اجمالا وتفصيلا فقال تعالى "كتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه" اى انه مصون عن الزيادة - وقال تعالى "انا نحن نزلنا الذكره وانا نحن نحفظون" وهذا قول في غاية الصراحة بنفى النقصان والتغير مع الدلالة على نفي الزيادة فان كل ذلك يخالف حفظ الكلام وهذا امر ظاهر وما شتر من ان الامامية يقولون بذهاب بعض القرآن فخلافت تصریح علماء ثم كالسيد المرتضى وشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسى وآبى على الطبرسى صاحب مجمع البيان ومحمد بن على بن بابويه القمى الذى قال "اعتقادنا ان القرآن الذى انزله الله على بنيه هو ما بين الدفتين وما في ايدى الناس ليس باكثر من ذلك ومن نسب اليه انا نقول انه اكثر من ذلك فهو كاذب" واما رواياتهم فقال سيد المرتضى "ان من خالف في ذلك من الامامية والحنوية لا يعتد بخلافهم فان الخلاف في ذلك مضاف الى قوم من اصحاب الحديث

نقلوا اخبار اضعيفة لم يوافقوها لا يرجع بثبوتها عن المعلوم المقطوع على صحته
ولسيد المرتضى دلائل اخر تركناها فاننا بسطنا الكلام في كتابنا تاريخ
القرآن وانما نذكر ههنا ما يختص بهذه السورة فلا ينبغي عليك ان قوله تعالى
”ان علينا جمعه وقرآنه“ فاذا قرأناه فاتبع قرآنه“ ثم ان علينا بيانه“
اكتوى ثلثة امور الاول ان القرآن يجمع في عهد النبي و يقر عليه بنسق
واحد فانه لو اخرج هذا الوعد بعد عهد النبي لم يامر به باتباعه والثاني ان النبي
ما مور بالقرأة حسب هذا القراءة الثانية التي تكون بعد الجمع - وليس للنبي
ان يلقي عليه شئ من الوحي ولا يبلغه الامه عقلا ولما امره الله تعالى في قوله
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالتك
امرا عاما - فلا بد ان علم النبي الامه قراءة الاخيرة التي عليه القرآن
في اللوح المحفوظ فان العرضة الاخيرة لا بد ان تكون مطابقة بالاصل -
والثالث ان بعد هذا الجمع والترتيب بين ما اشار الله بيانه من التعميم
والتخصيص والتكليل والتخفيف - وقد دقت هذه الامور الثلاث فان النبي
كان يقر عليهم سورة القرآن كاملة وهذا لا يكون الا بعد ان قرأ عليه
بنسق خاص فاخذوها منه ويا مرهم بوضع الآيات مجملها اللائق بها ثم بعد
ذلك اذا انزلت عليه آيات مبينة - ضمها بالقرآن فترى هذه المبينات
ربما وضعت بحجب ما تبينه وحينما في آخر السورة ان كانت متعلقة بعمودها
وترى في اكثر هذه الآيات تصرحا بانها بيان من الله تعالى كقوله عز من قائل
”كذلك يبين الله آياته للناس“ ثم عرض عليه جبريل الامين عرضة
اخيرة بعد تمام القرآن كما جاء في الخبر الصحيح المتفق عليه - وهذا يزيل اكثر
معضلات النظام ولعظم شأنه بناه في كتابنا تاريخ القرآن واشهرت

الى هذه المسئلة في ديباجة الكتاب - فليكن هذا القدر سهنا -

(١٥) في قوله تعالى "وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة" تصوير حالتى المصدقين والمكذبين والمقابلة بينهما فوجوه باسمة سرور لما ينتظرون من رحمة الله ووجوه كاحية لما يخافون عذابه كما قال في سورة عبس "وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قفرة" وكما بين امرين للمكذبين من السور وسؤالظن فكذلك بين للمصدقين امرين نظرة الوجوه والاستبشار بثواب الله والثاني كالسبب الاول فان السرور والحزن يظهران في لون الوجه كما قال متمم بن نويرة ع

ولوعة حزن يترك الوجه اسفعا

وهذا كثير فانظر في الآيات للانتظار كما جاء في القرآن "قال سنظر اصدقت ام كنت من الكاذبين" وايضا "وانى مرسله اليهم بهدية فنظرة بهم يرجع المرسلون" ولا يخفى عليك ان الاستدلال على روية الله تعالى بقوله تعالى "الى ربها ناظرة" والجواب بان الى واحد الاركلاهما من الوهم والجل بغة العرب وشؤون الكلام فان الآلاء ليست بمعنى النعم كما بيناه في كتاب مفردات القرآن ثم مع الايمان بالتنزيه مانا وللخوض في ذات الله ليس ذلك من علامات ذهاب الدين فاحذر كعنه - وتجد قوله موجزا في تفسير قوله تعالى "ولن ترانى" وقوله تعالى "لا يدركه الابصار" -

(١٦) في قوله تعالى "تظن ان يفعل بها فاقرة" حجي يُفَعَّلُ بصيغة المجهول يشير الى ان العذاب انما يخاف من جهة الفسنا كما ان النعم تنتظر من الله وصرح بذلك في قوله "ما اصابكم من مصيبة فيها كسبت ايديكم ويعفو عن كثير"

و على هذا السلوب قوله "غير المغضوب عليهم ولا الضالين" فلم ينسب الغضب الى نفسه كما نسب الانعام في قوله "انعمت عليهم" وهذا التقني على رحمة العاقبة ولكن اذا اراد عموم عدله ونفاذ سنته نسب كل ما يقع الى ذاته المقدسة والاصل في ذلك ان العبود محبوب عند كل عابد الامن كان في منزل درجات الانسانية فلا يرجون منه الا احسنى ويدعون به باسماء تدل على الرحمة وشرح ذلك في تفسير "بسم الله الرحمن الرحيم" واذا قابلت هذه الآية بالتي سبقتها في صفة المؤمنين بدالك ان المؤمنين منتظرون قربته من الله والمؤمن قد يسوا من رضوانه وعلما بانهم مبعدون كما قال تعالى "كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون"

(١٤) في قوله تعالى "بلغت التراقي" الضمير للنفس كما جاز في سورة الواقعة فلو لا اذا بلغت المخلوقم" وانما لم يذكرها لعلمهم بها وتعودهم بهذا الحذف كما قال الحاتم الطائي

اما دى ما يغنى الزرار عن الفقه

اذا حشر جبت يوما وضاق بها الصد

وهذا الحذف من مثلما جاز في القرآن "ما ترك على ظهرها من دابة" في الآية امر آخر من جهة القراءة وذلك انه لا خلاف بين العلماء في ان النبي عليه السلام كان يقف على آخر الايات اى يقطعها فان الفواصل انما جازت تشابهة لام صوتي، وصل المعنى وفصله امر آخر كما ترى في الاشعار والاسجاع وقد علمنا من كلام العرب انهم ربما يحذفون الياء من آخر الكلمة لا سيما الساكنة كما ترى في قوله تعالى "لکم دینکم ولی دین" واصله ديني وذلك كثير في القرآن في الفواصل وجاز في غير المقاطع ايضا في اشعار العرب قالت الخنساء

وتعذرت ائق البلاد فبا وسئل لما ح
تذرى السواني على السوا م واجديت سبل المساح
فحذفت الياء من آخر السواني وبهرني حالة انصب مثل التراقي وقالت ايضا
فيا عين كبي لامرى طار ذكره له تنكي عين الراكضات السواح
حذفت ياء تنكي وانشد سيهويه في كتابه ه

فطرت بمنصلي في عجمارت ودامى الايدي نجطن السرجا
فحذفت الياء من آخر الايدي - واذ قد شاع في كلامهم حذف الياء الساكنة والياء في
التراقي على تقدير الوقت ساكنة فلا يجدان تحذف الياء ثم تسكن الطاف كما رأيت
في مثل "ولي دين" - "فبشر عباد" بل لما يذوقوا عذاب

(١٨) "قل من راق" حكاية عن شدة الامر حين لا يلتفت الى الذي قال -
كان هذا القول بنفسه اول عن ذكر القائل وكان كلهم شريك في هذا القول
فالجول ههنا ابلغ - ومن قبل نكرة تحيى شدة الطلب او عند غلبة اليأس قال طرفه ه
اذا القوم قالوا من فتي قلت انني عفيت فلم اكسل ولم ابتدد وقالت اختار
يعطى الجزيل ولا يعطى الخليل ولا يعطى السبيل اذا ما قيل من هاد

في هيتين سوال عند شدة الحاجة ولكن في الثاني طرفا من اليأس وربما ينتهي
اليأس الى الانكار كما هو العادة في الاستفهام في جميع الاسئلة المشهورة
ومنه قوله تعالى "من الله غير الله يا تكلم بضياء" والاستفهام للانكار شائع ولكن
اروت الاستشهاد على عجي النكرة بعد من وكشف معناها في هذا التركيب الخاص
فان الآية محتملة لوجين ولكن المال واحد الاول انه اذا جارت سكرة الموت
وحشرت النفس وقالت العواد اضطر ابا كما ان الفرق يثبت بالحشيش
الاراق فيداويه - والثاني انهم قالوا قد حم الامر وانقطع العمر فاتي راق

يشفيه وهذا الشدة يا سهم حنيئة ايضاً المحقر انهم اسلموه وودعوه و علم انه الفراق
والعرب قد نطقت بهذا المعنى قالت الخمسار

لكن سهام المنايا من يصيب
لم يشفه طب ذي طب لاراق
وقال حدي بن زيد

او تكن وجهة فذلك سبيل
الناس لا تمنع الخوف الرواق
فوضعت المعينين بين يديك فخذ يا بها شئت ولا حرج اذا كان المال واحدا وما
انا فارسي الوجه الثاني احسن لقربه من نظام الكلام كما علمت وستعلم
(١٩) معنى "واتفت الساق بالساق" ان لا يقدر المرء على المشي ويكون هذا
من شدة الضعف فانه اذا مات تبين ان قد اتفت ساقاه بعد ان كان جالسا
كما قال دريد بن الصمة

فان يك عبداً لله خلى مكانه
فما كان وقفاً ولا طائش اليد
كيش الازار خارج نصف ساقه
صبور على الضراء طالع نجد
وتصوير الضعف بالتفات الساق امر ظاهر وجاء في كتب الانبياء فمعنى الكلام
انه بعد ما ليس منه الطبيب وودعه القريب وغاب الخوارج اعضائه فكيف يكون
ماله وهو مسوق الى ربه قليل الازر كثير الازر والساق بمعنى شدة الامر قول
من لا يعرف من علم اللسان غير همه فلا يميز بين دلالة المجموع ودلالة الأجزاء
الكشف عن الساق انما يدل لمجموعه على الجدة والتشهير والكشف هو الكشف والساق
هي الساق - وهم الرواة فيماردوا عن ابن عباس انه آخر ايام الدنيا
اول يوم من ايام الآخرة فانه لو صح فهو بيان الواقعة وليس بتفسير للساق
(٢٠) بعد ما علمت المراه من التفات الساق بالساق تبين لك حسن
موقع "الساق" فانه يخرجك عن شناعة غفلته عن التهيؤ لذلك الساق و

قد أتى انما في الدنيا الى ماترى من انقطاع سعيه ويس ساقه فكيف يكون
سيره الى ربّه وهذا الكلام يهيك الى ما يكلوه كاشفا عن عدمه وسوء فقره
فانه لو عمل صالحا وكان صدق وصلّى لرفع بها مكانا له مثل جناحين قال الله
تعالى "اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه" وهذا التاويل الذي
هو ظاهر بنفسه ايضا مناسبا لما جاء بعد ذلك من قوله "ثم ذهب الى اهل
يتميم" فهذا يقابل حاله حين ذهب عنه التمطي وصار يلقي على نفسه طفوفا
في كفه. وقد ذكر بأسلوب المطابقة حالة سوق الانسان الى ربّه وسيره
في سفره الذي يشق الانفس في سورة الانشقاق فانظر هناك تجد كشف
هذا التاويل.

(٢١) لا ترى الحاجة الى شرح ما بقى من الآيات فاني ارجو انك الآن
على طريق جدّد. غير اننا نشير الى اهمية الصلوة اشارة وبسطنا الكلام عليه في
كتاب اصول الشرائع فاعلم ان الصلوة والزكاة اول الشريعة وبها
يتحقق الايمان وفي القرآن آيات كثيرة تدل على ذلك وهكذا قال المسيح
عليه السلام مصرحاً حين سئل عن اول الشرائع. ومن قال ان مجرد الايمان
يكفي فبئس ما فهم من الايمان. ابن الايمان المجرد عن العمل انظر تفسير قوله تعالى
"يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين، ولم نك نطعم
المسكين، وكنا نخوض مع الخافقين، وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين"
فما تفهم شفاة الشافعين" تجد هناك ما يكشف عن رفيع منزلة الصلوة و
كذلك انظر تفسير قوله تعالى "ومن يمش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا
فهو قرين" وقوله تعالى "اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا"
وآيات اخر. فقد اتبع ترك الصلوة بالنهي والتكذيب والحرام من الشناعة

وہم لنا اللہ تعالیٰ ان الصلوۃ نشق الاعلیٰ المؤمن حقاً حیث قال "وانما
 کبیرۃ الاعلیٰ الخاشعین الذین یظنون انہم لبقورہم و انہم الیہ راجعون"
 ہذا و تجدد بعض البسط فی تفسیر سورۃ الفاتحۃ والبقرة وغیرہما۔

(۲۲) قد علمت ربط ہذہ السورۃ بالتی قبلہا فی لفصل الاول و علمت
 ان الکلام یجرى من غایۃ الشدۃ و التصریح الی حد وسط و بین الدلیل
 و یرفع اشبہہ مع بقیۃ التوبیخ و الزجر و لکن السورتین تتخاطبان المنکرین
 ثم فی سورۃ الدھر تری الالتفات الی المؤمنین کان الخطیب
 قد فرغ من الکافرین فاعرض عنہم۔ مع ان عمود ہذہ السورۃ الثلاث
 واحد فوجہ الکلام فیہن من الشدۃ الی اللین و من الزجر و النہر
 الی الاعراض و الامہال لکی یتفکر و یرجعوا الی انفسہن۔ ہذا و یتضح
 کل نظام ہذہ السورۃ بعضہا ببعض کل الاتصاف بعد ما رايت تفسیر کلہن۔
 ذلک واللہ تعالیٰ اعلم و علمہ احکم۔

تفسير
سورة

من
نظام القرآن

تأويل الفرقان بالفرقان

تأليف

المعلم عبد الحميد الفراهي

طبع في مطبعة معارف عظم گڑھ

الهند

تفسير

سورة الذاريات (٥١)

فهرس مطالب القصول

- ١ (١) في عمود السورة واتصافها بما قبلها ونظمها اجمالاً .
- ٢ (٢) تفسير الكلم وتاويل الجمل في آيات (١ - ١٢) .
- ٤ (٣) بيان وجه الاستشهاد بالرياح والسماء على الذنونة .
- ٩ (٤) نظم هذه الآيات بعضها ببعض وبما بعدها .
- ١٠ (٥) تفسير الكلم وتاويل الجمل في آيات (١٥ - ١٩) .
- ١١ (٦) بيان نظم هذه الآيات ودلالاتها وتوقعها بما قبلها وبما بعدها .
- ١٢ (٧) تفسير الكلم وتاويل الجمل في آيات (٢٠ - ٢٣) .
- ١٣ (٨) بيان وجه الاستدلال بهذه الآيات على وقوع الذنونة .
- ١٥ (٩) بيان الاستدلال بالنطق على المعاد وفيه بيان سبب اختيار النطق من جهات

ثلاث :-

- ١٦ " الوجه الاول
- " " الوجه الثاني
- " " الوجه الثالث
- " " وجه الاستدلال بالنطق
- ١٤ " الوجه الاول
- " " الوجه الثاني
- ١٩ " الوجه الثالث
- " " الوجه الرابع

- ٢٠ (١٠) نظم هذه الآيات وما قبلها بما بعدها .
- ٢٢ (١١) تفسير الكلم وتأويل الجمل في آيات (٢٣٤ - ٢٣٤) .
- ٢٥ (١٢) نظم هذه القصة بما قبلها وما بعدها .
- ٢٦ (١٣) تفسير الكلم وتأويل الجمل في آيات (٣٨ - ٢٦) .
- ٢٩ (١٤) بيان مخصص ما ذكرنا نظم حجة هذه القصص بما يدبر به السورة من القسم .
- ٣٠ (١٥) بيان ان قوم لوط اهلكوا بالريح الذارية .
- ٣١ تنبيه على خطأ دخل في تراجم التوراة .
- ٣١ (١٦) ان فرعون وقومه اغرقوا بالريح الشرقة .
- ٣٢ تنبيه على خطأ من اهل الكتاب في موضع عبور بني اسرائيل وعلى خطأ من زعم بان موسى نجي بالبحر واعرقت فرعون بالمد .
- ٣٢ (١٧) ان عاد واهلكوا بالصرصر والصاعقة وثمود اهلكوا بالصاعقة .
- ٣٣ (١٨) ان قوم نوح اهلكوا بالريح الشديدة .
- ٣٥ تنبيه على خطأ من اهل الكتاب في قصة طوفان نوح .
- ٣٥ (١٩) نظرة في ترتيب هذه القصص ونظمها بالمقسم به وما بعده من ذكر الآيات
- ٣٦ (٢٠) نظم هذه الجملة بما بعدها .
- ٣٤ (٢١) تفسير الكلم وتأويل الجمل في آيات (٢٤ - ٥١) .
- ٣٨ (٢٢) الاستدلال بخلق الزوجين من كل شئ على التوحيد وما يترتب من الايمان بالمعاد والرسالة
- ٣٨ بوجهين : الوجه الاول
- ٣٩ الوجه الثاني
- ٣٠ نظم هذه الجملة في نفسها وما سبق وما سقى ،
- ٣١ (٢٣) تفسير الكلم وتأويل الجمل في آيات (٥٢ - ٦٠) .

(٢٥) تاويل قوله تعالى [وما خلقت الجن والانس] الى قوله [اذ والقوة
الميتين.]

(٢٦) نظرة في نظم الآيات النخاتمة وفيما تضمنت من المطالب المهمة

سورة الذریت (۵۱)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَالذَّرِیَّتِ ذَرَوْا (۱) فَأُخْلِجْتُ وَقُلُّ (۲) فَأُجْرَبْتُ یَسْرًا (۳)
 فَأَلْقَمَتِ أَحْمَرًا (۴) إِنَّمَا تَوَعَّدُونُ لَصَادِقٍ (۵) وَإِنَّ الدِّینَ
 لَوَاقِعٌ (۶) وَ السَّمَاءُ ذَاتِ الْجَبَلِ (۷) أَتَلُمُ لَفْنِ قَوْلٍ مُخْتَلَفٍ
 بِهَیْ فَلَکَ عَنْهُ مَنْ أَفَلَکَ (۸) قَبْلَ الْحَرَّةِ أَصُونٌ (۹) الَّذِينَ
 هُمْ فِی غَمْرَةٍ سَاهُونَ (۱۱) یَسْئَلُونَ أَتَأْتِیَنَ یَوْمَ الدِّینِ (۱۲)
 یَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ یُقْتَلُونَ (۱۳) ذُوقُوا أَفْئَتَکُمْ - هَذَا الَّذِی
 کُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (۱۴)

(۱) فی عمود السورة و اتصالها باقبلها و نظمها فی نفسها اجمالا
 اعلم ان هذه هی السورة الثانية من جملة السور السبع التي ثبتت ارسالته و القرآن من
 جهة كونه خبرا عن الجزاء و نذیرا لمن اشرك بالله و كذب برسله و ما انزل معهم فعمود هذه السور كلها
 واحد و لكن من جهات مختلفة كما مر بيانها فی تفسير السورة السابقة و انما ذكر هنا من جهات ذلك العمود
 ما يخص بهذه السورة و ما يبين الفرق بين هذه و التي قبلها فاعلم ان فی السابقة اثبات البعث
 و البطلان شبهتهم فيه و فی هذه السورة اثبات الجزاء فبعد السابقة بقوله (ق) و القرآن المجید .
 بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكفرون هذا شیء عجیب - و اذا اتينا و كنا ترابا ذلك جع بعيدا
 ثم اتبع ذلك استدلالا علی البعث و اشار الى عاقبة المكذبین فقال تعالى [كذبتم قبلهم قوم
 نوح و اصحاب الرس و ثمود و عاد و فرعون و اخوان لوط و اصحاب الابكة و قوم تبع و كل كذب
 الرسل فحق و عیدا] و لم یفصل قصصهم بل اكتفى بالإشارة اليها و يذكر الله لائل الفطرى الواضحة

علی البعث و تخم السورة بامر النبی بالصبر و الصلوة و التذکیر و جعل آخر ما قوله [یوم تتقن الارض
 عنهم سر] عا ذلک حشر علینا لیسرة نحن اعلم بالیقوتون و ما انت علیهم بحیار فذكر بالقرآن من یخاف
 و عید [و اما هذه السورة فلما جعل عودها جهة الدیونة و البحر اربد ربا بالشهادات علیها و صرح
 بها حیث قال تعالی بعد ایراد الشهادة [انا تعدون لصادق و ان الدین لواقع] و هذا الودع
 و الدیونة کلاهما یعم الرحمة و النعمة فان الودع قد جا بکلیهما و کذلک لفظ الدین عام فانه ایضا کل
 ذی حق معه و بحسب هذا العموم جا ما بعد ذلک فان الله تعالی ذکر فیها من القصص ما فیہ جہان
 کما ستعلم و کما قال [و فی السماء رزقکم و ما تعدون] فاقو عدون لیم اجهتین و لبعید ذک لثال
 [هل ائتک حدیث ضیف ابرهیم المکرین] و هذا الحدیث هو البشری باجیا قوم و اما تة قوم کما
 صرح بذلک فی سورة الحج حیث قال تعالی [نبی عبادی الی انا الغفور الرحیم و ان عذابی
 هو العذاب الالیم و نبهم عن ضیف ابرهیم] و لکن لما جعل فی هذه السورة الالامة انما بالادکر
 و قائل اهلک الالام و لکن فی کلها عذاب و رحمة کما ستعلم و انما لم یدکر جانب الرحمة بالتصریح
 فی هذه القصص لما نبه علیها و عقد علیها سور اخر حیث ذکر نجاة المؤمنین فی کل هذه القصص و
 لذلك بعد ایراد الوقائع المنذرة اشار الی اصل ذلک و هو انه تعالی و حده خالق
 کل شئی بقوة و حکمة فحصل ان خلق زوجین لا تمام الفائدة فلم یخلق عثا و لا ترک خلقه سدی فلا بد
 من الاجل لا تمام الغایة و لا بد من النعمة لاجل الرحمة فدا الی التوحید علی وجه خاص یدل
 علی البحر و الدیونة و سیاتیک تفصیل الامور فی مواضعها ان شاء الله تعالی .

(٢١) (١٢-١) تفسير الكرم وناويل الجمل في آيات (١٢-١)

[وَالذِّكْرُ لَيْسَ] أي الرياح الذاريات التي تهب من الشمال والرياح والرياح والرياح
من الوصف المعلوم للرياح قال اعشى بكرة بن وائل

فجري بالغلام شبه حريق في سبين تذروه ربح شمال

فالتفتي به عن تسمية الموصوف كما هو شائع في كلام العرب وكثير في القرآن .

[فَأَكْمَلْتُ وَفَرَأْتُ] عطف الصفات بالفاء دليل على ترتيب في الصفات وذلك يدل على
كونها صفات شئ واحد بل ربما يعطف بالواو مع كون القسم شئ واحد كما ترى في أول سورة
المزمل فالتقول بأن هذه الصفات لأشياء مختلفة يخالف النظم وكلام العرب مثلاً -

[والعديت ضجاً فالمريرت قد حافاً فالمخيرات صبحاً فاشترن به نقعاً فوسطن به جمعاً] وقال ابن يات
يا لصف زياتة للحارث الصانع فالغائم فالآب .

ثم لا حاجة إلى جعل هذه الصفات لأشياء متعددة . فإنها كلها مناسبة بالموصوف الواحد كما
سترى ولو قرأنا نقل وأكمل وههنا مطلق فيعم كلها تحل الرياح وسياتيكم بيانه فيجوز أن
يراد به السحاب ثم قال تعالى [وَنُفِثَ السَّحَابُ ثِقَالاً] ومن وصف الرياح حل
السحاب كما جاء في القرآن [وهو الذي يرسل الرياح بين يدي رحمته حتى إذا أقلت
سحاباً نقلاً الأسقف لبدية فأنزلنا به الماء]

[فَالْمَقْسَمَاتِ أَفْرَأْتُ] قسم الأمر ميره و فرق بين وجهه وكذا ذلك قسم الأمر في الأول
مبالغة مثل كسر وكسر قال المرار بن المنقذ يصف الحمار الذي يظلم واقع العشب

نظ في أعلى ليعاف جاذلاً يقسم الأمر قسم الموت

والرياح تبصار فيها تفرق بين قوم وقوم فتكون رحمة لهذا ولقمة لذلك كما سياتيكم بيانه
ونسبة الأفعال الإرادية إلى غير ذوى العقول شائع جداً في كلام الناس والقرآن .

إِنَّمَا لِيُعَدِّدُوا لِيُصَادِقُوا [تعددون من الوعد أي ما وعدكم الله على لسان

رسوله واقام عليه دلائل بينية وقد كثر في القرآن ان القيامة والبعث والاجزاء حسب
 الاعمال المحنة والسيئة كل ذلك وعد من الله تعالى مثلاً [ايه مرجكم جميعاً وعد الله حتماً انه
 بيد الخلق ثم يعيده ليحرمي الذين آمنوا الآية] ايضاً [واقسموا بالله جهد ايماهم لا يبعث
 الله من يموت بل وعد الله تعالى ايضاً] كما بدأنا اول خلق نعيده وعد علينا ان اكنافا عليين [ايضاً
 ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة آتية لا ريب فيها] وبذلك اكثر ثم ليقل هذا الوعد
 ايضاً ما وعد الله المؤمنين من النصرة والكافرين من الخذلان في هذه الحياة وقد جاز ذكر
 ذلك في القرآن فمنه قوله تعالى [وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في
 الارض كما استخلف الذين من قبلهم الآية] وبذلك ايضاً كثير نقول [انما توعدون] بظاهره
 يعلم كل واحد منكم موقعه يخصه بما وعدوا من البعث كما جازينها ذكرنا من الآيات وكما
 يفسره ما يتبعه من ذكر وقوع الدين.

[وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ] اي الديانة والاجزاء وذلك داخل في ما توعدون
 فالعطف من قبيل عطف الخاص على العام او الاجزاء على الكل وذلك ليكون بيان
 الاعتناء بالمعطوف وهو ظاهرهنا فان الدين اي الاجزاء هو المقصود من البعث بعد
 الموت كما صرح بذلك في كثير من المواضع.

[وَالسَّمَاءُ ذَاتِ الْجُبَابِ] السما يطلق على معان ومنها اسحاب كما في قوله تعالى
 [وقيل يا راض بلعي مارك] ويا سماء اطلعي [وهو المراد بهنا وذلك لوجه به -

الاول ان القسم السابق هو بالرياح والمناسبة بين الرياح والسحاب اظهر وقد ذكرنا
 معاني مواضع. والثاني ان المناسبة بين المقسم عليه والمقسم به تقتضي ذلك كما سيأتي
 بيانه في موضعه والثالث ان الوصف بذات الحجب يدل عليه دلالة واضحة وبيانه ان
 الحجب هو العقد كما قال ابو داود

كان الغصون من الفهدتين الى طرف الزور حجب العقد

ونه الاوامج والاحكام في النسخ ومنه الجباك وجميع الجبجك للطرائق والاسسة التي
توجد في الثوب المحكم النسخ وغيره قال زمير بن ابى سلى يصف ما هرت عليه الرمح فانفشت
فيه عضوناه

مكمل باصول النبت تشبيه ربح خريق لصاحي مائه جبجك
قال الفراني قوله تعالى [والسما ذات الجبجك] "الجبجك تكسر كل شئ كالرمة اذا مرت
عليها الرمح الساكنة والمار القاعم اذا مرت به الرمح" وفي حديث الدجال "ان
شعره جبجك جبجك" والسحاب يوصف بذكر فان الجبجك فيه تجدد قطعاته مثل الموج
المزبد المتركم او كسباب القطن. قال امرؤ القيس يصف القصور الشاهحات
المكلمة بالسحب

تلاعب اولاد الوعل رباعها دوين السماء في روس الجباد
مكلمة حمراء ذات ابرة لها جبجك كانهما من وصائل
اي مكلمة بسحب حمراء ذات طرائق. وهذا وصف سحاب الشتاء من جهة لونه وقطعته
قالت الخنساء تصف السحاب الشتوي

حين الرياح بلائل نكب بها صوارو
ينفين عن يسطاسا رطلانها والمار جاهد
سزقاته ودا الرياح كانهما خرق طرايد

وما قبل من ان المراد به السماء التي فيها النجوم اما لاحكامها او لكونها مجردة بالكلية
فلا يصح فان الجبجك ههنا ليس بالمصدر انما هو جمع بمعنى الخطوط والتكسر والعضون فلا
يكون وصفا لهذا السقف المكوّب لاس من جهة احكامه ولان جهة نجومه.

[انكتم لفي قول مختلف] اي في امرؤ القيس الذي كما قال تعالى [عم
تساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون] كلا سيعلمون. وموقع الجملة متشبه

قولهم وليست بجواب للقسم فانه قد سبق بعد القسم السابق فاغنى عن ذكره وحلته المتشنع بها
تاتي بعد القسم وجواب القسم ليفهم ولا يذكر مثلاً قوله تعالى [ق] و القرآن المجيد بل عجوا
ان جازهم منذر منهم فقال الكفرون هذا شيء عجيب [ايضا] والسماء ذات البروج واليوم
الموعود وشاهد ومشهود قتل اصحاب الاخذ و [و هذا اكثر]

[يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ] هذه جملة مستقلة وليست بصفة لقول تحلف والمعنى انه
يصرف عن الايقان بالدينونة من اصيب في بصيرته فان الافك هو قلب الشيء ظهرا
لبطن ومنه الافك للكذب والمافوك لفاقد البصيرة والشد الليث ع
الي اراك عاجزا انيكا -

[قَتَلَ الْحَرَّ صَوْنَ] حرص النخل والكرم خمن ما عليه من الثمر حرص في الحديث
قال مالم يعلم اى القاتلون في امر القاتمة اقوالا تخلفه يحض الظن كما قال تعالى [بل
ادارك علمهم في الآخرة بل بهم في شك منها] كما ذكر قولهم في القيمة [ان نطن الاطنا وما نحن
بستيقنين]

[الَّذِينَ هُمْ فِي غَمَمَةٍ سَاهُونَ] في غمرة اى غفلة شديدة كاليقال في عطاء
وعناية وكل ذلك متعل في كلامهم ساهون خبر بعد خبر وفائدة بيان عدم انفكاك الغفلة
حتى انهم لا يشعرون بما ينبغي ان يشعروا به وهذا ذكر حالتهم التي كانت اصل دأبهم المذكور
اى هم منغسون في غفلة والشهوات ولذلك لا يذكرون العاقبة ومفاد الجملة التشنع
لشكهم الناشئ من كمال الجسارة وعدم المبالاة بالآخرة وبما جاز به المذرون من ربهم وذلك
ليظهر من سواهم الآتى .

[أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ] هذا السؤال يتضمن الانكار والاستعجال والاستهزاء وكل
ذلك من غاية العصيان كما جاز في سورة القيمة [بل يريد الانسان ليفرطامه يسأل
ايان يوم القيمة] ولذلك اجابهم حسب سؤالهم .

[يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقْنُونَ] نصب يوم على الظرفية أى يوم الدين يقع يوم هم يقنون
واليوم معنى الوقت كما قال تعالى [فذلك يومئذ يوم عسير] أى وقتئذ . وقيل موضع الرفع
وانما نصب لاصافته الى غير المتكلمين وهذا وان كان جائزا من جهة الاعراب ولكن لا يليق بهنا
فان السؤال المتقدم انما هو عن موقع يوم الدين لا عن نفس ذلك اليوم نعم يمكن ان يكون الجواب
جها فهم من سؤا لهم كانهم قالوا ايا ان هذا الدين قليل انه يقع يوم كذا . فله امتحنه قال تعالى
[وقناك فتونا] ومنه الفنة لكل ما يختر به عقل الانسان وعزمه من لذة ادم ومنه فنة المرأة
داهية والشیطان اغواء وقتت الذهب ادخلته فى النار لتنظر ما جوده ومنه دنيا رنقون .
ورق فیتس أى فضة محترقة وبقاا للحرمة فیتس كان حجابها محترقة . وكل ذلك وجوه لمضى واحد
فقوله تعالى [يُغْتَوُونَ] يلح الى معنى الاحراق وثانيا الى ان هذه النار ما
تقتسم به فى الدنيا من شهواتها وازخارفها التى انك لم يوم الدين فصرتم فى غمرتها ساين كما
يبينه ما بعده . ولما كان سؤا لهم على سبيل المكابرة والاستهزاء اجابهم بالملق به
[ذَوُوقُوا فِتْنَتَكُمْ] أى ما فتكم فى الدنيا من شهواتها ففى الآن ظهرت عليكم حقيقةها وكنتم
هناك فى غمرة الغفلة فلم تحسوا بذهابها فالا ان فذوقوها . وموقع الجوازات وليس
هنا حذف بل لكى يجعل الغيب شهودا خا طهم فكان يوم الدين قد حضروا كانهم قد عرفوا
على النار فحطوا بهذا القول .

٣ (بيان وجه الاستشهاد بالرياح والسماء على الديونة)
قد تبين ما ذكرنا ان قوله تعالى [والذريت ذروا فاحملت وقرانا فاجريت يسرا
فالمقمت امر] اشهاد بالرياح وقوله تعالى [والسماء ذات الجبج] اشهاد بالسماء
الاشتوية التى تتكرر فيها الردد والصاعقة وكونها اظهر فى الاذار والتخليف بين شناعة وتكرار
فى غفلة وغرور واختلاف وظنون كما جازى فى قصة عاد [قالوا هذا عارض ممطرنا بل
هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم] فلم يتبهوا عن غفلتهم وقد جاءهم العذاب ورأوا

أيمته في السماء المقطعة السحب ذات السحب.

واعلم ان كلا الاشهادين في الحقيقة اشهاد بآيات الله الظاهرة وادامه البحارة
عقاني بريح تفعل السحاب انتقال قسوته الى الارض الجرز وتحمل السفن الموقرة وتجري
بها الى المنافع وربما تصف قذرو الرمال وتقلب حاصبا فتمطر الحجارة وربما تقلب
حصرافا في البرود والصواعق وربما تصير طوفانا قاتلي بالمطر الشديد وتهيج الجرد في كل
ذلك تقسيم الامور فان من عجائب قدرة الله تعالى وحكمته وتسيير الرياح انها ياتفغ
بشدتها وربما تهلك بليتها كما ستري في قصة فرعون. بل الامر الواحد يشتمل نعمته
للمؤمنين ونقمة على الكافرين مفترقا بين الرحمة والعذاب ومتعا لاسرار كفضل ذوي العقول
ويشبه ذلك ما جازني مزمور ١٤١ (١٥ - ١٨) "يرسل كلمته في الارض يريها
جد لا يجري قوله. الذي يعطي الثلج كالصوف ويذري الصقيع كالراد يلقى جمده كفئات.
قدام برده من يقف. يرسل كلمته فيذيبها. يهب برجة فتسيل المياه." فسمى الريح
كلمة الرب وقوله وهذا من الطيف البجارية فان في العبرانية لفظة واحدة مشتركة بين الكلام
والريح ومن اجمع الآيات في قوله تعالى [ان في خلق السموات والارض اختلاف ايل والنبات
والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل اللد من السماء من مارفا حيا به الارض
بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخرين السماء والارض
لايتقوم ليعقلون.] اي آيات على التوحيد والقدرة والربوبية والرحمة والحكمة
والعدل. والجملة نفى تصريف الرياح والسحب لغيرها العام وضررها المخصوص
حسب شيمة دلالة على ان امور الخلق لا يجري باطلا وشدادته على ذلك تقسيم الرياح
وتفريقها في جريانها بين البرد الفاجر وايضا على احاطة امره فان كل شئ حتى هذه
الرياح التي لا ترى انها لعقل شيئا يجري بامر الله تعالى حسب حكمته وعدله كما
قال تعالى [ولله جنود السموات والارض] وعلى غلبة حربه فففيه بشارة وانذار

كما صرح بذلك في سورة وَالصُّمُّمُ التي اتسم في اولها بجوده الموكدة فقال تعالى
 [وَتَقَدَّسَتْ كُلُّمَّا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ . اِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ . وَاِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ]
 وفي كل ذلك دلالة واضحة على الدينونة وسياتيك مزيد بيان لدلالة الرياح والسماء
 في تفسير قصص الاحم التي اهلكت بالرياح والصواعق .

(نظم هذه الآيات بعضها ببعض وبالجمل)

لما كان الاشهاد بالرياح جاسعا للرحمة والنقمة كما مر وكما ذكرنا في تفسير سورة المرسلات
 والقرآن قد اكثر من ذكر جانب النفع فيها وربما ينبه على ما فيها من العذاب تنبيها
 على كونها مسخرة بامر الرب الحكيم فاتبه تولايم الرحمة ونقمة وهو قوله تعالى [اِنَّمَا
 تُوْعَدُونَ لِمَا تَعْمَلُونَ وَاِنَّ الَّذِينَ يُؤْتُونَ عَمَلُكُمُ الْيُسْرَىٰ] ولما كان الاشهاد بالسموات
 الحجب غالباً فيه جانب الانذار بل صورة هذه السماء هي صورة الزجر الشديد
 والانذار اتبعه ذكر المستهزئين المستعجلين وعدابهم ثم لما كان هذا ذكرا
 لاحد جانبي الوعد والدينونة حسن ان يذكر الجانب الثاني وايضا من
 اسلوب القرآن ضم الترغيب بالترهيب وبيان الصدد بالصد وقد ذكر
 العصاة وبعض اوصافهم فمن بعد هو لا ذكر الصدد وسم باوصافهم ثم ايضا
 بان هؤلاء المستهزئين ليسوا كذلك كما صرح به في مواضع من القرآن
 فقال عز من قائل حكيم :-

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ مِنْهُمْ
 أَنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ الَّذِينَ
 يَهْتَكُمُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَعْفِفُونَ (١٨)
 وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (١٩)

(١٥) (تفسير الكلم وتأويل اهل في آيات (١٥-١٦))

[الْمُتَّقِينَ] صفة جاسته فارقة كما مر بنا في تفسير سورة البقرة وموقعها بينناشير
 الى انصافهم بقدر ما ذكرني البجته اب بقية من اوصاف المنكرين.

[فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ] عبارة عن الفوز والسعادة والى دائمون في النعمة.

[آخِذِينَ] حال وهو احسن لما فيه دلالة على استمرار الانعام فلم يقل انهم اخذوا
 ما آتاهم ليعلم ان ما اعطوا يبقى معهم لان البجته اب بقية قد دلت على الاستمرار فالغنى
 انهم دائمون في جنات وعيون وعطايا من ربهم.

[أَنَّهُمْ كَانُوا] وصف وضع في محل الدليل وبذلك ايضا دل على ان المنكرين
 على خلاف هذه الاوصاف كما جاء في القرآن كثيرا. وتوقع البجته شبيهة بالاشقا
 فيشبه ما مر من قوله تعالى [اذ ذوقوا عذابكم] كان يوم القيامة قد حفر في صنفون بما عملوا
 في الدنيا.

[مُحْسِنِينَ] عام وانظر في الصلوة والزكاة لكونها اولي داهم ولما صرح بكونها
 علامته فارقة ولما تبين ذلك بما تبين من اوصافهم من قلة الجوع والبرد.

[كَانُوا قَلِيلًا مِنَ الَّذِينَ يَهْتَكُمُونَ] الجوع هو النوم امي شتغنون في
 الليل بالصلوة والذكر كما قال تعالى [تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا
 وما رزقهم يفتقون] وكما قال تعالى [يا ايها المرسل تم ايل الا قليلا الاية] والبجته تطف
 لانها بيان لما ذكر من كونهم محسنين. وثني تاليف البجته وجوه كلها راجع الى معنى واحد

ای انہم کانوا قلیلاً، جو ہم اوماہجوں فیہ من اللیل او کانوا یجھون قلیلاً من اللیل
 واما انہم کانوا قلیلین وانہم لایجھون من اللیل کا ذکرہ الرازی فیعدیداً۔
 [وَبِالْأَسْحَارِ] السحر قبیل الاسفار وهو ادلی الاوقات بالاستغفار کاجارنے
 وصف المتقین [الصبرین والصدائق والقیقین والمنفقین والمستغفرین بالاکاراً]
 وجار تصریح ذلک فی صحیح النجہ۔ وقد یناسب ذلک فی تفسیر سورۃ آل عمران۔ ووجب
 احسن الی جعل الواد ویلا علی اتصال الوصفین فانہ قال «مدوا فی الصلوۃ ونشطوا حتی
 کان الاستغفار لیسر»، ولس ذلک بطاہر المعنی ولكنہ اشارۃ غیر عبیدۃ واللہ اعلم۔
 [المحرکون] موقوع بعد [اسأل] بیدل علی معنای ای من لایسأل الناس مع فقر معین فتاوی
 ہو المسکین الذی لایسأل وعن الزہری ہو المتعفف لعلہا نظراً الی قولہ تعالیٰ
 [للفقراء الذین احصوا فی سبیل اللہ لایتطیعون ضرباً فی الارض بحسبہم الجاہل
 انیاء من التعفف، تعرفہم بسیمہم، لایسلون الناس اسمافا]۔

(۶) (نظم ہذہ الآیات ودلائلہا وموقعہا بآقلہا وبما بعدہا)

جمع بین الکافرین والمؤمنین علی سبیل التقابل ومن الایجاز ان دل بما ذکر علی ما
 لم یکر فاذا وصف المنکرین بانہم فی غمرۃ الغفلۃ علما ان المتقین علی بصیرۃ ولیقین من
 لقار ربہم ونہ علی ذلک باسماہم المتقین فان التقوی ہی اصل البصیرۃ کا ہو مبسوط
 فی موضعہ وکذا ذلک اذ وصف المتقین بالاحسان والصلوۃ والزکوۃ علما ان المنکرین
 اشحاء قاسیتہ القلوب کا ذکر وصفہم فی قولہ تعالیٰ [قالوا لم نیک من المصلین
 ولم نیک نظم المسکین] و ہذہ الجملۃ بآقلہا من قولہ تعالیٰ [انکم لفی قول مختلف]
 جار مقترضۃ بعد ایراد دلالتہ علی الجہاد فیدر تبشیع امر المنکرین ثم اتبعہ ذکر مقابلہ کلک
 اعقب الدلیل الرہیب والرغیب ثم بعد ذلک اخذ مرۃ آخری فی اثبات
 الجہاد فانہ عمود الکلام فلذا لک وصل بالواد واراد ان یتبہ علی
 ان ماسبق من القسم ففیہ دلائل وآیات فقال غرض من قائل حکیم

وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (۲۰) وَفِي الْفُسْطُكِ أَفْلا تُبْصَرُونَ (۲۱) وَفِي السَّمَاءِ
رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (۲۲) فَكَرَبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ
مِّثْلُ مَا أَنْتَ تُنطِقُونَ (۲۳)

(۴) (تفسیر الکلم و تاویل اہل فی آیات (۲۰-۲۳)

[وَفِي الْأَرْضِ] الجملة مسطوقة على ما فهم من الاقسام السابقة كما قيل ان في
تصريف الرياح والسحاب آيات على المعاد وهكذا في الارض وفي انفسكم وقوله
[لِلْمُوقِنِينَ] هذا من منطوقه تعالى [هدى للمؤمنين] وقوله تعالى [ان في ذلك لذكر لمن
له قلب او التقى السمع وهو شهيد] ايضا [تبصرة وذكرى لكل عبد منيب] وايضا
[آيت لمن خاف عذاب الاخرة] وايضا [آيت تقوم يعقلون] وهذا كثير جدا اي انما
هي آية لمن ينتفع بها كما يقال قد اسعد الصبح لذي عينين فاشمال ذلك فيها نوعان من الفوائد
الاوّل ان الدلائل ليس فيها الاكراه فيكون نافعا لكل الناس فان لم ينتفع بها الكافرون
فانما هو من قبلهم ولا نقص في ظهور الدلائل . والثاني التنبيه على الشرط المناسب للانتفاع
ويجب التدبر في هذه المناسبات فلنذكر ما يلحق بهذه المقام فاعلم ان قية المؤمنين بدل
على ان الآيات انما يخضع بها من يستدل بها وذلك بان الاستدلال بهن على الايقان
بامرين بما ينشئ عليه الدليل من المقدمات المسلمة او الاوليات والثاني بلزوم الانتاج
فالذين لا يؤمنون قومان اما هم اهل السفطة الذين قد انكروا بالاصول الاولية فكيف بالادلة
واما هم المقلدون وانما ربهولاء ربلا لا ينكرون بالاوليات ولكن ينكرون بما يلزمها وينتج
منها وذلك بحض المكابرة والقرآن كثير ما يبين هذا التناقض منهم بمثل قوله [فاني لو تكفون]
[فاني تسحرون] وبالجملة فتنبيه على اول شرط لما يكتبه الان من العلم
بطريق الاستدلال فمن خلا عنه فهو كما لبها ثم بل اضل منها وخرج من يخاطب وقد

اشاره فيما بعد الى ما هو اصل اليقين كما سيا تيك عن قريب
 هذا - دلم يذكر المؤمنين بفعولهم ليعلم كل ما يوقن به واوله واساسه التوحيد ثم القياسه
 ثم الرساله. وليس المراد به الايقان بحض الشهود فان ذلك ما يستوى فيه المؤمن
 والكافر بل الانسان وابهائهم فالمراد به الايقان بالاستدلال بالآيات وذلك
 هو كل رسوخ القتل كما مر في تفسير قوله تعالى [الذين يؤمنون بالنيب] ومع العموم ميل
 موقع الكلام على ان اول النظر ههنا الى الايقان بالمعاد وربما جاز به التصريح كانه
 قوله تعالى [وبالآخرة هم يووقون] [افلا تبصرون] استفهام استنكار فان آيات
 النفس اعظم الآيات واقربها وابنيها. قوله تعالى [وطني الارض آيت] - الى قوله - وما
 توعدون [جامع لما لا يهسى من الآيات على التوحيد والربوبية والحكمة كما قال تعالى
 [وكاين من آية في السموات والارض يرون عليها وهم عنها معرضون] وقد اكثر
 القرآن من ذكر هذه الآيات اجمالاً وتفصيلاً فلا حاجة الى ذكرها ههنا وسياتيكم ببعضها
 في هذه السورة مقتضى المقام ان يراد بها ما يدل على المعاد وكل آية من آيات الربوبية
 والقدرة والحكمة والرحمة تدل على المعاد كما هو مذكور في موضعه. واعلم ان نظم الكلام
 ههنا جار على اسلوب خاص من الایجاز وهو الاكتفاء بما ذكر في احد التقريرين عن ذكره
 في الآخرة فذكر الآيات مع الارض اغني عن ذكرها مع السماء وكذا ذكر الرزق
 والموعود مع السماء اغني عن ذكرها مع الارض وقد جاز في غير هذا الموضع التصريح
 بكون الآيات في السماء وكذا جاز التصريح كثيرا بكون الرزق في الارض واما كون
 ما يوعدون في الارض فكما قال تعالى في امر القيامة [ثقلت في السموات والارض
 فكاهما قد اثقلتا بحملها وكانها منتظران امر الرب بوضعها]

[فَوَرَّبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ] هذا القسم يتضمن الدليل على المعاد وذلك
 ظاهر مما ذكر من آيات الارض والسماء ثم اشهد بربها وله لذلك لما جاز بغير

التعقيب فهذه البجته في غاية الاتصال باقبلها ثم في كلمة الرب إشارة الى اصل الاستدلال وهو ان كل آية في الارض والسماء والنفس انما هي آيات على الربوبية ودلائل المعاد كلها مبنية عليها وسياتيكم بعض البيان لذلك في الفصل الثاني.

[انه الحق] المقسم عليه هنا هو المقسم عليه في اول السورة وهو قوله تعالى [انا توعدون لصادق وان الدين لواقع] وقد مر ايضا ذكر ما توعدون آنفا فاكثري ههنا بالضمير كانه قيل فارب السماء والارض ان بعثكم وجزاكم حتى لا ريب فيه .
[مِثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ] نصب مثل على كونه حالا عن الضمير في [انه] وعالمها حسب اصطلاحهم شبه الفعل اي حتى كقولك زيد حسن ضاحكا اي ما توعدون من البعث والرجوع الى ربكم والجزاء حسب اعمالكم فهو حق لا مجال فيه للشك وحاله يشبه حال نظم ولا خلاف في هذا التأويل بين السلف ولكنهم اختلفوا في محل من الذين يصبون من نبطه مرفوعا في المحل ولكنه نصبه لاضافة الى غير الممكن مثل يومئذ واما حمزة والكلبي وابوبكر فقرؤوه بالرفع وكل ذلك راجع الى معنى واحد وموقع هذا التفسير الاستدلال بطريق الاولى كما سيأتي بيانه في الفصل التاسع ان شاء الله تعالى .

(٨) (جملة الكلام في الاستدلال على الدينونة بالآيات السابقة)
اعلم ان هذه الآيات الاربع جامعة لكلها في الارض والسماء والنفس من الشواهد وذلك بان الله تعالى جعل في أنفسنا وفي الارض والسماء وما بينهما من عظام الخلق وعجائب الصنع وتقدير بعضها لبعض وتيسيرها لمصالحها وتدبيرها لمصالح أخرى ما فيه دلائل واضحة على التوحيد والربوبية من جهة اتصاف الرب تعالى بكمال الملك والقدرة والعلم والحكمة

والعدل والرحمة وفي كل ذلك دلالة على الدينونة فاول الاستدلال انما هو على صفات الرب تعالى الدالة على التوحيد ثم يستدل به على الدينونة كما بينها القرآن في مواضع وقد ذكرنا في كتاب الحج فاشار بهذه الجملة الى دلائل الربوبية عامة والى دلائل الدينونة خاصة ونبه على ذلك بقوله [و في السماء رزقكم وما تعدون] فان الرب الذي يرزقكم من السماء والارض لم يخلقكم عبثا ولن يترككم سدى كما قال تعالى [انحسبتم انما خلقكم عبثا وانكم الينا لاترجعون] ثم بين ذلك بما اتبعه من قوله [فارب السماء والارض انه حتى مثل ما انكم تنطقون] فاستدل على الدينونة بكونه رب السماء والارض وهما شتمتان على ما لا تخصي من الآيات في الآفاق والانفس الدالة على الربوبية وعلى الدينونة وهذا الذي ذكرنا جارا با وضوح بيان في موضع آخر والقرآن يفسر بعضه بعضا فقال تعالى [سريهم آيتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يبين لهم انه اتقوا المعاد كما بينه فيما بعد فقال] اولم كيف بربك انه على كل شئ شهيد [اي في كونه ربا شهيدا على كل شئ دليل كاف على المعاد كما بينه فيما بعد فقال] الا انهم في مرتبة من تقار ربهم الا انه بكل شئ محيط [احاطا بالعلم والقدرة والملك والتدبير والحكمة والرحمة تستلزم الجزاء وبذلك جملة الكلام في وجه الاستدلال وهذه الادلة مفصلة في مواضعها من القرآن فلا نشغل ههنا بتفصيلها ولكن نبين بعض البسط ما يخص بهذا المقام من الاستدلال على المعاد فنقول وبالله التوفيق .

٩ (الاستدلال على المعاد بالنطق الانساني)

لا يخفى ان المفهوم من قوله تعالى [مثل ما انكم تنطقون] مع ما قبله ان بعثكم و جزاكم حق اي واقع ولا ريب فيه مثل ما انكم تنطقون فلا تشكون فيه وهذا القدر

في غاية الظهور من الكلام ثم في هذا التفتيش من الحكمة ما يحتاج الى التبرر و
تدبره على ذلك بما اختار مثال النطق فلم يقل مثل ما انكم تنظرون او تسمعون
او تأكلون او تشربون او غير ذلك من الافعال الظاهرة فاذ انكرت
في حكمة اختيار هذا المثال هديت الى اسرر عظيمين الاول هو كون النطق
اولي باليقين من سائر اطوار النفس والثاني كونه متفصلا لما يستدل به على المعاد كما
سياتيك بيانه عن قريب وستجد في كلا الامرين من بوالع الحكمة ما يربى العقول و
يشفي الصدور.

اما الاصل الاول وهو كون النطق اولي باليقين فمن ثلاث جهات
الاولى ان النطق اقرب الى النفس من سائر اطوارها وذلك بان النفس
تتبعه على كل شئ بواسطة الفكر واما الفكر فليس بينه وبين النفس واسطة والفكر
هو النطق الحقيقي ولذلك سمي العقل نفسا ناطقة والنطق المسموع انما هو ظهور
ذلك النطق الحقيقي فعلم النفس بنطقها الحقيقي هو ابدى البديهيات واولى اليقين
والثانية ان النطق ارسخ في النفس وذلك بانه داخل فطرة الانسان و
خاصته ولذلك عرفوا الانسان بالحي الناطق وقد عرفت العرب ذلك
قال المرتضى الاكبر

هل بالديار ان تجيب صمم لو ان حيانا طعنا كلم
والثالثة انه ليس في اطوار النفس ما يساوي النطق في كثرة الشهادات
المتواطئة ولا يخفى ان تطابق الشهادات على شئ امر زائد على كونه بديهيا او
فطريا واليقين انما يتم بكثرة الشهادات فاذا انطرت الى النطق من هذه الجهة
وجدته اوفر نصيبا من غيره وذلك بان الناطق ادلا يفكر وهو النطق الحقيقي
ثم يرى فكره يجري على لسانه مطابعا لما فكر ثم يسمع باذنه ما نطق به لسانه فيجيبها

مطابقين ثم لسمع الجواب من المخاطب مناسبا لما تكلم به ثم هذه الشهادة
تتكسر بان في كل كلمة بل كل حرف شهادة على هذه المطابقات فلا شيء كالنطق
ذليلا على وجود النفس ومن ههنا حسن اختيار فعيلة النطق فلم يقل مثل لنطقكم
بل قال تعالى [مثل ما انكم تنطقون] وتبين ما قد منا ان اليقين بكل شيء فرع
على اليقين بالنطق فهو اصل اليقنيات والاستدلالات .

واما الاصل الثاني وهو كون هذا المثال متضمنا للدليل على المعاد فلا يخفى
ان التمثيل ربما يكون محض دعوى كما تجد كثيرا في كلام الشعراء وربما يكون
دليلا وذلك اذا علم من نفس الكلام او العقل ان بين المثل وبين ما ضرب
له المثل امرا جاسا يتلزم اشتراكهما في الحكم كما تقول في مسكرانه حرام مثل
الخمر فانك بهذا التمثيل قد دلت على علة الحرمة وهذا الجامع يسمى مناط الحكم .
ثم اذا كان مناط الحكم فيما ضرب له المثل اقوى مما هو في المثل كان اثبات الحكم في
الاول بطريق الاول وليسمى قياس الاول كما ترى في قوله تعالى [مثل نوره كشوة
فيها مصباح الآيات] فعلى هذا التمثيل النطق ههنا ليس دعوى محضا ولكنه دليل استدلال
به على ثبوت المعاد فانك اذا تأملت نظم الكلام انضح لك وجوه من الاشتراك
والمماثلة بين النطق الانساني وقضية المعاد والآن نذكر هذه الوجوه وبالله التوفيق
الوجه الاول ما يدل عليه نفس القسم ههنا فان القسم هو الاشهاد كما بيناه في
كتاب الامعان فالاشهاد يكونه تعالى رب السماء والارض وقد سبق انها مائتان
من آيات الربوبية الدالة على المعاد واشهادها وبآيات فيها هي تشهد بانكم مربوبون
ومجازون وهذا النطق منها واضح لا ولى الهى كما قال تعالى [انطقنا الله الذي يخلق
كل شيء] وقال تعالى [وان من شيء الا يسج بجهه] فكانه قيل كما انكم تنطقون فكذلك
هذه تنطق بان المعاد الى الرب تعالى حتى لا شك فيه .

والوجه الثاني ما يدل عليه الله بر في امر النطق فان الله تعالى جعل الانسان قادرا على تاليف الكلمات فيلقيها جسمها ثم يبد نفسه قادرا على اعادة ما فكره نطق به بل على ان ياتي به احسن وامين وذلك من كماله والكبر نعم الرب كما قال تعالى [خلق الانسان . علمه البيان .] فاذا تأمل الانسان في هذه القدرة منه لم يكن الاثنا بان الرب تعالى قادر على ايجاد الخلق بعد فناءه فان الخلق من تعالى انما هو بجزء نقطة فان الرب تعالى يخلق ما يشاء بكملة منه من غير احتياج الى مادة وآلة كما قال تعالى [انما قولنا شي اذ ارادناه ان نقول له كن فيكون .] واذا سيس الخلق الاكلمة منه وقد خلق السموات والارض بكملة منه واذا شاء اعادة بكملة بل هو على اعادة مرة اخرى اقدر كما قال تعالى [وهو الذي سبغ الخلق ثم يعيده وهو ابد عليه] واذا كان ذلك كذلك فهو على اعادة الانسان اقدر كما قال تعالى [اديس الذي خلق السموات والارض بقدر على ان يخلق تسليم] اى يعيدهم بعد افاقتهم فان سياق الكلام في اثبات المعاد وقد صرح بذلك في مواضع اخر فان نفس خلق السموات والارض دليل على قدرته على اعادة الانسان وقد صرح بذلك في آيات اوردت في اثبات المعاد بناء على محض كمال صفة الخلق والعلم كما تجزئنا تتبعه هنا فقال تعالى [ابلى وهو الخلق العليم .] انما امره اذ اراد شيئا ان يقول له كن فيكون . فبحن الذي بيده ملكوت كل شئ واياه ترجون .] وهكذا قال تعالى في المعاد [انا كل شئ خالقه بقدر وما امرنا الا واحدة كلحج بالبصر .] وبالجملة نفى انهم ينظرون لكم شهادة بينة على ان الرب تعالى اكبر قدرة على ان يخلقكم على اعادة ما فطعنتم به ثم هو ارجون عليكم لما انكم في نظركم محتاجون الى اسباب جعلها الله لكم وربا لا تقدرون على بعضها فتعجزون عنه وربا تتدنون ما نطقتم به فلا تقدرون على اعادة انفسنا . واما الرب تعالى فقد رتبته على النشأة الآخرة كقدرته على الاولى وقد

صرح ما ذكرنا في مواضع مثلاً [ايحسب الانسان ان لن نجعل عظامه بلى
قادرين على ان نسوي بنانه] وايضاً [ولقد علمتم النشأة الاولى فلو لا تذكرون]
وايضاً [قال من يحي العظام وهي رميم قل يحياها الذي انشأها اول مرة وهو بكل
خلق عليم] وبذلك يكثر الاستدلال بالاثبات المعاد على من انكره لمحض الاستبعاد
فجوابهم البطلان ذلك.

والوجه الثالث ان النطق يرجع الى اساطير والاكان اصم والاصم للبدن
يكون اعمى واذا كان اصم لنطق فكيف انما خلق منه تعالى اكبر واعظم مثلاً من نطق الانسان
كما مر فلا بد من رجوع الخلق الى الخالق وذلك لكامل ملكه فان الخلق قائم بامر ولا
يخرج عن ملكه وتدرته وعلمه والى ذلك اشارة في قوله تعالى [اوليس الذي خلق
السماوات والارض بقدر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلق العليم انما امره اذا اراد
شيئاً ان يقول كن فيكون فبما الذي بيده ملكوت كل شيء وايه ترجعون] وعلى
هذا فكيف يمكن ان يخلق الرب تعالى ولا يرجع اليه كله اينطق الرب ولا يسمع و
يخلق ولا يرى ادياتي بالخلق من الدم ثم يفوت من قبضته او يدبره ثم لا يملك منه
شيئاً وهذا الاستدلال لا فحاص من يستبعد المعاد من جهة رجوع المعدوم كما جاز ذكر
هم في قوله تعالى [اذا متنا وكنا تراباً انك ترجع عيدين قل علمنا ما تنقص الارض
منهم وعندنا كتب محفوظ] وايضاً [قالوا اذ متنا وكنا تراباً وعظاماً انا لمبعوثون. لقد
وعدنا نحن آباؤنا من قبل ان هذا الاسا طير الا لعين قل لمن الارض ومن
فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل انفا تذكرون قل من رب السموات السبع
ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون قل من يملك يومئذ كل شيء
وهو يحكم ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فاني تسحر من انا انظر
كيف اكد على كون الخلق في ملكه بان كله له وانه ربه وان ملكوته بيده وانه جبره خفيته

وهذا الاستدلال بالملك على اعادة همتهم كثيرا ولا حاجة الى الاستقصاء.

والوجه الرابع وهو الاستدلال بصفة الربوبية وما تلتها بالنطق مع زيادة العدل وهو اصل الاستدلال وقد جاء في القرآن كثيرا على وجه العدل داخل في الربوبية فان السماء والارض قيامها بالعدل كما قال [ولواتج الحق ابو ادهم لفدت السموات والارض ومن فيهن] فبعد ذكر السماء والارض وآياتها استدلال بالربوبية على المعاد وذكر مثل النطق فكانه قيل ان كلما تفعلون وتعلمون فبدايته من تدبر ونطق لنفسي منكم وبهذا تمنazon من اشياء غير ذات نفس ناطقة ثم الرب تعالى حكيم عادل فكلما ترون في السموات والارض من عجائب الصنع والتقدير فهو دليل على تدبر وامر من حكيم مدبر آمرناه وذلك يدل دلالة ظاهرة على تقدير وعاية وحكمة ورحمة فذلك دليل على انكم لم تخلقوا عبثا ولا بد من افعال كل ذي عمل حقه يفرق بين المحسن والمسي وقد صرح بذلك في كثير من المواضع مثلاً قوله تعالى [انفسيتم انما خلقنكم عبثا وانكم اليها لاترجعون] وقوله تعالى [انجعل المسلمين كالجحيم ما لكم كيف تحكمون] وقوله تعالى [انه يبداء خلق ثم يعيده ليحزى الدنيا آمنوا وعملوا الصلح بالقسط] وقوله تعالى [وما خلقنا السماء والارض وبينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار] ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصلح كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار] وهذا النمط كثير في القرآن وعلى وجهه اصلها ان الحكمة والرحمة والعدل كل ذلك يستلزم المعاد وبالجملة فكانه قيل كما تنطقون عن فكر ومقصد فكذلك خلق السماء والارض والنفوس انما هو عن غاية يؤل اليها بل هذا اثبت واطهر لكون الرب متصفا بكمال الحكمة والعدل وما ذكرنا تبين ان كل هذه الادلة فيها الاستدلال بطريق الاولى. هذا ولا يحيط بمعاني كلامه الا هو.

(١٠) بيان نظم هذه الآيات في نفسها وبالسابق واللاحق
 ما تقدم يتبين ما في هذا القول اجماع من رعاية من الترتيب وذكر الاقرب فالاقرب
 ففى قوله [وبنى الارض ايت الى قوله وما توعدون] ذكر الارض ثم النفس ثم السماء
 فالنفس توسطت بينهما ولها جانبان اليها ونبه على ما في هذه الثلاث من الآيات ثم في
 قوله تعالى [فرب السماء والارض انه سحى ترقى الى الدليل اجماع الاصل وهو
 الاستدلال بالربوبية ثم بقوله [مثل ما انكم تطقون] اكد ذلك بتبثيل ما هو من صفة
 النفس التي هي حرات ما في السماء والارض فاشارة الى ما تقدم من قوله تعالى
 [وبنى الارض ايت] واذكركم ضرب المثل بالنطق وهو اصل اليقين والاستدلال
 فوجهك الى قوله [ايت للموقنين] فهذا انظم هذه الآيات في نفسها واما بالسابق واللاحق
 فقد حرر ان هذه الجملة اعني [وبنى الارض ايت للموقنين الى قوله تعالى مثل ما انكم تطقون]
 مقطوعة على ما بدء به السورة من الدلائل فمن اول السورة الى آخره الجملة استدلال
 بآية الفطرة فاشهد بالرياح والسحاب والارض والسماء والنفس ثم بتبثيلها
 ذكر الاحداث ونبذ هذا النمط ترى في سورة الشمس كما بيناه هنا لك وذلك
 حسب ما تجد كثير في اسلوب القرآن من تشييد ما في الفطرة بما في الوقائع التاريخية
 فعلى هذا حسن ان يذكر من القصص المشهورة ما يمثل لهم امثلة الدينونة الواقعة لينذروهم
 بها وليكون ذلك آية دليلا على الدينونة الكبرى كما قال تعالى [وكذلك اخذ ربك
 اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد] ان في ذلك آية لمن خاف عذاب
 الآخرة [هذا تمحله رعاية حسن مواقع الكلام اختار من الوقائع ما يناسب ويمثل
 بخصوص ما قسم به في اول اسورة من الرمح والسحاب ليكون القسم
 من براءة الاستهلال كما ستعرف بعد تمام هذه القصص فقال عز من قائل حكيم

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٢) إِذْ
 دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا، قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٣) فَوَاعَى
 إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٤) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ فَقَالَ لَا تَأْكُلُوا
 (٢٥) فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً، قَالُوا لَا تَحْزَنْ، وَابْتَغِ الْيَعْلَمَ
 نَعْلَمُ (٢٦) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ
 عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٧) قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ، إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ
 (٢٨) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ (٢٩) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا
 إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٣٠) لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حَارَّةً مِنْ طِينٍ (٣١)
 مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٢) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا
 مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٣) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
 (٣٤) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٣٥)

١١ (تفسير الكرم وما ويل الجبل في آيات (٢٢-٢٤))

قد مر ذكر القصة في سورة هود ولكن نبين ههنا بعض ما يخص بهذا المقام.
 [الْمُكْرَمِينَ] يدل على أن إكرام الضيف بابتدائه والترحيب
 واجب على المضيف وعلى أن إبراهيم كان كريما سما.

[قَوْمٌ مُنْكَرُونَ] هذا الكلام إبراهيم في نفسه فانهم كانوا في زمر الصالحين و
 هم في ذلك الزمان شرذمة قليلة وكانوا من أصحاب إبراهيم ورجاله.
 [فَوَاعَى إِلَى أَهْلِهِ] يدل على حسن خلق إبراهيم وذكره فان الكريم يخفى
 عن ضيفه الاهتمام لضيفته لئلا يثقل عليه وهذا بعد ما كان وادخل في
 باب اسرار العطار.

[أَلَا تَأْكُلُونَ] ای بعد ما قرب الطعام اليهم لم ياكلوه فدعاهم اليه بالرفق .
 [فأوجس منهم خيفة] اوجس احس في نفسه ويستعمل خاصة للنفوس . خيفة ای خو
 يسيرا . وذلك بانهم اصدوا على الامتاع من الاكل فعظموا في نفسه اجلالا وازداد
 النكارة كما جاء في سورة هود [فلما رأى ايديهم لا تصل اليه بكبرهم وادجس منهم
 يئسه .

[لَبِثْشِ مَوْه] ای جبرامتی سمعت سارة فانهما كانت قرية كما جاء في سورة هود
 [وامرأة قائمة فضحكت فبشئها باسخت] ولما كانت ابشارة اليها عرضا لم تنسب
 الى الملكة فانهم لم يتكلموا بها اولا .

[عَلَيْهِمْ] يدل على ان ابشارة بالولد لا تتم ان لم تكن ابشارة بصلاحه واكتفى بالعلم
 لكونه مبعيا لصفات الخير والصلاح .

[فَأَقْبَلَتْ] بعدما سمعت البشارة توجهت واقدمت على اظهار ما في قلبها من
 التعجب كما ينبغي ما بعده .

[فِي صَرَّةٍ] ای تقبض واستنكار من صرا العرس اذ ينه نصبا وهذا لما سمعت
 من الامر العجيب

[فَصَحَّكَتْ وَجْهَهَا] ای ضربت وجهها بيد باسطة وتصور الاستعجاب النساء
 واستنكارهن كما جاء في سورة هود [قالت يويلتي والدوانا عجوزا رزا
 بعلى شيئا - ان هذا الشئ عجيب .]

[حِجَارَتُهُ مِنْ طِينٍ] ای حصبار وبقال لها سجيل معرب من (سنگ گل)
 كما جاء في ذكر هذه القصة في سورة هود [وامطرنا عليها حجارة من سجيل ا
 ن من بينها معنى سجيل والقرآن يفسر بعضه بعضا .

[مُسَوَّمَةٌ] حنة للحجارة ارجال . اما معنى المسومة فقال الا نخش في قوله تعالى

موسى «معلمين ويكون مرسلين من قومك ستوم فيها الخيل اى اسلها» قال
 ابو زيد «الخيل المسومة المرسله وعليها ركبانها وهو من قومك ستوم فلانا
 اذا خيلته وسومه اى وما يريد» فان كان من العلامة فمعنى مسومه ستاحه مقدرة
 كان على كل منها كتابه من الرب فلا تصيب الا من كتب له . وان كان من
 الخيلة فانها مودة عند الرب للمسلمين ويناسب ذلك ما جازنى سورة هود
 [عن بجيل منضود . مسومه عند ربك ، وماهى من الظلمين بعيد] و ما ل التاويلين
 [المسكين فبين] الاسراف هو التجاوز عن الحد وهو لفظ يعم كل ذنب صغير
 او كبير كما قال تعالى [قل يعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من الرحمة
 ان الله يغفر الذنوب جميعا] والعام يمتنع حسب القرينة فهنا اريد به على طريق
 الكناية ما كان قوم لوط يرتكبون من المنكر قوله تعالى [فاخرجنا - اليهم] هذا ليس
 من قول الملائكة - وانما هو من قول الله تعالى اخرجنا فعلم بهم فان الملائكة
 انما اخرجوا لوطا والذين آمنوا معه بعد ذبا بهم من عند ابراهيم عليه السلام . و
 قد دل على انه من كلام الله تعالى بقوله [فيها] كما سنذكره .

[فِيهَا] لم يذكر المرجع وهو ارض قوم لوط وقريةهم الموثقة والارض من الاما
 التى يرجع اليها الضمير من غير ذكر بالدلالة القرينة والقرينة انه من كلام الله تعالى
 فهو متصل بما سبق من قوله تعالى [ونى الارض آيت للوقنين] وقد جاء بالقسم بانما
 لايات الارض وقد ذكرنا فيما سبق ان العرب كانوا اقتبسوا هم آيات هذه القرى
 وقد صرح بذلك فيما اتبعه من قوله [وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم]
 يعنى الآية على الدينونة .

[مِنَ الْمُسْلِمِينَ] لم يكن هناك الايت واحد من المسلمين وهو بيت لوط
 عليه السلام وفيه من هو مؤمن وقد اخرجهم الله ونجا بهم ولكن امره لوط

ایکین من ہولاء المؤمنین وانما کانت داخلۃ فی جامعہم بحسب نظامہ فلذلک
اختار اسم المسلمین فی ذکر البیت .

(نظم ہذہ القصۃ بآقبلہا و بآبعدها) ۱۲

فی الجملۃ السابقۃ ذکر ان فی الارض آیات للموقنین ولا ینحی ان فی الارض
آیات علی رحمۃ الرب بما یرزق بہ العباد و ایضا فیہا آیات علی
نقمتہ الرب بما ترک فیہا من آثار عذابہ المجرمین و کذلک ذکر فیما سبق ان
فی السماء رزقکم و ما توعدون ففی ہذہ قصۃ ابراہیم المشتملہ علی قصۃ لوط
مثل ہم الرحمۃ و البشارۃ و النقمۃ و الانذار ہذہ القصۃ منظومۃ فی سلاک
سبق من قولہ تعالیٰ [و فی الارض آیت] و قولہ تعالیٰ [و فی السماء رزقکم
و ما توعدون] و دل علی ذلک بما ختم بہ ہذہ الجملۃ فقال تعالیٰ [و ترکنا فیہا آیت
للذین ینحافون العذاب الالیم] و بما وصل ہذہ الجملۃ بما سبق بقولہ [فیہا]
کا قد منافی الفصل السابق و بما اختار من اسلوب العطف فیما اتحی بہا
من القصص الآخر فقال [و فی موسی الایۃ] فذل علی ان فی قصۃ ابراہیم
ضیفہ و ما انزل علی قوم لوط لآیت لکم . ثم ہذہ القصۃ تمثیل لما یدویہ السورۃ
کما یتیک بیانہ و کذلک ما بعد ہا من القصص فاتبعہا امثالہا فقال عز من
قائل حکیم :-

وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (۳۸) فَقَوْلَىٰ بُرْكَتُهُ وَ
 قَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (۳۹) فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ فِي الْيَمِّ وَهُوَ
 مُلِيمٌ (۴۰) وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (۴۱) مَا
 تَذَرُونَ شَيْئًا أَتَىٰ عَلَيْهِ الْإِلَهُ أَنْ جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ (۴۲) وَفِي ثَمُودَ إِذْ
 قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ (۴۳) فَتَوَاعَيْنَا مَرْجِعَهُمْ فَأَخَذْنَا مَقْتَهُمُ
 الصَّعِقَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (۴۴) فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا
 كَانُوا مُنْصَرِفِينَ (۴۵) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ
 كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ (۴۶)

(۱۳) (تفسیر الکلم و تاویل الجمل فی آیات (۳۸-۴۶) (۱۴۶)
 [فِي مُوسَى] ای کذلک فی قصه موسی و قائله فرعون آیت علی انتقام اللہ تعالیٰ
 من الجرمین و نصرتہ للمؤمنین کما جاء فی سورة الشعراء [و انجینا موسی و من معه اجمعین
 ثم اغرقنا الآخرين، ان فی ذلک لآیة]
 [بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ] ای بقوۃ و غلبۃ ظاہرۃ و کلمۃ سلطان جامعۃ لما اعطاه اللہ تعالیٰ
 من الآیات الواضحة علی رسالته و لما اعطاه بہما من الغلبة و الطغرف و الہیبتہ و
 ہکذا و صفہ مبین یوافق سنا بالاجماع و بین ما ذکرنا ما جاء فی قوله تعالیٰ [قال
 سحرة غفک باخیک و نخل لک سلطانا، فلا یصلون الیک، یا مینا انما و من اتبعکما
 الغلبون. فلما جاء ہم موسی بآیتنا مینت الآیہ] و ایضا [فاذہبا بآیتنا
 معکم سمعون فاتیا فرعون فقولانا رسول رب العالین.] و بعد ذلک
 [قال اولو جنتک بشی مبین. قال فات بہ ان کنت من الصدقین.]
 [فَقَوْلَىٰ بُرْكَتُهُ] ای اعرض انکارا و استکبارا فالرکن ہہنا ہو الملک

والبار للعدیة كما قال تعالى [واذ انما على الانسان اعرض وناجا بنه] ويشبه هذا
المعنى قوله تعالى في قصة فرعون وقومه [فلما جاءتهم آيتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين . ووجدوا
بها واستغفبتهم انفسهم ظلما وعلوا] فلم يكن انكارهم من شك فان الآية كانت مبصرة
ولكنهم استكبروا ووجدوا بها ظلما وعلوا .

[مَلِيْمٌ] الام جارية يلام عليها اي هينا ظهر خسراؤه وصار بحيث يلومه كل من علم به
[اَلرَّيْحُ الْعَقِيْمُ] اي الريح التي لا تأتي بمطر ونفع وهذا كما سميت الرياح
لوانح اذا درست بالمطر كما قال تعالى [وارسلنا الريح لوانح فانزلنا من
السماء ماء فاستقنكموه] والمراد به الريح الباردة كما قال تعالى [فارسلنا عليهم
ريحا صرصراني ايام نخت] وسياتي بيان ذلك .

[كَالْمِيْمِ] اي ابالي المنكر من الجبل والعظم والشجر فان الريم يطلق على
كل ذلك اذا صار داهنا واهيا . والريح الشديدة تكسر وتزعزع وتلك
والصرصر لبرودها وبها تذهب بالقوة والغضارة والحياة ويشبه ذلك
قوله تعالى في ذكر عاد [انا ارسلنا عليهم ريحا صرصراني يوم خمس ممر .
تنزع الاناس كانهم اعجاز نخل منقعر]

[تَمْتَعُوا حَتَّىٰ حِينٍ] وعلامتهم بنهم صالح بعد ما عقر والناقة ان العذاب
يأخذهم بعد ثلاثة ايام كما جاء في سورة هود [نفقروا فاقال تمتعون في داركم
ثلاثة ايام ، ذلك وعد غير مكذوب]

[فَصَبَّأُوا عَلَمًا مِّنْ رَبِّهِمْ] العثم هو العصيان والاستكبار والصلبة بن
تمل على تضمنه معنى الاستكبار والاستنكاف .

[اَلصَّبْعَةُ] القراءة بالالف هي الحجة ويؤيد ما جاء من ذكرهم في سورة
هود [واذ الذين ظلموا الصيعة] ومن قرأ بغير الالف فاراد التفسير

لما انهم صعدوا شدة الصيحة كما بينه ما بعد ذلك

[وَهُمْ يَنْظُرُونَ] جاع لوجه من المعاني :-

الاول انه كان عيانا وجهه لم يشكوا فيه كما جاء في قصتهم [فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلهم غمار] ونظير الجملة بهذا المعنى قوله تعالى [وانظر قبال فرعون وانتم تنظرون] وهذا كثير.

والثاني كون عذابهم سريريا بغير علم يهلوا كما قال تعالى في ذكرهم [انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتضر]

والثالث انهم بقوا حيارى لا يهتدون لحيمة دين ذلك ما يتلوه .

[فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ] اي لما سمعوا الصاعقة من السماء اخذتهم الخوف

والرعدة الشديدة فالتقوا على الارض كما جاء من ذكرهم في سورة الكهف

[فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في اربهم خثين] اي اخذتهم الرعدة فلتصقوا بالارض

[فَمُنْصَرِفِينَ] ما افعين عن انفسهم كما قال امرؤ القيس

فانشب اظفاره في الف فقلت هبلت الا تنصر

وهذا بيان لما استعمل عليه ما قبله من نفى استطاعتهم على قيام .

[وَقَوْمٌ نُّوحٌ] دل بالعطف على المعنى المفهوم في هذه القصص وقد صرح

به في قصة فرعون حيث قال تعالى [فاخذنه وجوده] فالمعنى انا اخذنا هذه الامم

وكذلك اخذنا قوم نوح من قبل . ويؤيد ذلك نظائره قال تعالى [فكذبوه

فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في اربهم خثين وعادوا وثمود] الى ان قال تعالى [وقاروا

وفرعون وابلس] الى ان قال تعالى [فكلا اخذنا بذنبه الآية] ويشبهه قوله تعالى

[وانه اهلك عادا الاولى وثمودا فما ابغى . وقوم نوح من قبل] اي اهلك قوم

نوح فمكذاهما ولا فرق بين اخذوا واهلك والاصل في امثاله ما يدل عليه القرينة

١٢. (بيان وجه اخص مما ذكرنا لنظم هذه القصص بما يدر بالسورة من القسم)
اعلم ان ذكر قوم لوط وفرعون و نأود و قوم نوح جاري في مواضع من
القرآن و حمل في موضع ما فصل في موضع آخر حذرا عن محض التكرار و اختيارا
للايجاز و اكتفاء بما يكفي للعظة والعبرة و ربما يلح اليه الماعا كما قال تعالى
[هل اتيك حديث ابجد فرعون و ثمود و الذين كفروا في تكذيب] و هكذا ترى
في الزبور تعليمات الى الوقائع المعلومة فمن مر عليها من غير تأمل خفي عليه وجه نظاها
وليس هذا موضع تفصيلها ولكن نور و هينا يستبين به من هذه السورة براعة
استعملها حسن مواقع امثالها فأعلم ان انتقام الله تعالى من هذه الامم
ونصره المؤمنين عليهم كان تبصا ريف الرياح او بالصاعقة او بكتلتها كما سيأتي بيان
في الفصول الآتية فعلى هذا يدر السورة بشواهد الرياح و السماوات الجبك
و قد مر ان المراد بها سماء الشتاء التي تأتي بالبرد و الصواعق الهاكمة .

١٥- (ان قوم لوط اهلكوا بالريح الذارية)

اعلم ان الله تعالى ارسل على قوم لوط ريحا ذارية فاشتدت و انقلبت عاصبا
فامطرت عليهم حجارة من طين و بلغت من شدتها الى ان افكت ساكنهم كما
قال تعالى [فمنهم من ارسلنا عليه عاصبا] و كما قال تعالى [فجعلنا عليها
سافلها و امطرنا عليهم حجارة من سجيل منضوذة] اي هبت الزعازع فهدمت
بيوتهم و عروشهم و عظمتهم بالخصى و الرمال كما قال تعالى [و الموتفة اهو
فحشها ما غشى] . في لسان العرب « الموتفة الرياح التي تقلب الارض
اي يحيل لطنها فخرها كالذي يحرك الارض و اذا جاز سيل عظيم فغطت الارض
بما ترك عليها من الطين و الرمال فهي ايضا موتكة و جرت ريح فطتها قليلا
فهي موتكة (لسان العرب اختصارا)

تنبيه - يرى في بادى النظر ان التوراة تحالف القرآن فيما مضى على قوم لوط
 وفي الحقيقة لا مخالفة بينهما الا من سوء الترجمة فانه قد اخطأ مترجموا التوراة في فهم
 ما مضى على قوم لوط فجعله ناراً وكبريتاً. فاما النصارى فليس المراد بها الا الصاعقة
 وبيان ذلك ان التوراة كثيرة ما تعبر عن الصاعقة بالنار وهذا يظهر مما جاء
 في التوراة من ذكرايات موسى التي وقعت على فرعون فقد جاء في
 سفر الخروج ص ٢٣ « وارسل الله عليهم الرعد والبرد والنار
 تسقى على الارض » والقرآن ذكر هذه الآية فقال [وارسلنا
 عليهم الطوفان] فعبّر عن هذه الامور الثلاثة بكلمة جامعة وهي الطوفان كما سنبينه
 في قصة نوح. وما يؤيد ذلك ان التوراة لم تذكر في قصة هذه آية موسى
 ان النار احترقت شيئا مع انها ذكرت البرد والرعد سبع مرات
 وصرحت مرة بانها كانت مطا حيث جاء « وحين رأى فرعون ان المطر
 والبرد والرعد سكن عصي مرة اخرى » وقد ذكرت ما كان من ضرر المطر و
 البرد حيث جاء « كانت الشجر في سنا بلها والكتان في طلعا » ولم تذكر
 ضرر النار شيئا ويشبه ذلك ما جاء في مزبور ٨٨: ٨ « النار والبرد و
 الصقيع والنعام والبصر صرتمين كلمة » فالظاهر ان المراد من النار هو البرق
 والصاعقة واما ما ذكرت التوراة في قصة قمرية لوط من ان ابراهيم رأى
 من بعيد ارتفاع الدخان فليس الا ما رآه من ارتفاع الغبار الاسود من بعيد
 هذا واما الكبشيت كما جاء في سفر التكوين ص ١٩ ف ٢٢ « وامطر
 الملك على سدوم وعمورة كبريتا ونارا » فليس المراد به الا الحجارة وبيا
 ذلك ان الكلمة التي ترجموه كبريتا هي الكسبار ودخل من هذا الباب غلط
 في لسان الانكليز في معنى برم اسطون (الحجر المحروق) فظنوا انه الكبريت

ولكن ~~التي~~ ان المراد به الحصباء فانك ترى في سفر ايلوب ~~ما~~
 ها حيث يذكر موت الاشرار "ليكن في بيته من ليس له (اي الاجنبي الذي
 ليس من اهل) يذرع على مريضه كبريت" اي يضد على قبره جنادل كما هو العادة و
 لاسمى لذور الكبريت على مرقدته. فقد تبين ما ذكرنا ان الله تعالى ارسل على
 قوم لوط رجا ذارته شديدة فغطتهم ومساكهم وان صح ما في نسخة التوراة فالرب
 عليهم الصاعقة ايضا.

١٤- (ان فرعون وقومه اغرقوا بالريح الشقية)

اعلم انه قد ذكر قصة موسى وفرعون في التوراة والقرآن اجمالا وتقصيلا و
 لم يستوعب كل الاستيعاب في سورة بل ربما اكتفى بمحض التلخيص لشهرتها ومعرفته
 الناس بها وهي مفصلة في التوراة وفيها التصريح بعل الريح العجيب في هذه
 الواقعة فاكفى في القرآن ببعض الاشارة اليه وبيان ذلك انه جاء في
 سفر الخروج ص ١٧ "ودموسى يده على البحر واذهب الله البحر بريح
 شديدة من المشرق طول الليلة وحمل البحر مياها وافتلق الماء، ثم اهدى الريح
 في الصبح فحين اشدت الريح حلت الماء الغمر الى المغرب في خليج سويس
 وترك ارض النيل الشرقي خليج عقبة ميساو حين جرت يسرا رجعت بالماء
 في محله فغشى الذين اتبعوا طريق موسى في البحر وجاء تصديق ذلك في القرآن
 ففي سورة النحاس [فاسرعبادى ليل انكم تبكون. واترك البحر هواء،
 (اي ساكنان الرهبان هو اسكون وسكون البحر يكون بكون الريح) انهم
 جند مغرقون.] وفي سورة طه [ولقد اوحينا الى موسى ان اسرعبادى
 فاضرب لهم طريقا في البحر مياها لا تخاف دركا ولا تخشى. فاتبهم فرعون مجوده
 فغشيهم من اليم ما غشيهم] وفي سفر الخروج فيا حمدا به موسى ربه ص ١٤

ف.. انت ارسلت ريكافقيهم البحر، وفي سفر التثنية ص ١٠ والى
عملها يمشي مصر بجليهم ومراكبهم حيث اطاف مياه بحر سوف على وجوههم حسن سوا
وراءكم فابادهم الرب الى هذا اليوم" وجملة القول ان الله تعالى نجى موسى
وقومه بالريح الشديدة واهلك فرعون وجنوده بالريح اليلنة وذلك من اجاب
لتصاريفها.

تنبيه قد اختلف اهل الكتاب في موضع عبور بني اسرائيل واكثرهم على انهم
عبروا خليج سويس ولكن الصحيح انهم عبروا خليج عقيبته وكذلك وهم بعض المتكلمين
في زماننا ان الله تعالى نجى موسى بالبحر واغرق فرعون بالمد والبطانين
الوهمين ببعض البسط في غير هذا الموضع.

١- (ان عاد اهلكوا بالصرص والصاعقة واما ثمود فاهلكوا بالصاعقة فقط)
ما جاء في القرآن من ذكر عاد ولا يخفى على المتوسم ان الصرصر التي اهلكوا بها كانت
مصحوبة بالسماء الشامية التي تاتي بالصاعقة فانه كما صرح بانهم اهلكوا بالريح
فذلك تجد التصریح بان جاءهم سحاب خال وصاعقة. ففي سورة الاحقاف
[فلما رأوه عارضاً مستقبلاً وديتهم قالوا ابداء ارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به
ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شئ بامر ربها] ولا شك ان هذا كان في اشتاء
حين تهب الشمال بالصرصر في ايام الخس والسنة كما جاء في سورة القمر
[انا ارسلنا عليهم ريحا صررنا في يوم خمس مزم] وكما جاء في حم السجد
[فارسلنا عليهم ريحا صررنا في ايام نخسات] ولا يخفى ان هبوب الصرصر
الايام الخمس من احوال اشتاء قالت ليلى الابخيلة ه
ولا تأخذ الكوم ابلا دسلاهما ثوبتي في نخس اشتاء الصاير
وقال الفرزدق ه

بقت له ذمها ليست بلحقة تدرا إذا ما هب نحسا ثناها
فهذه الريح اشتوتية كثيرا تأتي بالسحب المقطعة المحرذات الجبك وبالبرد
والصواعق كما جاء ذكرها في كلام العرب وقد سبق بعضه في الفصل الثاني. ثم
ترى التفرج بالصاعقة في غدا ب عاد كما جاء في حم السجدة [فان اعرضوا
فقل انذرهم صاعقة مثل صعقة عاد وثمود] وهذا لا يغادر شبهة في ان ارسل عليهم
صاعقة فقد تبين ما ذكرنا ان الله تعالى ارسل عليهم سحبا خاليا وريحا شديدة
تكل الوقر الثقيل وصاعقة بالهة. واما اكثر ذكر الريح لان عملها كان اشد فيهم فعملتهم
والقتهم صرعى على الارض. وكذلك تبين ان الصاعقة من آثار السماء اشتوتية
فعلما استدلالا من الاثر على الموشربان ثم وارسل عليهم السامذات الجبك
التي انزلت عليهم الصاعقة الهائلة والصيحة الصاعقة كما ارسل على عاد عارضا ذنبا
واذ كان هلاك ثمود مخض الصاعقة كما جاء في سورة القمر [انا ارسلنا عليهم
صيته واحدة فكانوا كهشيم المحتضرين] اكتفى بذكر الصاعقة ولم يذكر السحاب وهي
تدل عليه التزاما وهذا كما اكثر ذكر الريح في قصة عاد واما ذكر السحاب مرة واحدة
والقرآن كثيرا يترك تفاصيل القصص لاسباب قد سماها في اول الفصل
الرابع عشر.

١٨ (ان قوم نوح اهلكوا بالريح الشديدة)

لم يذكرني هذه السورة من قصة نوح وقومه غير اشارة الى انهم اخذوا مثل هذه الامم
ولكن النظر فيما ذكر منها في التوراة والقرآن يدل تصريحاً واثارة على انهم اهلكوا
بالريح الشديدة وذلك بانه جاء في سورة العنكبوت [ولقد ارسلنا نوحا الى
قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان وهم ظلمون] ولا
شك ان الطوفان مصد بمعنى الدوران ليست عمدا العرب لما يظنون من

الرياح الشديدة قال الراعي صيف الناقة سه

تسمى اذا العيس ادر كنا نكاشتها خرقا ليتها وبها الطوفان والزود

وبهذا تجد اسماءها في السنة اخر شلا في الفارسية تسمى گرد باد (الرياح المدورة)
وفي الانكليزية ساكلون (الدوارة) وفي الهندية بگولا (دائرة الرياح) وكان
المصريون يزعمون بالرياح الشديدة ليموت طائفون ومن خاصة هذه الرياح شدة
المطر وفوران الماء من البحر وقد شاهدنا ذلك من طوفان جاء من مشرق بحر الهند
الى مصر وحينئذ كنت في مدينة كراچی فانزل مطرا شديدا وقذفت السفن على
البحال وفعل ما فعل. ويطابق بذلك ما جاء في تصوير طوفان نوح في القرآن والتوراة
قال تعالى في سورة القس [ففتحنا ابواب السماء بما منههمز وفجرنا الارض عيونا
فالتقى الماء على امر قد قدر.] وفي سفر التكوين ص ١١... في
ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء، و
في سورة هود [وهي تجري بهم في موج كالجبال] ومن ركب البحر علم
ان الامواج كالجبال لانثأ الا برياح شديدة وفي ذكر الاثر دلالة على الموتر وقد
صرح القرآن في غير ما آية بآيتين نشأة الامواج والرياح من الملازمة كما قال تعالى
[هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم برّيح طيبة و
فزعوا بها جاراتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان] وفي قوله تعالى
[وهي تجري بهم الآية] دلالة على الرياح كما يؤيده قوله تعالى [ومن آية ابجاء
البحر كالاعلام. ان نشأ يسكن البريح فيظلمن رواكده على ظهريه] ونوله تعالى
من آية ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته وتجري الفلك بامر
وبآية القدرين ان الله تعالى ارسل على نوح رجا شديدة ودائرة مسطرة
انزلت مطرا شديدا وهببت الماء من بحور حول ارضهم وانشأت الامواج

العظيمة واجرت سفينة نوح الى جبل الجودي ثم سكنت .

تسنيه . في سفر التكوين ص ۱ واجاز الله ريحا على الارض فهدأت المياه ۲ . والنسبت ينازع الغرو طاقات السماء فاقطع المطر .

وتبادر من ذلك ان الله سكن الطوفان بريح أخرى لينته ولكن الاقرب ان المراد به مجرد امر الرب كما جاء في سورة هود [وقيل يا رضى ابلعي ما رك . وياسماء اقلعي وغيض الماء وقضى الاسر] وذلك لما في العبرانية من كلمة شترة بين الريح والامر والكلمة فجاء القرآن بصحح الخبر وانما ربما يأتي ما يصلح ما دخل في كتاب الله من التحريف والتبديل كما هو مبسوط في موضع .
 ۹ (الظرة في ترتيب هذه القصص ونظمها بالمقسمة وبالعبارة من ذكر الآيات) قد تبين ما سبق ربط هذه القصص اجالا باقسامه في اول السورة وبقية النظري ترتيبها على سبيل التفصيل ولما كان قصص القرآن شتمة على وجه من العبر والدلائل جاءت على ترتيبات مختلفة حسبما يليق بمواضعها فهنا نكتفي باسبين نظمها المرعى في هذا الموضع فاعلم ان قصة ابراهيم ولو ط واصله في جمع البشارة والانداز وبكذا امر الريح فانها مبشرات عموما و احيانا تكون منذرة ففعل قصة ابراهيم تهيدا لما ذكر بعد ها من النذر ثم كانت العرب تمر كثيرا على قرية لوط وترى آثار ما امطر عليهم فكانوا اقرب الى ذكرها ثم هي مطابقة بما هو مقدم في المقسم به وهو قوله تعالى [والذيت ذروا فاحكك وقرا] فان الله تعالى اهلكهم بريح ذرت عليهم الرمال والحصار وحملت منها وقرا ثقيل حتى غطتهم ومساكنهم ثم هذه القصة منظومة في سلك ما تقدم آنفا من قوله تعالى [وفي الارض آيت للمؤثنين] كما مر في الفصل السادس عشر فقد هما لهذه الوجوه الاربعة . واما قصة موسى فهي اكثر القصص ذكرا في القرآن

والتي اثراني الكتاب ثم هي مطابقة لما هو التالي في المقسم به وهو قوله تعالى [فأحلت قرا
فأحلت يسرا] اجما سبق من تأويله ثم صدر بهذه القصة والتي قبلها باسماء الانبياء فكانت
اولى بالتبشير فضمها بثلثها ثم ذكر ما فيه الاشارة فذكر قصة عاد وثمود واسمها وكان عنداهما
من آيات السماء ذات الحجب كما علمت فذكرها بعد الاولين وحسب ذلك
جاء القسم بالسماء بعد القسم بالرياح وقدم عاد القديما زامانا وكون قصتها جامدة للريح
والسماء فكانت اولى باقيلها.. واما قصة نوح فقد جعلها الآية باقية لرحمة على جميع الامم
كما قال تعالى [انا لما طغى الماء علمكم في البحار] ليعلمها لكم تذكرة ولتعيها اذن واعية [وقد
علمت في الفصل السابق ما كان فيها من ظهور آيات الارض والسماء والريح والسماء
والفلك والماء فكانت جامعة لآيات الله في الانفس والافاق فكانت مناسبة بما
بدء به السورة من القسم بالريح وبما حتم به الدلائل من جوامع الكلم في آيات الارض
والنفس والسماء فمن موقعها بعد ذكر الآيات السخاصة تمثيلا جامع لما قدم من الدلائل
وايضا كان قوم عاد وثمود خلعت بعد قوم نوح فوصل بينهما كاتجدة ذلك حيث يذكرهم
على ترتيب الزمان واشبه الآيات بذلك قوله تعالى [وانه اهلك عاد الاولى وثمود فمما بقي
وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واظنى] واذكروني معجزة الامامع اليها الشهرة امرها و
بعد عهدها واشتراك جميع الامم فيها فذكرها اتماما واستطرادا ثم رعاية للايجاز المرعى فيها
سبق دل على كونها مستقلة لقطعها عن نسق ما تقدم بتغيير الاسلوب فلم يقل "وفي نوح"
كما قال فيما تقدم [وفي موسى] [وفي عاد] [وفي ثمود] وكذلك لم يأت بهاتي نسق عند تصنيفه

(نظم هذه الجملة ما بعد ما)

(٢٠)

لا يخفى ان اهم مطالب الدعوة الاولى الثلاثة اصول: التوحيد والدينونة والرسالة ولما بين
هذه الثلاثة من الاتحاد والاتصال ربما تذكر معا وربما تخلص من بعضها الى بعض وقد
سبق في ادخل الفصل الثامن ان دلائل الدينونة والرسالة متفرقة على التوحيد وارجو

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٢٤) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ
 الْمَاهِدُونَ (٢٥) وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٦)
 فَهَرُوا إِلَى اللَّهِ . إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٧) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ
 اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ . إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٨)

الیه فعلی ید بعد ذکر الاولی علی الدنویۃ اتہا بالاسد لال علی التوحید وکن لم یقطعہا بل
 وصلہا وخصص منہا الیہا وضمنہا المطلب الثالث ویو ذکر الرسالۃ فقال عز من قائل خیر
 (تفسیر الکلم و تاویل اکمل فی آیات (٢٤-٢٨) (٢٩)

[وَالسَّمَاءَ] [الـ] عطف علی ما سبق من دلائل الوقائع فان الدلائل الفطرۃ شہادۃ آخری
 [بأید] ای بقوة . ایدہ قواہ . کما قال تعالیٰ [انتم اشد خلقا ام السماء بہا . رفع
 سکہا صوبہا] والسماء منظر القوة العظمی والحکمة الباہرۃ کما فصل فی غیر ما آیۃ
 [لُمُوسِعُونَ] ای ذوسعۃ فی الاقتدار فلا نہایۃ لقدرتہ کما یوظاہر علی کل من نظر فی السماء
 وناہیہا وسعہا واحاطتہا ورفعتہا .

[فَرَشْنَاهَا] [الـ] ای جعلہا فرش موطن کما قال تعالیٰ [جعل لكم الارض فراشا] و
 ایضا [لم یجعل الارض ہادیا] وایضا [ہو الذی جعل لكم الارض ذلولا فامشوا
 فی مناكبہا]

[خَلَقْنَا] موقع الآیۃ بنہ علی ان بناء السماء وفرش الارض داخل فی قولہ تعالیٰ
 [خلقنا] ای کانتہ بنی السماء وفرش الارض واخرج من ہذین الزوجین منافع
 لعبادہ فکذلک من کل شیء خلق الزوجین لعلم تذكرون المعاد وتعرفون بکونہا و احدا
 فوق الخلق کلمہ مدبر تقدیرا جماعیکما وسیاتیک بیان ذلک فی الفصل التالی .
 [زَوْجَيْنِ] فی معنی الزوج و جہان الاول کون احدهما تاما لاخر یصلح ہذا الذاک

حتی تا بتایید نتیجه من بینها کما قال تعالی [و اصلحنا له زوجة] و آتانی کون احدہما قسما متقلا بلائلا
 کما قال تعالی [و انزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجنا من نبات شتی] و شدہ [و انبتنا
 فیہا من کل زوج بہج]

[مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ] منہ امی من عنده و لیست صلہ للنذیر فانه لا یقال انذرہ منہ بل انذرہ
 ایاہ کما جاء فی القرآن کثیرا . و ہذا القول لم یکرر لمحض التاکید بل لکل تاویل علی حدیث حسب
 محله فان محل الاول الترغیب فما ولید انہ تعالی من رحمۃ ارسل الیکم نذیرا لینذرکم عواقب
 النفع و الرکون الی المویقات لکی تقرروا منہا الی ربکم الرحیم التواب و الثانی محل الترہیب
 فما ولید . ان الشکر انعم عظیم و لا عذر لکم فانه ارسل الیکم نذیرا مبینا من عنده .

۲۲ (الاستدلال بخلق الزوجین علی التوحید و ما یلزمہ من الایمان بالرسالہ و المعاد)
 اعلم ان الدلیل علی امد الواحد واضح علی العقول فطرۃ و لذلك تری اکثر الملل مذمۃ
 بہ لما ان ہذا الخلق المشہود لبحا بہ و عظمہ و سعۃ کما شاہد علیہ و لکنہم و اهلون عن النظر البصیح
 فیہ فمع الایمان بانہد کانہم لم یؤمنوا بہ کما قال تعالی [و ما یؤمن اکثرہم بالادہم مشرکون]
 فالقرآن کثیرا ما یدعو الی الخلق بوجہ تنفی الشکر و تتماصل جرثومہ و ینیہ علی ما یلزم
 التوحید من الایمان بالمعاد و اکرسلہ و قد اکثر القرآن من ہذا النمط اجمالا و تفصیلا و یریس
 ہذا موضع البسط فلنکتفہ ہنا بقدر الحاجة فنقول و بامد التوفیق - اعلم ان الاستدلال
 ہنا بخلق الزوجین من کل شئی علی زوجین حسب معنیہ للزوج . اما الوجه الاول فان
 الخلق مع سعۃ و اختلافہ فی الطبائع شاہد علی رب واحد مدبر قاهر علیہ فانه لو کان فی
 کل خلق رب یدبرہ لم یکن بین طبائع افرادہ تواطؤ علی نتیجہ لیست عائدة الیہا فانک
 تری افرادہا مسخرة لنفع البعد ہا زعم الملحدون ان کل موجود نشأ و تم و ترقی لقوی مستترة
 فیہ فابرز اعضاہ لما یصلح بشؤنہ و یقضى حاجاتہ فہذا مع سخاۃ لا یکشف عن امر خارج
 عن نفس الشئی و ہو مناسبتہ لما ہو فی غایۃ البعد عن علمہ و حاجاتہ فمناستہ زوج لزوج

تستدعي خالقها خارجا عنها عالما بمصالحها لكي يجعل احد الرزجين موافقا للآخر ولا يخفى ان
هذا العالم بأسره شئ واحد وفيه امور غير تامة تقتضي تمامها زواجهم به وتتم به مصلحة كليهما
وهي الدار الآخرة فهذا الاستدلال يتضمن امرين عظيمين : الاول اثبات خالق قادر حكيم
جبل الخلق بعضه تماما وزوجا للآخر واصلاح هذا الذالك حتى يتجنا منافع لعباده والثاني اثبات
معاد ودار أخرى لهذه الدار المشهودة وهذا الاستدلال مبسوط ببعض البسط في تفسير
سورة الشمس فراجعها واما الوجه الثاني فانكم ترون الخلق مختلف الانواع يختلف
بعضها بعضا مع اتحادها في الاصل واما وجهها من الاسباب العامة فهذا يدل على رب
مدبر يرزق هذه الانواع كلها على نقيض فلا بد انه واحد فوق كل ذلك ويسوسها مع تصادها
وتشكسها بحيث لا يتعدى بعضها على بعض فلا خبط ولا شطط وهذا كما يدل على تصرفه بالقدرة
والصرف والعلم والحكمة فكذا يدل على جعل الكل جبايلق له فلا بد انه لا يجعل المحسن
كالسي ولا الطالح كالعاصي وهذا برهان واضح على صوة المعاد وقد فصل ذلك في
مواضع من القرآن فاكثفينا ههنا بما يجاز القول - وهذا الاستدلال بخلق الرزجين
بكل الوجوهين كما يدل على خالق واحد مدبر لما خلق فكذا يدل على رب روف ودود
احاط الكل علما ورحمة فنجيع الخلق من السمار الى الارض مسخر مقهور تحت قدرته و
مجرى الى المنافع لعباده واذا احاطت قدرته ورحمته فهو الملجأ والمستعان وحده وبه
انخير كله وبأذنه يقع الضرر لمن خالف امره والتمس النجى من غيره كما صرح به القرآن
كثيرا ومنه قوله تعالى [ما يفتح الله للناس من رحمته فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له
من بعده وهو العزيز الحكيم] يا ايها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله
يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فاني توفكون [اي فاني تصرفون عنه وهو
الملجأ والمولى وترون نعمه ابنة ورحمته الواسعة ومن كمال رحمته انه يبعث الرسل
ليحذروا الناس عن سيئات اعمال الذين يحيدون عن سبيل النجى ويوفكون عن

المولى اتحن فوظيفة الرسل ان يذروا الناس ليفروا الى مولا هم وينسب لهم اطل عليهم من العقاب. فمن استجبر عن الاصفاء الى رسد الناصحين لهم بقول واضح وبيان بين فقد اورد نفسه الهلاك فلا لوم الا عليه وذلك بانه اتى عن مولا ه ثم لم يسمع لداعيه فانكر بما يقع عليه من نتائج اعماله السيئة فذلك ثلثة اسور وهذه الايات ناظرة اليها وداعية الى التوحيد بوجه تضيمن الدعوة الى الرسالة والايمان بالمعاد ودين انهما من لوازم الايمان بالله الواحد الرحيم القادر الحكيم.

(٢٣٣) (تنظم هذه الجملة في نفسها وبما سبق وبما اتحن)

اتضح مما سبق ان حاصل هذه الايات الدعوة بآيات الفطرة الى ان الله تعالى هو ربكم الذي آواكم ورزقكم وقد تبين لكم النذر والاشغال من عصوه ولم يسمعوا رسد فان سلكتم طريق بولاء يخاف عليكم بعض ما وقع على تلك الاحم كما قال تعالى [ان اعرضوا فقل انذركم صعقة مثل صعقة عاد وثمود] وايضا تبين انه لا رب ولا محير سواه كما قال تعالى [وهو يبيد ولا يبجار عليه] وقد تبين لكم من كل شئ اثار رحمة قدرته واحاطة علمه وحكمته ففروا اليه واسمعوا لمن ارسل اليكم داعيا اليه والى جميع انبيات لينفركم فانه واسع المغفرة وترى مثل هذه الدعوة في رسالته توضح كما قال تعالى [انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم. قال يقوم اني لكم نذير مبين. ان اعبدوا الله والتقوه واطيعون. يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسي الاية] وهذا من باب جمع الترغيب بالترهيب وترى رعايته ذلك في قصص القرآن كثيرا مثل قوله تعالى [نبى عبادى انى انا الغفور الرحيم. وان عادى هو العذاب الاليم. ونبيه عن ضيف ابراهيم] فهكذا ههنا اورد قصص الاليم للمحض الانذار بل لكي يتوبوا الى الرب الرحيم ثم بعد ما فرغ من البنية على الدلائل الواضحة من كل باب ومن الدعوة الى الرب تعالى الواحد وهو الال

كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُونٌ
 (٥٢) أَتَوَا صَوَابَهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُوتٌ (٥٣) فَقَوْلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ
 بِمَلُومٌ (٥٤) وَذَكَرُوا فَاتَ الذِّكْرِ سِي تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥) وَمَا
 خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ
 رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ
 الْمَتِينِ (٥٨) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا
 يَسْتَجِيبُونَ (٥٩) قَوْلَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٦٠)

من المطالب الثلاث عطف الى تسليته النبي المتضمنة لمطالب مهمة وهذه كثيرة في
 القرآن ورجاء تراه في اواخر السور كما مر ذكر ذلك في تفسير السورة السابقة مع
 بعض الشواهد فعلى هذا الاصل ختم السورة بالتسليته على اسلوب جامع لمطالب مهمة
 كما سيأتي ذكره فقال عز من قائل حكيم

(٦٣) (تفسير الكلم وتاويل الحتمل في آيات (٥٦-٦٠))

[كَذَلِكَ] [١] اول بالاستئناف على الشروع في خطاب آخر و اشار كذلك الى ما سبق من
 انكار الامم بالرسول فكانه قيل كما ان هؤلاء المذكورين السابقين كذبوا فكذلك كل من قبل
 قوبك المتكبرين كذبوا برسولهم فلا تخزن عليهم ولا يفتق صدرك من تاخر غلبته اتحتي فتستعجل بالفتح
 [قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُونٌ] قد مر سبق من ذكر قول فرعون لوسى (فتولى بركنه وقال ساحر او مجنون)
 فكذلك كان قول الله كذبته وقد جاء في القرآن ان كفارا لعرب قايوا مثل ذلك

لنبيهم فهذا يشير الى قولهم

[أَتَوَا صَوَابَهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُوتٌ] الاستفهام للاستنكار وبل للاضراب لينذكر ما هو
 الحقيقة كانه قيل ما اجد قلوبهم فهل تواصوه به فاختلف يتبع السلف تقليدا فلا يعلمون

عقوبهم ثم اضرِب عنه فقال بل ذلك لعقوبهم وطغيانهم.

[فَقُولْ لَهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ] اى اعرض عنهم واهملهم والامر بذلك لا يكون للاعراض الكلى بل للاهمال لتسكن شدتهم وللصغ عن سعى قولهم تكبرا وتوكيلا الامر بهم الى ربهم كما قال تعالى [فذكر انما انت مذكر مست عليهم بمصيطر الاسن تولى وكفر فيعذب الله العذاب الاكبر ان ايننا اياهم ثم ان علينا حسابهم] وكما قال تعالى [فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب] ولكف عن الاسحاح الذى هو من شئنة الانبياء كما ذكر في امثال قوله تعالى [لعلك باخع نفسك على اثمهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا] ومنها قوله تعالى [فلا تذبذب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم باليصنعون] ولهذه الوجوه يقرن هذا الامر بالتهديد للمكركين وبتوعد النصر للمؤمنين وتسلية النبى بانه برئ الذميمة بعد اتمام النجاة والبلاغ المين فلا تلج على المنكرين وبأمر النبى بالتوكل والصلوة والركع بما جعل الله للكفار من المهلة فان الله تعالى هو الوكيل ويعطى الهداية لمن يشاء حسب علمه باحوال عباده ولا يحيل بالعذاب بل يهمل لكي يتوب بعضهم فعلى النبى والمؤمنين ان يصبروا ويصفووا ويثبطوا وعلية الحق والفرقان وعلى ما ذكرنا شواهد كثيرة فمنها قوله تعالى [واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا. وذرنى والمكذمين اولى النعمة واهملهم قليلا ان لدينا لكالا جميلا فانا غصته وعدا ابا اليما] وقوله تعالى [واعرض عن المشركين. انا كفيناك المستهزئين. الذين يحيلون مع الله الهما آخر فسوف يعلمون. ولقد نعمناك يضيئ صدرك بما يقولون، فسبح بحمد ربك وكن من السجدين. واعبد ربك حتى ياتيك اليقين.] وقوله تعالى [ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين. انهم لهم المنصورون. وان جدنا لهم الغلبون. فقول عنهم حتى حين. والبصر هم فسوف يبرءون. افبعدا بنا يستجلون. فاذا نزل باخهم فساء صباح المنذرين. وقل عنهم حتى حين. والبصر هم فسوف يبرءون.] وسورة الشعراء كلها تبين طرفا

من هذا التأويل وهو ان الله تعالى لا يلجئ بالافذ وان اكثر المنكرين لا يؤمنون
 فعلى النبي ان لا يحزن لبطا الفضل فذكر فيها قصص الامم ورجع بعد كل قصته بقوله
 [ان في ذلك لآية] وما كان اكثرهم مؤمنين . وان ربك هو العزيز الرحيم .
 [وذكر كرم] اى مع الاعراض عن هولاء لا تترك التذكير العام كما من حكمة ذلك فيما بعد .
 [الذكر مريم] اى عاتمة ولكن غالب النظر ههنا الى التذكير بالعباد كما قال تعالى [وذكرهم بما
 اللهما وجا كثير البعد دلائل البعث مثل قوله تعالى [ان في ذلك لذكرى] او قوله [تبصرة وذكرى]
 [ذو القوة المتين] لكون الوقف على المتين لا يظهر اعرابه فلا يكون موضعاً للاختلا
 القراءة فيه وانما اختلفوا في فهم اعرابه فمنهم من نظمه جراً على انه وصف للقوة فان القوة
 في الاصل هى طاقة الجبل والجبل يوصف بالمتين عموماً فجاء وصفا للقوة وانما لم يونس
 كونه فيصلاً كما ترى في قوله تعالى [ان رحمة الله قريب من المحسنين] وانه من نظمه
 رخصاً على انه وصف لذى القوة ولكن المتين لا يوجد في صفات الرب تعالى فلا بد ان
 يكون بتقدير فاعله اى المتين قوة فلا اختلاف بين الاعراب من جهة التأويل .
 [ذوياً] الذنوب الدلو الملائى ولا يقال لها ذنوب وهى فارغة ومنها للخط و
 النصيب قال ابو ذؤيب

لعمرك والمنايا غالبات لكل بنى اب منها ذنوب

وقال علقمة بن عبدة يمدح حوثنا

وفى كل قوم خطبت نبمته ففى لشاش من ذاك ذنوب

والمراد ههنا والله اعلم ان هولاء الظالمين خطا محمد ودا من المدة يتمتعون فيها حتى
 تملأ هذه المدة من جهة الرب بما قدر لهم من الرزق والمتع ومن جهتهم ما يعطون من سيات
 اعمالهم ففى عليهم العذاب وما احسن كلمة ذنوب دلالة على هذا المعنى وسين
 هذا التأويل ما بعد ذلك وعليه شواهد كثيرة فمنها قوله تعالى [وربك الغفور

ووالرحمة. لو يؤخذ بهم باكبو العجل لهم العذاب، بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موثقا [اي لهم زمان موقت فالمراد بالذوب هو الزمان الذي اعطى لهم فاذا امتلأ بما قدر لهم من المتع وعلموا ما هم عاملون فيه فكان ذلك ذنوبهم اي خطيئهم من الزمان والهبلة
 (٢٥١) ميل قوله تعالى [وما خلقت الجن والانس الا ليعبدن] الى قوله [المتين]

لما كان هذه الآيات الثلاث شتمه على مطالب مبهمة من بيان غاية خلقها ولزوم العمل بها وبشارة للمؤمنين وانهذار للمكركين كما سنذكرها في هذا الفصل مع امور آخر وكان نظها متضمنا للاستدلال على المعاد وازالة شبهة تقتري المكركين لعدم اخذهم بالفور وبذلك يتبين اتصاها بما سبق ونحو من الامر بالاعراض والانتظار تجنبا الى بيانها ببعض البسط فنقول بعون الله وتوفيقه. اعلم ان سياق هذه الآيات بيان حكمه الاعراض عن هؤلاء المكركين الطاغين واهمالهم لمدة كما صرح بذلك في مواضع وقد سبق بعض الشواهد عليه. فموقع الدليل لما سبق من قوله تعالى [قول عنهم فان لم ينزلنا سلطانا فلنؤمنن بالله ورسوله] ونقصيل هذا الاستدلال ان الله تعالى لم يخلق الجن والانس لاستخدامهم كما يستخدم السادة خدامهم ليجعلوا لهم الارزاق ويكنوا لهم قوة وشوكة فانه تعالى هو المتكفل برزق عباده وبالحكمة فانه تعالى لم يخلقهم ليستخدمهم ومع ذلك لم يخلقهم عبدا واهوا فلا بد انه تعالى خلقهم لكي يسعدوا ويتنعموا برحمته فمن تأمل ذلك تبين له ان سعاده في ان لا يبدربه لانه لم يامرهم الا بما فيه نفعهم وكاملهم ولذلك قد خلقوا وذلك بان غاية الخلق اكمال وجوده فان الخيرات مكونة فبالخلق تظهر وتخرج من القوة الى الفعل فتوجد خيرات اخر حتى يرتقى الخلق الى كمال رفعة وسعاده كما قال تعالى [من كان يريد العزة فلله العزة جميعا. اية يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه] واذا كان ذلك فلا بد من

امرین الاول انه تعالى لا يستجلب بعد ايهام اذا لا بطل ما بقى في المخلوق من الخيرات
كما قال تعالى [ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليهم من توبة ولكن يؤخرهم الى اجل
مسي] فلذلك يهملهم حتى يرجع من كان فيه ادنى استعداد او يتم عليهم حجة و
الامر الثاني انهم اذا لم ينهوا عن السيئات وتمت عليهم حجة الرب فلا بد من اهلاكهم
كما قال تعالى [ولمك القصرى امكنهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا] وقوله تعالى
[ذوالقوة المتين] جامع لوجهين الاول ان هؤلاء ليسوا مثل الخدم بدهم ذبيحة
لكسب الارزاق وسببا للقوة والشوكة حتى اذا خرجوا عن الخدمة دخل الضرر في
منافعهم او انحلل في ملكهم فان الله تعالى لا ضعف في ملكه والثاني انه تعالى اذا
اهملهم لمدة فليسوا خارجين عن بطشه فانه محيط بهم فاذا شاء اخذهم فلذلك جعل
للمنكرين مهلة ومدة كما بين ذلك فيما وصل من قوله [فان للذين ظلموا ذنوبا بالآية] وعلى
هذا فقوله تعالى [وما خلقت الجن والانس] الى قوله [المتين] كما يدل على
المنكرين على امرين اهما لهم مهلة واهلاكهم بعد اكمالهم فكمذا يدل في جانب النبي
على امرين على محض الدعوة حسب امر به وعلى جعل باقى اوقاته مشغولا بالصلاة
والتضرع وذكر الله وحمده وتبجيله فان كليهما عبادة ويدل على ذلك نظيره
الآيات وهو قوله تعالى [وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها بالنساء]
رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى [ففى كلا الموضعين دل على لفظ الاستحسان
وجوب العبادة وقد جاء الامر بالصلاة واستبطل الى الرب وتوكيل امر
المنكرين اليه في مواضع كثيرة هكذا ههنا دل على ان كلنا عبادة والامور تجري
حسب شئته وحكمته. **هـ** وما ذكرنا النسخ ان هذه الآيات
اشتملت على حكم عظيمة ولذا ذكرها الآن :-

(١) حكمته المخلوق وغاية وهى العبادة لله وحده

(٢) الفرق بين العبادة والخدمة وذلك بين حقيقة الربوبية.

(٣) ضرورة الاهمال من جهة حكمة الخلق ورحمة الرب .

(٤) لزوم الدينونة وغلبة الحق من جهة حكمة الخلق وعدل الرب .

(٥) عدم التمتي لفصل الامر بالغور بل الرضى بما يجري امد من الامور حسب حكمته وعده ورحمته .

(٦) كون الصلوة وذكر الله راس العبادات لتضمنها الخضوع والتوكل .
وعمود هذه الآيات المعاد فان كون الخلق لغاية يدل على ان العباد ليسكون ويجزون
ثم ذلك ايضا يدل على انهم لا يسبقون الالامة حسب مقتضى الحكمة وهذا يدل على
غلبة الحق وان الباطل انما هو لوقت وقد صرح بذلك في مواضع ومنها قوله تعالى
[وكم قصصنا من قمرية كانت ظالمة وانما تابعدا قوما آخرين . فلما احسوا باسنا
اذ هم منها يركضون . لا تتركضوا وارجوا الى ما اترقم فيه وسكنتم لعلمكم تسكنون
قالوا ايولنا انما كنا ظالمين . فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا لخادين . وما
خلقنا السماء والارض وما بينهما لعبين . لو اردنا ان نتخذ لهما آتخذة من لدنا
ان كنا فاعلين . اى هو اعلى من ان يتلهم بشي من هذا العالم الاسفل) بل نقذف
بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، ولكم الويل ما تصفون . وله من في السموات
والارض ، ومن عنده لا يستكبرون عن عبادة ولا يستجرونه ليجون الليل و
النهار لا يفترون .] فبين انه تعالى انما اهلك الامم الظالمة واستخلف بعدا
اته اخرى لانه لم يخلقهم ليعادوا اليه فيتلهم ناطرا الى ما يفعلون لا يدينهم ولكنه يريد الحق فيقذفه
على الباطل وكل شي ماسوى الله باطل وانما وجوده من قبل ارتدائه جلباب
الحق بعبوديته لمداسحق حتى الملكة المقربون باقون له وام عبوديتهم فانهم يصلون
الليل والنهار فان بها استحقاق الوجود فن تخلق عنها جلب على نفسه الهلاك

والعذاب . وكل ذلك يدل على كبرياءه وحكمته وعدله ورحمته وفي ذلك انذار شديد
للاطالمين الطاغين وبشرى عظيمة للمحسنين .
(٢٤) نظرة في نظم هذه الحكمة النخاتمة وفيما اشتملت عليه من مهمات المطالب
قد تبين مما سبق ان هذه الآيات التسع جاءت على وجه التسيية ولكنها اشتملت
من المطالب المهمة على امور : على تعليم المداواة والصنع عما يقول الظالمون .
وعلى تعليم الصبر والانتظار لنجاة الحق وعلى اقصاف الرب تعالى بالحكمة والرحمة
والعدل وعلى حكمة الالهال وعلى تدبيره الامور حسب الآجال . وعلى ذكر غاية الخلق
وكماله وعلى بيان حقيقة الربوبية والعبودية وعلى لزوم المعاد . وجعل نظم هذه

المطالب في غاية الاتساق والاتفاق بارتباط ترتيبها

ليستدل بعضها على بعض ويستخلص من السابق

الى اللاحق حتى بلغ الكلام الى عمود السورة

وهو الانذار والتخويف لكي يتوبوا الى

ربهم . هذا آخر ما تيسر لنا ذكره

من تفسير هذه السورة

والحمد لله رب

العالمين والصلوة على رسوله الامين

محمد وآله وصحبه اجمعين

فہرست مصنفات صاحب ہذا الکتاب

اجزاء من التفسیر لمسی نظام القرآن

آفات

۴۴

تفسیر سورۃ تبت یا الی لب

۴۴

تفسیر سورۃ التحریم

۴۴

تفسیر سورۃ عبس و توئی

۴۴

تفسیر سورۃ القیامہ

۴۴

تفسیر سورۃ الدین

۴۴

تفسیر سورۃ الکفر

۴۴

تفسیر سورۃ العصر

۴۴

تفسیر سورۃ الذریت

۴۴

امعان فی اقسام القرآن

۴۴

الرای الصحیح فی سنن ہوالذبح

۴۴

اسباق النسخ، سہل طرز پر عربی گرامر بزبان اُردو حصہ اول ۴ حصہ دوم ۶

۴۴

دیوان حمید بزبان فارسی

۴۴

خردنامہ ترجمہ اشعار حضرت سلیمان علیہ السلام منظوم بزبان درسی

۴۴

تحفۃ الاعراب عربی کی نحو جدیدہ اُردو نظم میں

۴۴

تطلب من مدرستہ الاسلامیہ، سرائے میر، اعظم گڑھ۔

تفسير
سورة

من
نظام القرآن

تأويل الفرقان بالفرقان

تأليف

المعلم عبد الحميد الفراهي

طبع في مطبعة معارف عظم گڑھ

الهند

تفسير سورة المرسلة

فهرس مطالب الفصول

- (١) اجمال القول في عمود السورة ونظمها بالسورة السابقة ١
- (٢) في مواقع ترجيعها آية [ويل يومئذ للكاذبين] وانتمائها وجرها بكثرة .. ٢
- (٣) تفسير الكلم وتاويل اكل في آيات (١-١٥) ٣
- (٤) بيان وجه الاستشهاد بالرياح على يوم الفصل ٤
- (٥) تفسير الكلم وتاويل اكل في آيات (١٤-٢٤) ٥
- (٦) تفسير الآيات السابقة ونظمها ودلائل المعاد من ثلاثة وجوه .. ١٠
- (الف) بآيات الآثام الباقية ١١
- (ب) بخلق الانسان ١٢
- (ج) بجعل الارض للان مثل الرحم ١٣
- (٨) تفسير الكلم وتاويل اكل في آيات (٢٩-٣٠) ١٣
- (٩) لامة من قول تعالى [انطلقوا الى ظل ذي ثلث شعب] .. ١٣
- (٩) بيان اسلوب الآيات السابقة ونظمها ١٤
- (١٠) تفسير الكلم وتاويل اكل في آيات (٣١-٥٠) ١٤
- (١١) تاويل الآيات السابقة ونظمها ١٥

تفسير سورة المزلت

دہی حسن آیت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمَزْلُتِ عُرْفًا (۱) فَالْعَصْفِ عَصْفًا (۲) وَالشَّعْرِتِ شَعْرًا (۳)
فَالْفَرْقِ فَرْقًا (۴) فَالْمَلْقِیْتِ ذِكْرًا (۵) عَنْ رَأٍ أَوْ نُذْرًا (۶)
إِنَّمَا وَعْدٌ وَنَ لَوْ أَوْ قَعٌ (۷) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (۸) وَإِذَا السَّمَاءُ
فُرِجَتْ (۹) وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ (۱۰) وَإِذَا الرَّسْلُ لُقِیَتْ (۱۱)
لَا يَوْمِ يَوْمٍ أَجَلَتْ (۱۲) یَوْمِ الْفَصْلِ (۱۳) وَمَا أَدْرَاكَ مَا یَوْمُ
الْفَصْلِ (۱۴) وَیَلِ یَوْمَئِذٍ لِّلْمُكْدِ بَیْنِ (۱۵)

(۱) جملۃ الکلام فی عموم السورۃ و نظمہا بالاسبقۃ

(۱)

اعلم ان عموم هذه السورة مثل انوارها التي وضعت في اواخر القرآن هي اصول الدعوة
الاولى وهي ثمانية امور: الالانذاريوم القيامة و التمشوع به تعالى و الاحسان الى المخلق و
الاول اصل للايمان بالقرآن فان اول تجلية كونه ابنا بالعدل و الجزاء و الالانذاريوم عظيم
و الثاني اصل للصلاة و التوحيد و الثالث اصل للشرايع كلها و هذه الامور مبسوطة
في موضعها فمجب ذلك صرف الكلام في هذه السور على انحاء كمال تعالى [و لقد

صرفنا في هذه القرآن ليزكروا [فعلى هذا بين من هذا العود العام بعض الجوانب في بعضها
وبعضها في الأخرى ونحيطهم فيها من جهتي الفكر والحس والجانب العقل والقلب ولذلك
يجمع الأولى بالترغيب والترهيب على النحاء شتى كما هو مقتضى البلاغة وعلى هذا كما ذكرنا
المعاد والقرآن والصلوة في السورة السابقة ذكر ذلك في هذه أيضا ولكن ما جله هناك
مما جله هنا مفصلا. ففي السابقة أوجز الاستدلال على المعاد فبسطه في هذه وهناك في تفتؤ
المعاد بسط جانب الترغيب فهنا بسط جانب الترهيب وذلك رعاية للحاق الأجزاء
بالتبشير كما قال تعالى [وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ] وهذه جملة الكلام و
يتضح ما ذكرنا من النظر في السورتين والتدبر في نظمها.

(٢) مقدمته في مواقع ترجيعها بقوله تعالى [ويل يومئذ للمكذبين]

اعلم ان هذه السورة من ذوات الترجيع فانك ترى فيها آية [ويل يومئذ للمكذبين]
قد جاءت عشر مرات وقد سبق في تفسير سورة الرحمن ما يتعلق بهذه الأسلوب
فلا غيبه غير امر واحد وهو ان من حسن الترجيع مناسبة ما قبله من الذكر ولذلك
لا بد ان يكون جاسعا لوجوه من المعاني فعلى هذا تجد هذه الآية مناسبة بما قبلها بوجه تخص
بموقعها لما فيها من الوجوه الكثير وذلك من جهة أسلوبها ومن جهة كلماتها الثلاث
فذكرها هنا ما تشتمل من الوجوه :-

(الف) اما أسلوبها فيحمل الآثاء والآخار والآخر اما لبيان ثبوت الويل لهم كما جاء
في كثير من الآيات مثلا [فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما مكسبون] اولبيان قولهم
في ذلك اليوم كما جاء في القرآن [قالوا لو لم نكن من يوم الدين] ايضا [قالوا لو لمنا
من اثنان من مرتدنا] تكرار الويل يدل على كثرة اسبابه على ما يدل الثبوت وعلى
كثرة مواقع على ما يدل تحكيمها كما بين ذلك حيث جاء [واذا القوا منها مكانا ضيقا

مقرنين دعوا هنالك ثورا . لاتدعوا اليوم ثورا واحدا وادعوا ثورا كثيرا . [فهذا جامع لكثرة اسباب الويل وكثرة التكلم به .

(ب) اما كلمة ويل فهي تجمع كلها يكون سببا للويل ما يصيبهم من الخزن والحسرة و
الفرح وما أعد لهم من العقاب و ربما يصرح بما يكون سببا للويل كما في قوله تعالى [ويل
للكافرين من عذاب شديد] ايضا [فويل لهم ما كتبت ايديهم وويل لهم ما يكسبون] ايضا
[فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون] و بالجملة فكلمة الويل ليست مختصة بامر خاص
وقد سبق ما يسبب كثرتها لكثرة اسبابها .

(ج) اما كلمة يومئذ فهي اشارة الى كلها سبق ذكره فان معناها يوم يكون كذا انقصر
معناها حسب موقعها .

(د) اما اسم المكذبين فهو جامع للتكذيب بالعبث وآيات التوحيد وذلك
هو الاصل و ايضا للتكذيب بالرسول و كتاب الله و ذلك تفصيل للاصل وقد صرح
القرآن بهذه الوجوه كلها و بين ايضا ان المكذب بالاصل لابد ان يكذب بما ينطق
على تفصيله كما قال تعالى [و اذا قرأت القرآن جلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون
بالآخرة حجابا مستورا و جلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه و في آذانهم وقرا و اذا
ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا] فبين انهم اذ كذبوا
بتقاء الله و توحيده ثقل عليهم سمع ما يدعوهم اليها و هذا مبسوط في موضعه . و على هذا غاية الويل
تلمع بحسب الظاهر الى المكذبين يوم القيامة و لكن خاتمة السورة تكشف عن وجهها
الآخر و هو التكذيب بهذا القرآن و لا فرق بينهما في حقيقة الامر غير الاجمال و التفصيل . هذا
فلما كان في آية التراجع بهذه الوجوه من المعاني لابد ان يكون تأويلها حسب موقعها . هذا
واما وجه تأويلها حسب كل موقع فادخرنا بالمواقفها .

تفسير الكلم وتاويل بعض الجمل في آيات (١-١٥)

[وَالْمُزْسَلَّتْ عَرْفًا] ارسل الشئ ضد اسكه والرياح اذا سكنت فكما انها مسكة فاذا جرت فكما انها ارسلت قال تعالى [وارسلنا الرياح لولا تح [والعرف ناصية الفرس كما هو معروف قال امرء القيس

نفس باعرا ف ابياد اكفنا اذا نحن تمنعن شوا وضهب

فهيما شبه الرياح بالافراس وشبه اسكانها واجرائها باخذ ناصية الفرس وارسالها ودل بذلك على انها تجري بامر ربها فهو الكها وصرفها قال تعالى [وامن دابة الا هو آخذ بناصيتها] ارسل الرياح يكون للقع والضرر كليهما وقد جاء في القرآن ليس في محض الارسال دلالة على الشدة فلذلك عطف عليه العاصفات بالفاء .

[فَالْعَصْفُ عَصْفًا] اي بعد الارسال تشبهه وبذا يكون كثيرا للضرر قال تعالى [حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرعوا بها جاءتهم ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان الآية]

[وَالنَّشِيطَاتِ لُشْرًا] نشره بسطه ونثته واثاره وابنته وبذره معان متقاربة قال تعالى [واذا الصحف نشرت] وايضا [وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قطوا وينشر رحمته] وايضا [وجعل النهار نشورا] فان نشرات هيما الرياح لجمعها وجوها من النشر فانها تثير السحاب وتبسط في السماء وتنشر رحمته الرب وتنبت النبات ولا يخفى ان هذا وصف مستقل غير متعاقب للصحف فعمله بالواو

[فَالْفَرْقَتِ فَرْقًا] اي الرياح تفرق وتميز فاتي بالمطر مرة وتذهب بالسحب اخرى وتتفرق وما وتفرق وما كما بنا ذلك في تفسير سورة الذر ميت تحت قوله تعالى [فالمقمت امرأ] واذا يكون هذا الفرق بعد فعل النشر عطفه بالفاء .

[فالملقيت ذكرا] قد ذكر القرآن كثيرا ان في تصريف الرياح آية وذكر

فلا جل السبب نسب اليها الفعل وبذا كثير مثلاً نسب فعل الاضلال الى الاضنام في دعا البرهم
[دا جبنى وبني ان نعب الاضنام . رب انهن اضلن كثيرا من الناس] فبعد ذكر تصف
الرياح بنه على كونها ما يذكر قدرة الرب وحكمه باحتي .

[عَنْ أَفْئِدَةٍ] اى هذا القا والذكر من الله تعالى بسبب تصريف الرياح انما هو
ليكون عذرا دحجة على الغافلين وانداز الممتدكرين وكله اذ للتوزيع ويشبه ذلك
ما ذكر الله تعالى عن قول المصلحين من عباده [واذ قالت امه منهم لم تعظون قوما الله
مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا . قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتيقنون .] اى معذرة منا
في حق من لا يتنظروا نافعة في حق من يتقي .

[إِنَّمَا قَوْلُ عِدْوَنَ] يعم كما وعدا من محي القيامة والبعث والفصل والجزاء كما
صرح به في الظاهر وكل ذلك امر واحد ذكرها مجلا .

[طَمَسْتُ] طمس الشئ محاه وغطى على آثاره مثلاً [من قبل ان نطس وجوها و نردا
على ادبارها] ايضا [ربنا اطمس على امواهم]

[وَإِذَا السَّمَاءُ فَجَتْ] كما في قوله تعالى [وفجرت السماء فكانت اجزاء]

ايضا [واذ السماء انفطرت] فالمعنى ان السماء التي ترونها الآن محكة لافرج فيها و
لا فطور كما جاء [وما لها من فردج] ايضا [فارجع البصر هل ترى من فطور] فبذله السماء
مع احكام خلقها تنفرج وتنظر ذلك اليوم بامر خالقه .

[وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِفَاتٍ] نفسه كسره وفرقه ودقه ونفضه ومنه المنسافات لآلة

تكسرها الخطة وتنفض من النصف . قال تعالى اجبارا عن قول موسى [وانظر الى

الهيكل الذي ظلت عليه عاكفا لخرقته ثم لنفسه في اليم نسا] وقال تعالى [ويطونك

عن الجبال فقل فيهن اربى نسا . فيذر بها قاعا صاففا]

[أَقْتَتَ] مبدل من وقت كما جوه من وجوه . والتوقيت تعيين الوقت والمضى

آت لهم الوقت و هذا الاسلوب كثير كما تقول البني خادما و ارسلني فرسا اى ابغى لى خادما
و ارسل الى فرسا اى اذ اجل للرسول و تاسعنا فيسألون عن استهم و يقضى عليهم شهابهم
كما صرح به القرآن فى مواضع .

[اُجِلْتُ] اَجَلٌ لضرب له اجلا و زمانا مينا كفى قوله تعالى [وبلغنا اجلنا الذى اجلت
لنا] فتاويل اجلت اما ذكرنا فى وقت او اجلت الا جال و لا فرق بين التاويلين
من جهة المفهوم .

[وَمَا اَدْرَاكَ] اى عظيم فان هذا الاستفهام ربما ياتى لمحض التفتيم فيستغنى عن الجواب
كفى قوله تعالى [الحاقة . ما الحاقة . وما ادرك ما الحاقة . كذبت ثمود و عاد بالقارعة]
[وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ] قد مر وجه هذه الآفة ذكر ما يناسب هذه الموضع و اما هنا
فاعلم انها ليست بجزء لقوله تعالى [و اذا النجوم طمست] الى آخره فان نظائر ما استقده
مع اتصال معنى و لائن الجزاء فى نظائر هذه الشرط يكون مصدرا بالفاء الا ان يكون
جملة فعلية او ظرفية مثلا قوله تعالى [فاذا انقرضت النور فذلك يومئذ يوم عسير] ايضا [يوم
تبور السماء و تور الكمال سيرا فويل يومئذ للمكذبين] و لانك تجد الجزاء
محدوفا فى نظير هذه الشرط مثلا [اذا السماء انشقت و اذنت لربها و حققت
واذ الارض مدت و اقلت ما فيها و تحلت و اذنت لربها و حققت . يا ايها
الان انك كادح الآية] فخذ الجزاء لكونه مفهوما من سياق الكلام .

(٣٨) (بيان وجه الاستشهاد بالرياح و نظم هذه الآيات و موقعها)

قد بينا فى كتاب الايمان ان هذه الاقسام شهادات و آيات دالة
على المقسم عليه فاشهد الرياح المرسلات العاصفات و النشرات السحب
التي تهب من بين يمينه و الشمالين من بين يمينه و الشمالين من بين يمينه و الشمالين من بين يمينه

غير مطورة وقوم مصاب بالنفع وقوم بالضر من المطر والاعصار والصاعقة والبرد
وذلك يدل على تصرف الرب تعالى اياها حسب مشيئة فانه مع ما جعلها لتبرئ
بين يدي رحمة ربها يهلك بها امته ظالمة ورجا يخفي بها امته صالحة ورجا يمسكها
وربما يرسلها وقد بينا ذلك في تفسير سورة الذريرت وصرح القرآن بهذه
الامور في غير موضع فلما حجة بيننا الى ايراد الآيات الشاهدة فعلى هذا الاصل استدلال
على يوم الدين بما يظهر من دينية الرب تعالى في الدنيا من تصرف الرياح للراحة
والنقمة والمنافع والمضار فدل على ربوبية وقدرته وحكمته وتدبيره فظهر انه ينعم
على عباده ويعذبهم وليس بغافل عنهم فلا بد ان يدينهم يوم حسب اعمالهم - وهذا
هو اصل الاستدلال على الدينونة ثم لما كانوا من شدة غفلتهم ينكرون يوم الدين
من جهتين: من جهة كونه عجيبا ومن جهة تأخره فانه قد وعدوا به ولما ياتهم فحسبوا انهم
الشبهتين اجري الكلام بهننا. فاما الشبهة الاولى فانه اجاب بان ذكر من امر يوم
القيامة ما هو مشاهد بفعل الرياح فانه تطفئ على الاعلام وآثار الديار وتفرج
السحب ورنات الشدة فتحرق البيوت وتذهب بالسقوف وربما تهدم القصور المشيدة
وتحطم وتنتف اجزاء فمن يعتبر بصاريف الريح لا يستبعد ان ياتي امر الله
فيطفئ النجوم ويفرج السماء وينسف الجبال فنجعل الله افعال الرياح آية على ذلك
واما الشبهة الثانية وهي معظم ما تمسكون به وقد اجاب عنه كثيرا وبوجه مثلا قوله تعالى
[ولو يؤخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل
مسمى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا] - واما جهنا فذكر انه يوم
افضل فمن رحمة ان اهلهم برهة واكثر لهم من النصيحة والعبرة ليتم الحجة على الغافل
وليخفى من ينتفع بالنذر فانه اذا جاء يوم الفصل لا يقبل من المجرمين العاقلين قوبة
ولا يسمع منهم عذر ولا تبقى لهم حيلة تنجيهم من الانتقام والبطش الشديدة والله اعلم

أَلَمْ تَهْلِكْ أَلَا قَلِيلٌ (١٧) ثُمَّ تَتَّبِعُهُمُ الْخَبِيرِينَ (١٨) كَذَلِكَ
 فَعَلَ بِالْمُجْرِمِينَ (١٩) وَلَئِنْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٠) أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ
 مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ (٢١) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢٢) إِلَى قَدَرٍ
 مَّعْلُومٍ (٢٣) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ (٢٤) وَلَئِنْ يَوْمَئِذٍ
 لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٥) أَلَمْ نُجْعَلِ الْأَرْضَ كِهَانًا (٢٦) أَحْيَاءَ
 وَآمُوتًا (٢٧) وَجَعَلْنَا فِيهَا رِجًا وَرَاسِي شَجَاجٍ وَأَسْقَيْنَاكُم
 مَّاءً قَرَارًا (٢٨) وَلَئِنْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٩)

كما صرح به فيما يأتي من بعد فاعظم أو لا امر بهذا يوم الفصل والحساب ثم نبه على شناعة امر
 من يكذب بمجيئه اذ لا يخافون ما هو آت وان أضر إلى اجل مسمى فوقع آية (١٥) إلى
 يومئذ للمكذبين [بعد ذكر يوم الفصل ويوم الجزاء موقوع كلام جامع يشمل كل ما يقع
 عليهم في ذلك اليوم وقد ذكر بعد ذلك اسباب الويل ودجبه كاسياتيك فبعد
 كل ترجع يتضح طرف خاص من معناه الجامع . هذا وبعد ما استدل عليهم بما سور
 الفطرة العامة عهد الى الاستدلال بالوقائع الماضية والآثار الدالة وسنن الله المجارية
 عليهم كما هو كثير في القرآن فقال عز من قائل حكيم :-

(٥) (تفسير الكلم وما ويل الكل في آيات (١٤-٢٨))

[مُهَيِّنِينَ] الهينة عدم الاعتناء بهنت الابل طليتها عن الصدر ومنه الابتذال والتحقرة
 انتهت الشئ ابتذله والرجل اضعفته ومنه الماهن النادم ومنه الكهنة الخدمه
 منه خدمه . قال تعالى [ولا تطع كل حلاف مهين] اي من هو مبتذل النفس

ایضا اخبار عن قول فرعون حين استخف موسى عليه السلام [ام انا خير من هذا الذي هو هين ولا يكد بين] .

[قَابِر] القرار هو السكون وايضا موضع القرار قال تعالى [وان الآخرة هي دار القرار] اي دار السكون وقال تعالى [اتمن حمل الارض قرارا] اي موضع القرار ايضا [ليصلونها وبئس القرار] ومنه القرار للمستقر المطمئن من الارض قال تعالى [وآدينها الى ربوة ذات قرار ومعين] [مكين] مطمئن ويوصف به الموضع فيدل على انه خال عن القلق والترزع كما هو

ههنا وربما يوصف به ذوو العقول فيدل على كونهم ذوي الشقة والاعتماد وذوي الرسوخ في المرتبة كما قال تعالى [عند ذى العرش مكين . مطاع ثم امين] وكما اخبر عن قول ملك مصري يوسف عليه السلام [انك اليوم لدينا مكين امين] . [قدس] قَدَّرَ الشئ مبلغه ومقداره قال تعالى [انا كل شئ خلقه بقدر] ايضا [و ان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم] وكذلك المعنى بسكون الدال قال تعالى [قد جعل الله لكل شئ قدرا] وايضا [وكان امر الله قدرا مقدورا]

[معلوم] معين وقد مر ان هذا آتفا فان ما لم يتعين فقد ابهم ولم يعلم [قدسنا] من القدر بمعنى التقدير وقد مر ان هذا آتفا وايضا من القدرة وبهذا كثير . ههنا كما الوجهين سابق . وانخلق يدل عليهما وكل نظر في القرآن .

[كفانا] من كفة ضد وعبد وفي الحديث «اكتفوا صبياتكم بالليل» ومنه كفة عن وجه حرفه ومنه الكفت بالكسر للقدرة الصغيرة والفعال بمعنى ما يفعل به كالزام ولذلك صار في قوة الفاعل فصح وقوع المفعول بعده .

[اروا سي ثمنحت] اي جبال الاراسيات الاصول عاليات الفروع دلالة الصفة على الموصوف استغنى عن ذكره كما هو شأن في العربية وكثير في القرآن

[فرائدا] الفرات هو الماء التام اكلاوة قال تعالى [وهو الذي مرج البحرين هذا
عذب فُرات و هذا ملح اجاج] وقال تعالى [وما يستوى البحران بهذا عذب
فُرات سائغ شراب و هذا ملح اجاج] ومنه سمي نهر الكوفة فُراتا .

(۶) (تفسير الآيات السابقة ووجه دلالتها على المعاد و نظامها)

لا يخفى ان في هذه الجملة ثلاث ترجعات بعد ثلاث خطابات كلها مصدرة باستفهام
اقرارى فانهم خوطبوا بما علوه ثم بكل من هذه الخطابات دل على المعاد بوجه خاص
فدل اولها بالآثار الباقية في الارض وثانيها بخلق الانسان وتصويره في بطون
امماتهم وثالثها بما جعل الارض لهم مثل الارحام وتفصيل في الاجمال ان الخطاب
الاول يذكرهم بما هو المشهود لهم من آثار المجرمين فانهم قد علموا ان الله تعالى
الملك بغض الامم مثل عاد و قوم لوط بالريح . ولما قدم الاستشهاد بالريح و
بذلك انذرهم بما عين لهم من آثار العذاب على المكذمين المجرمين من اهل القرى
المهلكة خو لهم فاكفى بقوله [ألم نهلك الاولين - الى قوله - كذلك نفعل بالمجرمين]
عن ذكر الآثار الدالة على جزائهم وقد فصل في القرآن هذا الدليل في مواضع
مثلا قوله تعالى في قصة عاد [فلما رآه عارض مستقبلا او ديتهم قالوا هذا عارض
مطرنا بل هو ما استعجلتم به ، ريثح فيها عذاب اليم ثم مر كل شئ بامر ربنا فاصحوا
لا يرى الاسكنهم ، كذلك نجزي القوم المجرمين . ولقد كنكم نياما ان كنتم في] - الى قوله
[ولقد اهلكنا ما حكم من القرى ، وصرنا الايت لعلمهم يرجون .] فبالخطاب الاول
كان قيل لهم لقد اهلكنا المجرمين الاولين و هذه سنقتا الكبارية فاهلكت امم مجرمة
بعضها بعد بعض و قد علمتوه و سمعته فهكذا تكون في الآخرة و بذلك دل على وقوع
يوم الفصل فاعنى عن ذكره و اتبعه قوله [ويل يومئذ للمكذبين] تنبيها على ما يفعل

بالجبر من فان الاول جامع لكما يقع عليهم من العذاب و متع الآتیه بهنا يد على كون
 المكتوب بيوم الفصل جبراعطيا فانه كفر بعدل الرب و قدرته و رحمة ثم هو منبع لكل
 اثم و شرک و استكبار عن الايمان بآيات الله و كتبه و رسده و قد صرح بهذه الامور
 كلها في غير موضع و الخطاب الثاني تقييد ماني الارض ماني انفسهم كما قال تعالى [و
 في الارض آيت للمؤمنين . و في انفسكم افلا تبصرون .] و باذكري في هذا الخطاب بهيتم على
 ان الله الذي قدر جزئيات خلقكم كيف تترك ما هو الكلي و اجم و ايضا دل على انه تعالى
 اذ قدر على خلقكم و تصويركم اولافوا شد قدرته على بعثكم مرة اخرى كما قال تعالى [و يقول
 الانسان اذا مات لسوف اخرج حيا . اولايذكر الانسان انا خلقته من قبل و
 لم يك شيئا] و من كلا الوجهين دل على وقوع يوم الفصل فاغنى عن ذكره ثم اتبعه قوله
 [ويل يومئذ للمكذبين] تنبيها على ستم الويل لهؤلاء الذين كذبوا بالقدرة و القدرة فاذا ابطل
 ظهروا عليهم اذا شاء و اما كذبوا به كما قال تعالى [فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون .]
 و قالوا لولينا هذا يوم الدين . هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون .] و الخطاب
 الثالث يضم المثل بالمثل فان الارض كما هي تشتمل على الآثار الدالة على المعاد
 كما هيما ذكرنا من قصة عاد و ذلك في غاية الظهور و قد جاء في القرآن كثير من ذلك
 هي مشابهة بالارحام بل هي اولى منها في الصفات المشتركة بينها و قد دل على
 ذلك ايضا بقوله [كفانا احياء و امواتا] فهذا اجمع . و بيان هذا الاجمال ان الله
 بما جعل في الارض من الكمال و جعلها راسية فجعل بها الارض قرارا لمين كما قال تعالى
 [و التي في الارض رواسي ان تميد لكم] ثم جعلها شغلات فحفظ بها السحب و
 خزن فيها الماء و فجر منها ينابيع و قد صرح القرآن بهذه الامور و بالجملة فاجرى للانسان
 من رواسيها و لصاحبها و عودتها ما فراتا فذلك جعل له الارض كالرحم الذي هو
 القرار المكين له كما قال تعالى [فجعلناه في قرار مكين] و يستقي فيه من عروق يحري

منها الیه غذاؤه و لکن الارض اجمع و اتم فی هذه الامور کما فی کماله رحمهم بجمعهم ثم اذا مات
 الانسان و دفن فیها نکانه و وضع فی رحم امه التي ولدته کما قال تعالی [سبحانک
 و بیها نعیدکم و منها نخرجکم تارة اخرى] و الاخراج مرة اخرى لیست باكثر
 عجا من الاول فکیف یکذبون به فلو اعتبروا بامر الارض و حیاهم و ما تم فیها
 لم یکنهم الا سکارا لبعث بل علما انهم اذا ولدوا و انکما نهم حلوا و اذا ماتوا انقده
 و ضوا ثم من جهة اخرى اذا ماتوا انقده جلت بهم الارض فلا بد من یوم نخاضها
 و وضعها ما ثقلت به کما قال تعالی [اذا زلزلت الارض زلزالها و
 و اخرجت الارض اثقالها] و حقیقة هذه الکلام هی الاستدلال علی المعادن
 جهة الربوبية و الاحاطة بهم احياء و امواتا . هذا و اول علی یوم الفصل استغنی
 عن ذکره ثم اتبعه قوله [ویل یومئذ للکذبین] فذل بموقعه علی تتمم الویل لمن
 کذب بالربوبية و الاحاطة فاذا حشر و اجمعوا الی ربهم تبین و یلهم با کذبوا کما قال تعالی
 [و نفخ فی الصور فاذا هم من الاجداث الی ربهم ینسلون] قالوا یویلنا من بشنا
 من مرقدنا هذا و الرحمن و صدق المرسلون] هذا . و من اسلوب
 البلاغة جعل الغائب حاضرا مشهودا فبعد ما ذکر من الدلائل علی یوم الفصل
 خاطبهم بکلام یناسب مشهده کأن ذلک الیوم قد حضر و کانهم قد حشروا الی ربهم
 و قد صاروا ینظرون ما کانوا یکذبون به فقال عز من قائل حکیم :-

انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْتُمُونَ (٢٩) انْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي
 ثُلُثِ شَعَبٍ (٣٠) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِ (٣١)
 اخْتَأَسُّ مِثْلُ بَثْرِ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جُمُتْ صَفْرٌ (٣٣) وَإِلَّ
 يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٤) هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤْذِنُ
 لَهُمْ فِعْعِدَ رُؤُونِ (٣٦) وَإِلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَذَا
 يَوْمُ الْفَصْلِ جَمْعُكُمْ وَالْوَائِينَ (٣٨) فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ
 فَكِيدُوا (٣٩) وَإِلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٠)

(٤) (تفسير الكهم وما ديل اهل في آيات (٢٩-٣٠))

[ظل ذي ثلث شعب] اي ظل من الدخان فان الدخان اذا علا من نار
 غليظة شديدة اللهب انشعب كالشعلة واسطر كما نطقت وسياتيكم ما ديل ذلك.
 [لا ظليل الآية] اي خال من برد انظر كما بينه بقوله [ولا يغني من اللهب]
 وكما قال تعالى [وظل من يحوم لابلارد ولا كريم] وموقع النفى ازالة ما يوههم
 من لفظ الظل.

[انها] اي اللهب التي وراء ذلك الظل.

[كالقصر] القراءة المشهورة الباقية الجارية على الاسن انما هي يسكون
 الصاد فلا يلتفت الى ما نسب الى ابن عباس من ان المراد به اعناق
 الابل على انه جمع القصرة بمعنى اصل الفسق. ثم الفاصلة التي لا تواتر.
 ثم اصل الفسق موضع وليس بعضو مستقل فتشبه به الشرر. وكذلك لا يلتفت

الى قول من زعم انه جمع قسرة لاصول الشجر العظام فان التشبيه التالى لا يواتيه
ثم هما كلمتان غريبتان عن لسان القرآن ولا قرينة بهما واما لفظ القصر فقد جاء فى القرآن
غير مرة فالتاويل الظاهر هو الصحيح وهو الذى روى عن ابن مسعود انه دخل على ابي القاسم
انما هو فى عظم الشجر وعلو مكانه وكونه فان القصور تُبنى على الموضع العالية وترى
من البعد لامتة مخالفة للون ما تحتها وليس المراد بالتشبيه عظم القصر كما هو بل هما
تيراوى من البعد فان العرب استعملوه مشبهاً ومشبهاً بحسب ما ذكرنا كما قال
عمرو بن كلثوم

واعرضت اليمامة واشمخت كاسيا فبايدى مصلتين

ولذلك كانوا يشبهون الناقة بالقصر والجسر وهذه كثيرة فلا حاجة الى الشواهد والتشبيه
بجملة صفر بعد ذلك يبين ما ذكرنا .

[كَانَ هَاجِلَتْ صُفْرُ] الضمير راجع الى الشرر بحسب اللفظ فان الشرر اسم
الصفى فيستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمراد به هنا الكثير كما دل
عليه تشبيهه بالجمالة والجمالة هى جماعة ابل المذكورة وهذا التشبيه يصور لون الشرر و
وعظمه معادانا وصف بالصفرة لكونه يرمى وراء الدخان .

(٨) (لامتة من قوله تعالى [ظل ذى ثلث شعب])

اعلم ان قوله تعالى [ظل ذى ثلث شعب] يصور جهنم مقبلة اليهم بشعب وغانها
مثل ذوات العقول وقد جاء فى القرآن تصويرها بهذا المثلى قوله تعالى [واعتدنا لمن
كذب باساعة سعيه . اذ ارأيتهم من مكان بعيد سمعوا لها تفيفا وزفيرا] وادفع
من ذلك قوله تعالى [يوم نقول لجهنم بل امتلئت و نقول بل من مزيد] ومنه قوله تعالى
[انها ظلى نزاع للشوى . تدعو من ادبر وتولى] والظاهر من [ثلث شعب]

شدة دهجان النار فقط ثم للتدبر مجال في التأويل وذلك ان اصل الكفر ثلاث خصال
 الآهول عن الخالق تعالى وعدم المواساة بالخلق والآثار يوم الدين كما هو مبسوط في
 موضعه فتكتفى ببعض الشواهد مثلاً ما جاء في ذكر سوال اهل الجنة اهل النار [ما سلككم في سقر
 قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين. وكنا نخوض مع الخائضين وكنا
 نكذب بيوم الدين]. والمراد بالخوض ههنا هو تكذيب القرآن وكان اصل ذلك
 اجباره عن يوم الدين. ايضا قوله تعالى [اما من اعطى والتقى وصدق بالكفى
 فنيسه اليسرى. واما من نخل واستغنى وكذب بالكفى فنيسه اليمينية] [اليسرى
 فحسب هذه الثلاث من خصائصهم تخرج ثلاث شعب من جهنم وتقبل اليهم وتطل
 عليهم كالنظرة والله تعالى اعلم. وقد ذكر عن ابن عمر ما يقرب من ذلك. روى عن ابي
 عبد الله الجدي قال - اتيت بيت المقدس فاذا عبادة بن الصامت وعبد الله
 بن عمر وكعب الاحبار يجتمعون في بيت المقدس فقال عبادة اذ كان يوم القيامة
 جمع الله الاولين والآخرين بصعيد واحد فيفزعهم البصر ويسمعهم الداعى ويقول الله
 [هذ اليوم انفصل جمعكم والاولين فان كان لكم كيد فليكون] لا يخفى جبار عنيد ولا
 شيطان مريد. فقال عبد الله بن عمر فانا نحدث يومئذ انها تخرج عنق من النار
 فتطلق حتى اذا كانت بين ظهراني الناس نادوت ايها الناس اني بعثت
 الى ثلاثة انا اعرف بهم من الالب بولده ومن الاخ باخيه لا ينهيم عني وزر
 ولا ينخضهم عني خافية الذي جعل مع الله الهاء آخر وكل جبار عنيد وشيطان مريد
 قتلهم عليهم فتقف بهم في النار قبل الحساب باربعين سنة اخرجه ابن
 ابي حاتم. اقول لعل ما ذكر من ثلاث فرق اخذه من قوله تعالى [القيامة
 جهنم كل كفار عنيد. مناع للخير مبدع]. الذي جعل مع الله الهاء اخر فالقيامة في العدا
 الشديدة [والثالث فيه بين الصفات التي ذكرنا اى قدم المواساة بالخلق

والانكار بالآخرة والذبول عن الرب تعالى فان الشك من ذلك الباب.

(٩) (النظر في مجموع هذه الآيات ونظمها ومواقع ترجيعها)

قد سبق ان هذا الخطاب جاء على اسلوب يحيل الغائب مشهودا وانه اعظم
تأثيرا في القلوب ولما كان المقصود ذلك التأثير صورته بحبايلا كحاسته و
بذلك صور بهم الويل الذي يكون لهم فرج بآية الويل ودل موقعها على مفهومها
الخاص بهذا الموضع وهو ان لهم ديل عظيم من شدة العذاب العنيد لهم. ثم
بعد تصوير المحسوس من شدة ذلك اليوم ذكر ما هو المدرك بقلوبهم وهو فوات
الاعتدال والاعتذار وهذا مزيد على شدة ما راوه فرج بآية الويل ودل موقعها
على مفهومها الخاص بهذا الموضع وهو انه لا يبقى لهم في ذلك اليوم غير الويل المحض
والمحسرة وانقطاع الرجاء من كل عذر ثم بعد ذكر هذه الترهيبات خاطبهم على سبيل
البنكيت والافحام والجواب لانكارهم في الدنيا وذلك كما جاء في قوله تعالى [هذه
النار التي كنتم بها تكذبون. انصرفوا ام انتم لاتبصرون.] وفي هذا الخطاب ذكر ستة مجاميع
الاولين والآخرين وخاطبهم مرة اخرى باسلوب يقيم الغائب بين ايدي الخاطبين و
بين فوات كل حيلة وهذه ستة المعنوية. وكما ذكر فيما سبق فوات الاعتذار وذكر ههنا فوات
كل كيد وتدبير وقوة وبنك اشارة الى كونهم مغترين بحيلهم وتدبيرهم فكأن قيل لهم بل
تستقلون تلك المكائد ثم بعد ذلك رجح بآية الويل فدل موقعها على مفهومها الخاص بهذا
الموضع وهو انه لا يكون لهم يومئذ حيلة ولا كيد بل يكون لهم ديل وصفاء وخزي وشار. وهذا
ولما كان من سنة القرآن واسلوبه الخاص جمع الترغيب والترهيب ورعاية التوسط
بين الشدة واللين رجح بعد الاربعين من الآيات المتهمة الى ذكر الآيات المبشرة
فقال عز من قائل حكيم -

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظُلُمٍ قَاطِبِينَ (۳۱) وَفَوَآكِهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ (۳۲)
 كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۳۳) إِنْ أَنْكَرْتَ لَكَ جُنْدِي
 الْحَسَنِ (۳۴) وَتِلْكَ يَوْمَئِذٍ الْمَكَانُ بَيْنَ (۳۵) كَلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا
 أَنْتُمْ مُجْرِمُونَ (۳۶) وَتِلْكَ يَوْمَئِذٍ الْمَكَانُ بَيْنَ (۳۷) وَإِذَا
 قِيلَ لَهُمْ ارْكَبُوا لَا يَنْصَرِفُونَ (۳۸) وَتِلْكَ يَوْمَئِذٍ
 الْمَكَانُ بَيْنَ (۳۹) فَبَاتِي حَدِيثِ بَعْدِ

يَوْمُنُونَ (۵)

(۱۰) (تفسیر الکلم و تاویل اہل فی آیات (۳۱-۵۰))

[فِي ظُلُمٍ] ای بین ذلک کا جا و کثیرا مثلاً [و اصحاب الیمین] اصحاب الیمین نے
 سدر منضود . و طلح منضود . و ظل محدود . و ماء سکوب . و ناکتہ کثیرہ . لا مقطوعہ و لا
 منوعہ ، و فرش مرفوعہ . و المراد بہ ذکر ما ہم مخوفون بہ کا قال برج بن مسہر الطائلی
 فبتنا بین ذاک و بین سک نیا عجایب لودیدم

[هَنِيئًا] حال من المفعول المفہوم من الفعل المتقدم کا یل علیہ قولہ تعالیٰ [تَمَتَّعُوا هَنِيئًا]
 مرآ [و لو کان مصدر اجعلناہ مفعولا مطلقا و وقوع الحال عن ذی حال مفہوم سائغ مثلاً
 فہم را شد اہدیہ بالمسافر -

[وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ] اذ اکثر الامر بالتعجب لا استقبال . و قد جاء فی القرآن ان الناس
 اذ احشروا دعوا للجدود لربہم فالذین لم یسجدوا شد فی الدنیا لم یتطیعوہ ذلک الیوم
 كما قال تعالیٰ [یوم یکشف عن ساق و یدعون الی السجود فخلاصہ طیعون . ناشتہ البصایم

ترتیبهم ذلک و قد کانوا یدعون الی السجود و ہم سالمون [و علی هذا یكون التویل انہم لایكون
یوم الفصل و کذا ردی عن ابن عباس و ایضا کلمۃ اذا نکلن ل بیان العادۃ و علی هذا
یكون التویل انہم لایكون فی الدنیا و حیثہ یفہم من آیۃ [ویل یوشع للکنعیین] انہم اذا
لم یرکعوا فی الدنیا لایستطیعونہ یوم الفصل و حیثہ یتضح جرمہم و ہذا سبب دلیہم فقال
التویلین واحد .

[بعدہ] ای بعد ہذا الحدیث الذی یدکر ہم المعاد و یدعوہم الی ربہم باد ضح القول
و ابلغ الحجۃ . کا قال تعالیٰ [نبای حدیث بعد اللہ و آیۃ یومنون] ای بعد
حدیث اللہ و ما اوضح لہم من الآیات : و ہذا اذ وفق بقولہ [نبای حدیث]
ای ای حدیث یكون اوضح و ابلغ فی النفوس فیسومنون اب ان لم یومنون اب ہذا
الحدیث . و اما القول بان المراد بہ بعد ذلک الیوم فاحتمال ضعیف . فانہم
لا یومنون فی ذلک الیوم کا ہو ظاہر و کا قال تعالیٰ [اذا دقت الواقتہ
لیس لوقتہا کاذبہ] و لو کان ذلک ہو المراد یقل فلا ی نفع بعدہ یومنون فان
استدل بقولہ تعالیٰ [و ان عسی ان یكون قد اقترب اجلہم نبای حدیث
بعدہ یومنون] ای بعد مجی اجلہم قلنا ان ہہنا ذکر الاجل صریح و متصل فیسوغ
رجع الضمیر الیہ حسب الظاہر و لکنہ غیر لازم فان سیاق الکلام الی تشنیع
الکنعیین بکتاب اللہ و آیاتہ و رسد کا یظہر من النظر فی آیات اس بقو
ہکذا انہم السلف قال ابن جریر " و قولہ نبای حدیث بعدہ یومنون یقول نبای
تخلف و تخذیر و ترمیب بعد تخذیر محمد صلی اللہ علیہ وسلم و تربیہ الذی اتاہم
بہ من عند اللہ نبای کتاب یرصدون ان لم یرصدوا ہذا الکتاب " و ہذا قال
آخر دن من المفسرین . فلا استدلال با استدلال بہ من النظر .

(۱۱) (تاویل آیات السابقة ونظمها)

قوله تعالى [كلوا واشربوا] تصوير للغائب كما ذكرنا في قوله [انطلقوا] . قوله تعالى
 [انما ذلك نجزي المؤمنين] محمل للتأويلين - الاول ان يكون متصلا بمخاطب
 المتقدم كما قال تعالى بعد ذكر نعيم الآخرة [ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا]
 وايضا [وتلك الجنة التي اوردتموها بما كنتم تعملون] والثاني ان يكون التثاقفا و
 خطبا عاما ولذلك نظائر كثيرة والحمل على النظائر اقرب . وموقع آية الوليل
 ههنا المقابلة اي حين يجزي المحسنون بالنعيم كان العذاب للمجرمين . فويل لهم من
 نفس العذاب ومن حسرتهم على ما فاز به المومنون ، اذ لم يكونوا مثلهم فاصابهم غم
 على غم . قوله تعالى [كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون] التثاقف الى الكافرين وجانح
 لوجه من البلاغة . فيه مقابلة بما ذكر من نعيم المومنين وتنبهتهم فيه تهديد من عذاب
 قريب وفيه تشجيع لغرورهم بالمتاع القليل كمن قضى عليه بعقاب شديد واهمل
 قليلا ليمتع بهما اوليته بما يشتهي من الطعام والشراب فلا يباله ويكون له
 شهى ونعته . وقوله تعالى [انكم مجرمون] دل على يوم الجزاء اي الان كلوا
 وتمتعوا قليلا فقد قضى عليكم بانكم مجرمون فلا بد من يوم مسئلة وجزاء كما قال تعالى [قل
 تمتعوا فان مصيركم الى النار] فحسن موقع آية الوليل ههنا ومفاوذا بيان تحتم الوليل
 وشدة من الوجوه التي ذكرنا آنفا قوله تعالى [واذا قيل لهم اركعوا للآية] بيان
 لقوله [انكم مجرمون] على كلا التأويلين لقوله [واذا قيل لهم اركعوا لايركعون] فان
 من لم يركع ليدل على الدنيا فارتكب جرما عظيما . فان اول الفرائض المختوع سدا
 واكبر الكبائر الاستكبار منه وذلك لازم التكبّر كما قال تعالى [فلا
 صدق ولا صلى] ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى اهل بيتي ، ادلى لك فاولى .

ثم ادلى لك فادلى [دام على التاويل الثاني فبانكم مجزون الآن ثم ذكر ان جزمهم
يتبين يوم القيامة اذا دعوهم الى الركوع وعجزوا عنه . ومفاد آية الويل ههنا
بيان كون الويل نتيجة لعدم ركوعهم على كلا التاويلين . وقوله [فباي حديث بعده يؤمنون]
خاتمة جامعة لكلام حديثهم به من الدلائل والترغيب والترهيب واسلوب الاستفهام
فيه على علو منزلة هذا الحديث الكامل في التبليغ وعلى قوة الرجا وبأيمانهم وعلى شناعة
تكذيبهم به وموقع الآية يدل على التوديع بعد اتمام الحجته ولهذا الاسلوب نظائر مثلاً قوله
تعالى في آخر سورة الطارق [والسما وذات الارجع ، والارض ذات الصبح ،
انه لقول فصل ، وما هو بالهزل ، انهم يكيّدون كيّداً وكيّداً . فبهل الكافرين اهلهم
رويدا] وقوله تعالى في آخر سورة الزخرف [فاصفح عنهم وقل سلام نسوف يعطون]
فهكذا هي خاتمة الكلام بما معناه انهم اذ لم يؤمنوا بهذا الحديث فلا يؤمنون بحديث
آخر فلتسكت وتهملهم قليلاً . وهذه الخاتمة قد اوضح طرفاً آخر من تاويل
المكذّبين وهو انهم هم الذين يكذبون بانزل الله من الحديث
فدل على ان اصل تكذيبهم بالقرآن انما هو تكذيبهم
بيوم الدين وعدم صلواتهم وخشوعهم للرب
وهذا قد صرح به القرآن في مواضع
وقدم بعض الشواهد
في الفصل الثاني
به آخر ما تيسر لنا ذكره في تفسير هذه السورة
والحمد لله رب العالمين
والصلوة على سيدنا
محمد وآله اجمعين

فہرست مصنفات صاحب ہذا الکتاب

۱۔ جزاء من التفسیر المسمی نظام القرآن

آفات	تفسیر سورۃ تبت یا الی لب	۴
۴	تفسیر سورۃ التحریم	۴
۴	تفسیر سورۃ عبس و توئی	۴
۴	تفسیر سورۃ القیامہ	۴
۴	تفسیر سورۃ الدین	۴
۴	تفسیر سورۃ الکفر	۴
۴	تفسیر سورۃ العصر	۴
۶	تفسیر سورۃ الذریت	۶
۶	امعان فی اقسام القرآن	۶
۱۰	الرای الصیح فی من ہوا الذبیح	۱۰
۶	اسباق النحر، سہل طرز پر عربی گرامر بزبان اُردو حصہ اول، حصہ دوم	۶
۱۲	دیوان حمید بزبان فارسی	۱۲
۹	خردنامہ ترجمہ اشغال حضرت سلیمان علیہ السلام منظوم بزبان دری	۹
۲	تحفۃ الاعراب، عربی کی نحو جدید اُردو نظم میں	۲
	تطلب من مدرستہ الاصلاح، سہراکے میر، اعظم گڑھ	

تفسير
سورة

من

نظام القرآن

تأويل الفرقان بالفرقان

تأليف

المعلم عبد الحميد الفراهي

طبع في مطبعة معارف عظم گڑھ

الهند

تفسير سورة عيسى وقولي

فهرس مطالب الفصول

- ١ (١) جملة القول في عمود السورة وموقعها وربطها بما قبلها.
- ٢ (٢) في عظيم خلق الانبياء وعصمتهم وموقع القاب بهم.
- ٣ (٣) تفسير الكلم وتاويل اكل في آيات (١ - ١٠)
- ٥ (٤) موقع تلك الآيات وتصوير قصتها.
- ٤ (٥) ازاحة باطل توهمه في القصة وفي وجه القاب.
- ١٠ (٦) ازاحة باطل اكبر ما سبق.
- ١١ (٧) نظم الآيات بما فيها.
- ١٢ (٨) تفسير الكلم وتاويل اكل في آيات (١١ - ٢٢)
- ١٦ (٩) نظم هذه الآيات في نفسها وبالسابق واللاحق.
- ف (١٠) توهم الجوهري وغيره في اشتقاق كلمة آبان.
- ف (١١) البطل ما زعموا من ان معنى الالب لم يكن معلوما لكبار الصحابة.
- ١٤ (١٢) تفسير الكلم وتاويل اكل في آيات (٢٣ - ٢٤)
- ١٩ (١٣) نظرة في نظم ما ذكر من اسباب الطعام والمتاع.
- ٢١ (١٤) نظم هذه الآيات بالسابق واللاحق.
- ٢٢ (١٥) تفسير الكلم وتاويل اكل في آيات (٢٥ - ٢٦)
- ٢٣ (١٦) نظرة فيما دل عليه نظم السورة من الحكمة في ذكر اصناف الخير والشر.
- ٢٤ (١٧) نظرة في نظم جلات السورة بما فيها.

سورة عبس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّهُ يَنْزِكُنِي (٣) أَوْ يُزَكِّي (٤) فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرُ أَمْ أَمَّا
مَنْ اسْتَغْنَى (٥) فَانْتَبَهَتْ لَهُ قُصْدِي (٦) وَمَا عَلَيْكَ
أَلَّا يَنْزِلَ (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ لِيَسْعَى (٨) وَهُوَ مُخْشَى (٩)
فَإِنَّتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠)

(١) (جملة القول في عمود السورة وموقعها ودربطها باقبلها)

لا يخفى ان هذه السورة من النذر وكان الانذار اهم مطالب اول الدعوة و
مع ذلك تتنوع وجوه البيان ففي هذه السورة نبى الكلام على كف النبى عن اصا
الوقت بالذين اصردا على كفرهم وعصيانهم ومن بينا يعطف وجه المقال الى
تشجيع هؤلاء المصريين والى ذكر الدلائل على شناعة استغنائهم والى ذكر
مال امرهم وعلى طريق المقابلة ذكر الذين هم خلاف هؤلاء لان الشئيين
بضده ولجميع التهيب والترغيب ولكنى بين للنبي ان الاشتغال باليومين
اقدم وادنى . وقد ختم السورة السابقة بقول [انما انت منذر من ينشئها] فبين
في هذه السورة انك غير مأمور بالاسحاح على الذين لا يخشون ولما علم الله ان

النبى عليه الصلوة لغاية رافة لا يكاد يملك نفسه عن الاسحاح اكثرنى القرآن من
النبى عنه على طرق شتى . ولما ان القرآن ينظر الوقائع المناسبة لتعليم الامور
فاخذ واقعة الاعمى سببا لصرف النبى عن الاصرار الذى لا يليق بشأنه فاخرج
الكلام مخرج التنبية والعتاب بحسب الظاهر . والمقصود مما جاء فى القرآن من
الامر بالاعراض عن المنكرين هو زجرهم وتشنيع امرهم وذلك اسلوب من
اتمام الدعوة . ولا تخف على ما ذكرنا من تاويل هذه السورة عند المتوسم البصير و
لكن زل فيه التعلم من بعض المفسرين عفا الله عنهم كاسياتيك بيانه فى الفصول
الآية فلنقدم قولا وحيزا فى عظيم خلق الانبياء والوجه الصحيح لما يخاطبون به على اسوة
العتاب .

(٢٢) فى عظيم خلق الانبياء وعصمتهم وموقع العتاب بهم)

قد علمنا بصرى العقل والنقل ان الله تعالى يصطفى للرسالة اكرم الناس
واتقاهم كما قال تعالى [والله اعلم حيث يجعل رسالته] وقال فى نبينا [وانك
لعلى خلق عظيم] اذكر ان خبر الذى جاء فى الصحيحين عن وزن النبى بكهنة وجميع النبا
بكهنة حتى اذا رجمهم اعطى الرسالة مشبه بعد اصطفاهم يصرفهم الله كيف يشاء
فيمرهم وينهاهم ويعلمهم ما لم يعلموا فكأنهم بين اصبعه ويشنون بين يديه كما قال تعالى
[فانك باعيننا] وقال تعالى [فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا يعلم ان
قد ابلغوا رسالت ربهم واحاط بالديهم واحصى كل شى عددا] فهذا بيان لنظره الحكيم
الى رسله والله تعالى يعصم رسوله عن كل زلغلة وتداركه قبل ان تقع فيه فاذا جرى
فى سمع خطر لا يهله الا ريثما يتم فرض نبوته ويفرغ سجل قوته حسب سنة التدو
حكمة فى خلقه فانه يتولى عباده ويخرج ما فى سرهم . وعلى هذا فاذا راسى بين يدي

رسول مشرق نبیه در بانها بجهیر الصوت واسلوب القاب اذا دجید هب
غار زار اسه لکی ینتیہ و لکی یعلم فطاعۃ المنی غه و لکی یتذکر ان لولا اللہ لعشر فیکثر
ویتذل امامه و یزداد قربا منه و التصاقا به کرضیع تخوفه امه فیلتصق بلبا نها .
فتبین ما ذکرنا ان الانبیاء متقلبون بین حسنین فان اللہ تعالیٰ تقاهم عن
اوضار الہوی فلا یجدون الا الی مرضاة اللہ الا انهم ربما یفیطون فی جانب
فیقوم ربهم الی حاق العبادہ و ذلک لان النبی کالاصل لامتہ کا بنهم شقوا من نبذہ جلوا
علی طبعہ و ہم مامورون باقتفاء آثارہ و اقتباس انوارہ فادنی افراط منه ازاحة
بجميع الامتہ . و اما سبب افراطهم فلا یخفی انہم لایعلمون من سریر اللہ
ہنا یتہ غور ہا فلا یقطعون الرجاء من اصلاحہم فیا بدون بہم کطیب آس و جمیم
مواس حتی یتبین لہم انہم اعداء اللہ ففیئذ یتبرون منہم کا خبر اللہ عن ابراہیم (فلما
تبین لہ انہ عدو الدتبر منہ ان ابراہیم کلیم او اہ منیب) و کذلک ربما یتع ان
النبی قد قطع الرجاء لما ظهر علیہ من تمردہم و مع ذلک فیہم مطع کا وقع یونس
و ذلک بان اللہ تعالیٰ و صدہ علیم بان کن الصدور فر ہا یا مرہم بالاعراض و الاستغناء
و ربما یشتبہم علی المجاہدۃ بہم و جملة الکلام ان اللہ تعالیٰ یصرف نبیہ کیفہ
یشاء فتارة یمنع عن رحمۃ و صنفها غیر موضعها و اخری یشبہ علی الصبر و احتمال الآثام
و العتاب علی الاول و لیل علی کمال رحمۃ و علی الثانی و لیل علی کمال غیرتہ فی جنب اللہ
و ہو فی کلمات السحائتین برئی عن ہوی النفس و الزینع الباطل .

(۳) (تفسیر الکلم و ما دلیل الجمل فی آیات (۱۰-۱۱))

(عَلَسَ) [کلح لکراہیۃ امر وینیہ (وقولی) ای اعرض .
(ان جاعاً) ای لان جائہ و ہذا ذکر سبب العوس فان سبب الکراہیۃ

في ذلك الوقت كان مجيئه لافسه كما ستعلم.

[الأنعمي] اتفقوا على انه ابن ام مكتوم - جبر عنه بهذا الوصف للدلالة على ضعفه واحتياجه وعدم اطلاعه على ما كان فيه النبي من الشغل وما كان يقتضي احواله. [وما يدريك لعلك ينكحني] مفعول [ما يدريك] محذوف واتيتم مقامه [لعلك ينكحني] لعلك لا تعلم عليه بالمقابل كما في قوله تعالى [وما يدريك لعل الساعة قريب] اي ما يدريك ان الساعة بعيد فلعلمها قريب وكذلك قوله تعالى [وما يدريك لعل الساعة تكون قربا] فتاويل الآية - كيف العلم بك انه لم يجز لما يسترك من التزكي او التذكر حتى استحييت من الكفار ان يقولوا انما يتبعه العميان و ضعفاء الناس لسفاهة عقولهم او لما يطعون من محمد لرحمته بهم وكيف نتبعه حتى نكون معهم كما جاء في القرآن كثيرا في ذكر احوالهم. وهذا صريح في ان النبي لم يعلم من الاعمى انه جاء للتزكي او التذكر وانما كان سبب الكراهية محض مجيئه الذي كان نطنة لما ذكرنا. واما ما روي انه سأل النبي ان يعلم القرآن فتولى عنه فغير ثابت من طريق الرواية فكيف والقرآن صريح في خلافة سياستك بيانه.

قوله [ينكحني] اي يظهر من صحبة النبي ودماءه فقبل توبته ويصلح باله.

[ينكحني] اي يفتق بما يسمع من القرآن وعطى النبي.

[استغفني] اي عن التزكي والتذكيرة والالامة والخشية كادل عليه ما قبله وبعده بالمقابل فاكتمني به.

[تصدني] اصل تصد من الصد وهو القبالة يقال داري بصد دارة -

تصد اي تعرض وهو ضد تولى

[وما عليك الاينكحني] اي يس عليك باس اوحج اولوم من عدم طلبه للتطهر.

[لَسْنِي] اريد به الجحى بالشوق على سبيل الكناية وليس المراد به الاسراع بالقدم
لدلالة الموضع وكما بينه قوله [دهو يخشى] وهذا مثل ما مرني قوله تعالى [فاسعوا الى ذكر الله]
[يخشى] جامع عام لاطلاقه وفيه التطرالى يوم القيامة لما مرني السورة السابقة
[انما انت منذر من يخشها]

[تلهي] اي تلهي - تلهي عنه اشتغل عنه من قولهم الهاني عنه ذلك اي شغلني
عنه فاعتنت به قال قتبه بن كير

كافي لحاف الضيف والبيتية ولم يلهني عنه غزال متنع

(٢٢) (موقع هذه الآيات وتصوير قصتها)

موقع هذه الآيات منع النبي صلى الله عليه وسلم عن اضاقة الوقت بالمضرين
على الكفر وحشة على التزام المؤمنين وبما كان ذلك ان الله تعالى امره بتقديم الدعوة
لرؤسائه قومه الذين كانوا ذوى الرياسة الدينية وبالاعراض عنهم اذا تبين اصرارهم
على الكفر والتزام من تبعه من الناس. كما قال تعالى [وانذر عشيرتک الاقربين
واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك نقل اني برئ مما تملكون .
وتوكل على العزيز الرحيم الذي يركب حين تقوم . وتقلبك في السجين . فاشتغل
النبي بدعوتهم وقد رأى منهم شدة الالفه والكبرياء وكان من شدة رحمة يصبر على
ذلك ويرجو ان ينتفعوا بوعظه فكان كلما زادوا جاحازاد الكاحا، رحمة بهم وشفقة
عليهم وايفاء بفریضة الرسالة العظمى انعامهم المتمة ورجاء ان يعز الاسلام بايمان
الاقياء وذوى الالباس والنجدة وقد صدق ظنه بايمان ابى بكر وعمر وعمره وآخريه من
الباقيين الاولين وخوفا من ان يكون قد قصر من الجهاد والصبر في ما فرض عليه
ولكن لما كان في ذلك لبض شغل عن الذين هم احق بعناية وتنزيل عن سمو محمد

فان الله تعالى لم يامر به بانخسوع بل ارسل بالفرات شمس والشرع الباذخ
فكان الله تعالى كثيرا ما يصرفه عن الاسف لهم والاسحاح عليهم الى الاشتغال بالصالحين
كما قال تعالى [لعلك باخ نفسك على آثا رحيم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا] و
كما قال تعالى [واصبر لنفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجه
ولا تعد عنيك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا] اى اهل العدة والعدة كما قال تعالى
[المال والبنون زينة الحياة الدنيا - فان القوة لله تعالى] ولا تطع من اغفلنا قلبه عن
ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا. وقل اتحي من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر [و كما قال تعالى] [نقول عنهم فما انت بملوم] اى لا لوم عليك ان لم يؤمنوا
فانك تدافيت بما كان يجب عليك وشكك كثير وما ذكرنا يتبين ان الله تعالى
كلما وجد فيه قد غلاني هذا المنهج ادعى اليه بعض ما يصرف عنه الى التوسط حتى بقيت
هذه قصة عبد الله بن ام مكتوم والوحى ينتظر اوقائع المناسبة فجعلها الله سببا للزجر
الانقياء ودمج الفقراء وطيب المنكرى القلوب بالبلغ ما يكون من اساليب الكلام
فانزل على نبيه ما كان غاية في التبيين على افراط في المدح والرجز للمصرين على كفرهم و
صورة الواقعة ان لما جاء اليه ابن ام مكتوم خاف النبي ان يقولوا انما يتبعك
العميان والضعفاء لما تعينهم وتحم عقولهم اقتريد ان تخلطنا بهم كلالا لن نتبعك ابا الا
ان تطرد هؤلاء فانهم ليسوا باكفائنا. وقد صرحوا بذلك كما حكى الله تعالى عنهم [قالوا
انؤمن كما آمن السفهاء] وكما فصل ذلك حيث قال تعالى [وانذر رب الذين
يخافون ان يمشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون. ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شئ
وما من حسابك عليهم من شئ فتطردهم فكلون من الظالمين. وكذلك فعلنا بعضهم
بعض ليقولوا اهلولا من الله عليهم من بنينا ليس الله باعلم بالشكرين. و

اذا جاءك الذين يؤمنون بالآيات قل سلم عليكم، كتب ربكم على نفسه الرحمة، انه من
 عملكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم. [وقال تعالى] فاصبح
 بما تومروا معرض عن المشركين. انا كفيناك المستهزئين. الذين يجعلون مع الله
 الهما اخرسوف يعلمون. ولقد نعم انك يضيق صدرك بما يقولون. [وما يخاف
 من محبي عبد الله بن ام مكتوم في ذلك المجلس ان يذل اصحابه في عيون المؤمنين
 فان النبي لست جوده ورافة بالناس كان يحفه الضعفاء والبنى من شدة غيرة و
 حياته لم يكن ليرضى بما يطعنون في اصحابه الذين آمنوا ابتغاء لوجه ربهم لا لطلع دنياه
 فلما وقع هذا الامر حان ان يبين الله لبيه انه قد بلغ من الغلو في الدعوة ما لا ينبغي
 له واخرج الكلام مخرج القاب حسب الظاهر ولكن في الحقيقة زجر للكافرين
 وثناء على النبي وتطيب لقلوب المؤمنين. والبنى في هذا الخطاب شدة مثل راع
 صالح خرج في طلب خروف سمين شريد حتى ذبل ساعة عن قطعة الصامحة التي
 تتبع اثره وتسمع نداه فان لم يكن هذا الشريد اجد ررافة من سائر الغنم
 فالذنب له لا للراعى الشفوق فان خاطبه مالك الغنم ليعاتبه مالك قد ضربت
 الصغ عن القطعة الصامحة وتهالك على خروف غير طائل دع يا كاهل الذئب فانه
 اولى به. علم كل ذي عقل ان هذا القاب وان كان بحسب الظاهر متوجها الى الراعى
 ولكن في الحقيقة سخط بالخروف الاحتمق ومدح للقطعة الصامحة ودليل على شدة
 رافة الراعى وغلوه في طاعة مالك وهذا النبي مع ظهوره ودلالة باقى الكلام عليه قد
 التبس على بعض المفسرين فتوهم او با ما نحا لها نفس هذه الآيات والان
 نبين ذلك بتوفيق الله تعالى.

(٥) (ازاحة باطل توهمه في القصة وفي وجه القاب)

روى عن مجاهد قال - كان النبي مستخيا بصنديه من صناديد قريش وهو يعود
 الى الله وهو يرجو ان يكرم اذا قبل عبد الله بن ام مكتوم الاعشى فلما رآه النبي كره مجيئه
 وقال في نفسه يقول هذا القرشي انما اتبعه العميان والسفلة والعبدة فبس نزل
 الوحى عيسى وتولى الى آخر الآية - فهذا دليل مجاهد هو الظاهر من القرآن كما
 قدناه في الفصل السابق ولكن آخرين توهموا في القصة ان ابن ام مكتوم جاء
 الى النبي وسأله الرشد والتعليم فاعرض عنه فعاتب الله النبي ونسبوا هذه القصة
 الى المشاهير من السلف فمنهم من يروى عن عائشة ان ابن ام مكتوم قال للنبي
 ارشدني وعنده رجل من عظماء المشركين ومنهم من يروى عن عائشة ان النبي
 كان في مجلس من وجوه قريش منهم ابو جهل وعتبة بن ربيعة ومنهم من يروى عن
 ابن عباس انه كان يناجي عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وابا جهل بن
 هشام فجاء ابن ام مكتوم يستقره آية من القرآن وقال عني ما علمك انه
 فاعرض عنه وعيسى في وجهه وتولى ذكره كلامه . ومنهم من يروى عن الضحاك
 ان النبي لقي رجلا من اشرف قريش فأتاه ابن ام مكتوم فجعل يبالي عن
 اشياء من امر الاسلام ومنهم من يروى عن عائشة ان النبي وعنده عتبة
 وشيبة ومنهم من يروى عن ابي مالك انه كان يصدى لامية بن خلف ومنهم
 من يروى عن انس ان ابن ام مكتوم جاء الى النبي وهو يكلم ابي بن خلف فاعرض
 عنه ولا يخفى ان هذه الروايات كلها تنتهي الى الذين لم يكن واحد منهم شهيدا لواقعة
 فلو صحت لم يكن الاستنباط لاخبرا والظاهر من اختلاف هذه الروايات انها
 ظنون وادها م ناشئة مما توهموا من التاويل فوضعوا قصة وخبر افتراء
 على من اسندوها اليه فكيف يوثق بها واسانيدها ضعيفة جدا والقرآن ظاهر بالدلالة
 على كذبها وذلك بوجه -

الاول ان الآيه لا تقول انه عيسى من الاعمى او عيسى في وجهه كاقيل وابل يحس
الاعمى بالتعجب انما تعجب على مجيئه الذي كان مما يطلق اسمه هو لاء الفهمين فيكون
للقال مجالا ولم يكن لهم ان ينفسوا بكلمه حين كان يقدرهم بالده لائل الواضحه على
التوحيد والمعاد وترك الانداد كما جاء في السورة وهي الامور التي كان يدعو
اليها حين نزول السورة .

والثاني ان قوله تعالى [وما يدريك لعله يزكى او ينكر فنفسه الذكرى]
صرح في انه عليه الصلوة لم يعلم ان الاعمى جاء اليه ليظهر قلبه او يورث قلبه بالذكر .
فان النبي لو علم بذلك لالقت اليه بالبشاشه فكانه قيل له لقد ضقت ذرعا بان
جاءك بانكره وما يدريك ذاك لعله جاء بما تقرب عليك - وباجله فالتقيا ان بابي
ان يكون النبي قد علم بان الاعمى جاء لامر ديني من التزكى او التذكر ثم عيسى له .
والثالث ان قوله تعالى [وما عليك الا يزكى] صرح في ان النبي كان
قد خلا في امر الدعوة كانه قيل له ليس عليك حرج لاجل انهم لا يميزون حتى لا تزال
بهم الى ان يؤمنوا فيتركوا ولذلك نظائر كثيرة مثلاً قوله تعالى [لتست عليهم بمصيطرا
وقوله تعالى [فقول عنهم فما انت بملوم] وقوله تعالى [فان تولوا فانا علىك البليغ
المبين] واسلوب هذه القول ظاهر في التخفيف عن النبي ما تحمل من الجاهدة
بالنكرين وذلك بمغزل بعيد عن حقيقة العقاب الذي يخشى لو اعرض النبي استحقاقا
لمن ضيعت كما توهوا . وهذه الكلام بعد قوله تعالى [اما من استغنى فانت له
تصدى] يبين ان تصديه كان من ولوعه بالدعوة لا لاستكبار في نفسه من الضعفاء
والراغب ان ما بعد هذه الآيات وهو قوله تعالى [كلا انها تذكرة لمن شاء وذكره]
صرح في تعليم الاستغناء عن الدين استغناء عن ذكر الله وفي منع النبي عن
التنازل الى هذا القدر من الالتفات بهم وهكذا ما بعده هو قوله تعالى [اما من جاء]

يسمى وهو يخشى فانت عنه تلهي [يبين ان هذا التلهي والتشاغل لم يكن مما ينبغي لقدر
 نبه الكريم وكتابه العزيز كما سيأتي بيان
 وانما حس انه ليس ههنا موقع للعتاب والتحقيق على تسليم ما روده من ان الاعمى
 كالمبني يستقر القرآن اذ ياله الرشد او عن اشياء من امر الاسلام كاتيين
 مما يذكره في الفصل الآتي وباجله اذا نظرت في نفس هذه الآيات وما قبلها وما بعدها
 تبين لك ان الكلام ليس الا لتعليم النبي الاستتاء والترفع جباليت بعزته وعزة
 دعوته. واسلوب العتاب ههنا ابلغ ما يكون في منه عن الافراط في اداء فريضة
 الدعوة وفي تطبيب نفسه ونفوس الضعفاء من المؤمنين وفي زجر الاغبياء من
 المتكبرين كما يستلزم كل الاتصاح من النظر فيما يتلو من باقى السورة.

(ازاحة باطل الكبر ماستحق)

(٦)

بعد ما تبين التأويل الصحيح الصريح لم يتبق حاجة الى ذكر ما بنى على محض التوهم
 لكن اردنا ان نريك شناعة ما يجزأ اليه الاعتماد على الروايات الباطلة لتكون
 على حذر منها فاعلم ان الامام الرازي قد تظن بان ههنا لم يكن موقع للعتاب
 فاجتهد للجواب فقال ما خلاصته كيف عاتب الله رسوله على ما صدر منه فان ابن
 ام مكتوم كان يستحق التأديب والزجر فانه وان كان اعشى ولكنه كان يسمع خطبة
 النبي اولئك الكفار عصفت شدة اتهام النبي بشئ منهم فكان اقدامه على قطع
 كلام النبي والقاء عرقه في البين ايداء للنبي وذلك معصية ثم ان الالههم تقدم
 وهو كان قد اسلم وتعلم ما كان يحتاج اليه اما اولئك الكفار فيكون اسلامهم سببا
 لاسلام جمع عظيم فاقدم ابن ام مكتوم على ما يكون سببا لقطع انجاء العظيم. ثم انه
 تعالى قال [ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون] فها هم

عن جرد المذاوى غیر وقتہ فیذا انداء ابن ام مکتوم الذی کان کالصارف عن اعظم
 جهات النبی اولی بان یكون ذنباً ثم من الظاہر ان النبی کان ما ذونا تباویب
 اصحابہ وکان یرجرہم عن اشیا وفکیف عاتبہ اللہ علی ما کان ما ذونا فیہ قال اللہ
 فیذا جلہ ما تعلی بہذا الموضع من الاسکالات ثم قال رحمہ اللہ ما خلاصۃ ان الجواب
 من وہین الاول ان الاحر وان کان علی ما ذکرتم الا ان ظاہر الوافقہ یوہم
 تقدیم الاغنیاء علی الفقراء فلہذا السبب حصلت المعاتبۃ اقول وہذا الوجه سلیم
 من القبح وکنہ ضعیف فان اللہ تعالیٰ اعلم بالسرائر ولا یغیب الا للہی فیہل نہی
 النبی عن تادیب اصحابہ کما ذکر فی السوال وہو ما ذون فیہ قال والثانی ان
 العتاب لعلہ لم یقع علی ما صدر من الرسول من الفعل الظاہر بل علی ان قلبہ قد
 مال الیہم بسبب قرابتہم وشر فہم وعلو منصبہم وکان ینفر طبعہ عن الاعمی بسبب عماہ
 و عدم قرابتہ وقلہ شرفہ (رحم اللہ الرازی) کانت ام مکتوم خالہ حدیجہ وناہیک
 بہ شرفاً وقرابتہ لابنہ) فوقعت المعاتبۃ لا علی التادیب بل لاجل ہذہ الداعیۃ
 اقول وہذا الوجه فی غایۃ الشناعۃ اتینفر النبی عن الاعمی لہا بل ہو اولی بالرحمۃ
 والاسی لمرک ہذا البعد عن مومن فکیف نہی فانظر کیف اہتدی الرازی رحمہ اللہ
 اولاً لما ہو الحق الصریح وہو ان ہناک لا وجہ للعتاب علی النبی ولكن اعماہ
 علی الروایات الضعیفۃ اورودہ الموردا شیع فلئن نذرہ جانب الرب
 تعالیٰ عن العتاب فی غیر محلہ نقد ونس جانب رسولہ بانسب الیہا قلہ
 لا یظن بخلقہ العظیم وبالجملة فالقرآن وموقع الکلام واحوال النبی کما یبطل ما
 توہمو من التاویل و ذکرہا من الروایات الباطلۃ الضعیفۃ .

(نظم ہذہ الآیات بما یتبعہا)

كَلَّا إِنَّمَا تَن كِرِيَّةٌ (١١) فَصَنُ شَاءَ ذِكْرَهُ (١٢) فِي صُحُفٍ
 مُكْرَمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفِيحَةٍ (١٥)
 كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧)
 مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَ سَرَّهُ (١٩)
 ثُمَّ السَّبِيلَ يَسِّرُهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا إِنْشَاءَ النَّفْثِ (٢٢)

لما كان موقع هذه الايات تنبيه النبي على علو منصبه لكيلا يتنازل الى الاسحاح بالذين
 اظهروا الاستغناء حتى يشغل عن الذين يبتغون وجراهم اكد هذا الامر بميان علو
 ما انزل اليه يعلم ان الاستغناء عن هؤلاء هو الانسب فقال عز من قائل حكيم :

(٢٨) تفسير الكلم وتأويل البهل في آيات (١١-٢٢)

[كَلَّا] تأكيد لما تقدم من الانكار على علو النبي في الدعوة ومن تعليمه الاستغناء كما
 قيل - لا يلحق بك ان تلج عليهم بهذا الاسحاح - كما بينه ما بعده .
 [إِنَّمَا تَن كِرِيَّةٌ] الضمير راجع الى ما تقدم من كلمة [ذِكْرِي] والمراد بها القرآن
 وآياته وتلاوته وانما اختار الضمير الموثق لرعاية ما سبق من كلمة الذكرى وما تحق من كلمة
 التذكرة . ووجه تسميتها ذكر الدليل لما دل عليه كلمة [كَلَّا] من تعليم الاستغناء .
 [فَصَنُ شَاءَ ذِكْرَهُ] اي ذكر ما تلوت عليهم من الذكر و اختار الضمير المذكور لما يتبادر
 اليه الفهم من المراد به وهو القرآن . و موقع الجملة بيان قوله تعالى [انها تذكرة]
 اي القرآن محض البلاغ والتذكرة وليس في شئ من الاكرام والاسحاح كما جازوا
 في القرآن ، وفي هذه الجملة ايجاز واكتفاء بما دلت عليه بالمقابلة اي فمن شاء ذكره

ومن شاء لم يذكره وربما يصرح به كافي قوله تعالى [فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر] .
 [صَحْف] الصفت جمع صحيفة وهي الورقة المكتوبة كما سميت صحيفة التلس وصحيفة
 البحر ولعل الكلمة متعوبة من الصيغة لكل عريض كصيغة الحجر والسلف والفق . وبصيغة الجمع
 ربما يراد بها الكتاب لاشتماله على الاوراق كافي قوله تعالى [رسول من الله يتلو صحفا
 مطهرة] قوله تعالى [في صحف] اي هوني صحف وموقع ايجل بيان اوصاف ما تقدم و
 حذف السند اليه في ذكر الاوصاف السابقة هو الاسلوب المعروف وقد جاء في القرآن
 كثيرا وذكرنا الشواهد فلا نعيد ههنا . وبه الاوصاف مرشح الدلالة على ما ذكرنا من التابل
 من ان منزلة القرآن ارفع جدا من ان تعرضه على هؤلاء بهذه الامحاح فبهذه ايجل تاكيد لما
 دل عليه ما سبق من الاستغناء وموقعها ذكر الدليل على لزوم الاستغناء . كما قال تعالى
 [فقلوا واستغنى الله]

[مَرْفُوعَة] كلمة جامعة لمعنى العلو والمنزلة كما قال تعالى [وانه في ام الكتب لينا سلى
 حكيم] وايضا كما قال تعالى [والقرآن المجيد] وبه ان الوجهان بيان جانب من
 صفة [مكرمة]

[مَطْهَرَة] به الصفة ايضا تبين جانباً من صفة التكريم . اي لا تصل اليه ايدي الشياطين
 والسفلة من الارواح كما قال تعالى [في كتب مكنون لا يمسه الا المطهرون] وكما قال تعالى
 [بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ] ويشبهه [كتب عزيز]

[سَفْسَفَة] هي جمع سافر للكتاب والقارى من السفر للكتابة والقراءة وبه الكلمة
 باقية في العبرانية واصل معناها انخس ومنه الكتابة فان الكتابة كانت اولاً بانخس
 بتم الحديد ثم توسع للبيان والقراءة . في العبرانية - ٥ ٦ ٧ - سفر) انخس والكتابة
 والقراءة - ٥ ٦ ٧ - (سافر) كاتب فقيه امام قائم . فصيح ما قال قتاده - هم القراء
 وروى ابن جرتج عن ابن عباس السفر بالبطية القراءة . ويوجد في العبرية ايضا

بعضی بخش کما قال ر و ت ب

تفسیر موسی الصلح بحکام

و کذا البقی فی العربیة مادة کتب فی اصل معناها کما مر.

[کلام] ای جدرین باجمال بذه الامانیة فلا یتهمون فیها شرافهم.

[بُرُورَة] جمع البار للطلع والمونی بذه منه هذا تاکید تحفظهم بذه الامانیة کما قال تعالی

[نزل به الروح الامین] و کما قال تعالی [انه نقول رسول کریم] ذی قوه عند ذی العرش

کین. مطاع ثم امین [و مفاد بذه به کل بیان رفیع منزله بذه القرآن لیتین انه رفعة

منزله و قدس لیس ما لیرض بهذا الا کما ح علی هولاء و هذه الآیات تتضمن امر اعلیا

من وصف و هو انه کتب عند الله و مقرو و محفوظ من کل ریب و شوب. و اعلم ان

المراد من الرفع والتطهیر والصیحة امور السلا الالی و قد فهمنا المعاد کما بینا و اما تأویلها

و تعیینها و تصویرها فکما یلین بذه کمال مکان الالی.

[قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا اكْفَرَهُ] [الآن] [کثیرا ما یراد به الا کثر منهم و هم الکفار

فاما ان یكون الامام للعهد و اما ان یكون احکم علی النوع حسب اکثرهم کما قال تعالی

[ان الآن نطوّم کفارا] و شله کثیر. [قتل] منقول عن تحقیقة فاما یراد به اظهار السخط

و [ما کفره] بیان سبب بذه السخط و الانکار علی سکره.

[مَنْ آتَى شَيْءٍ خُلِقَهُ] استفهام تحقیر و تمهید لما بعده من ذکر حاله الآن

[نُفْثَة] ما ذلیل ترشح کما قال ابو صقره البولانی

فما نفثه من حب مزین تفادفت به جینا الجودی و اللیل و اس

و کما قال تعالی [ثم جعل سد من سلالة من ماء مهین] نفی نفس بذه الکلمة الباطل

ما استبعده من البعث فان اول المخلقة جمع من مواضع شتی کما قال تعالی [ولقد

علمتم انشاء فلولا تذکر دن]

[فَهْتَارَه] ای قدر اعضاء و قواه کاش و مفاده بیان عجزه و کمال تصرف ربیه
 فیه کما قال تعالی [فی ای صورۃ ناشاء و رگب] فیه ایضاً بیان نعمۃ الرب علیہ لما جلد
 بہذا التقدير احسن خلقه کما قال تعالی [و صورکم فاحسن صورکم] و تفصیل فی تفسیر سورۃ
 والیتن .

[السبیل] الام فیہ للبعد ای السبیل الذی لیک فیہ باستعمال ما قدر فیہ من الاعضا
 و القوی فہداه لاستعمالہا و ہیأ لہ الاسباب کما قال تعالی [الذی خلق فوسی . و الذی
 قدر فہدی] و کما قال تعالی ذکر اعن قول موسیٰ [ربنا الذی اعطی کل شیئ خلقہ ثم ہدی]
 و اذ علنا من القرآن و الفطرۃ ان اللہ تعالیٰ ہدی الان وین لہ الخیر و لہ اشر
 و لم یکہ بہ من قبل ہذا و لالذاک کما قال تعالیٰ [فجعلہ سمیعاً بصیراً . انا ہدیہ السبیل دای
 سبیل الخیر لہ لالہ الحل] اما شا کرا و اما کفورا . و کما قال تعالیٰ [و نفس و ما سوہا .
 فالیہما فوجرا و تقوہما . قد اطلع من زکبہا و قد غاب من وسہا] و قد علنا من القرآن
 و صحیح الخبر و صریح العقل ان الیتسیر یاتی من الرب تعالیٰ جہا یتجار الانسان نفسہ
 من سبیل الخیر و الشر کما قال تعالیٰ [انا ما من اعطی و اتقی و صدق باحسن فنیسیرہ
 للیسیری . و اما من نخل و استغنی و کذب باحسن فنیسیرہ للعسری] . فانا قایل
 ان اللہ تعالیٰ بعد ما خلق الان و الہم الخیر و الشر لم یکہ یہیل لیسیرہ ما اتار نفسہ
 فجعل اعضاء و قواه و الاسباب طوع ارا و تہ . و ہذا من اکبر النعم کا ہبوط
 فی موضع .

[ناقبرہ] قبرہ و نہ و اقبرہ جل لہ قبر .
 [النشرہ] نشرہ بقطر و نشرہ و الافعال للبانۃ ای اقامہ سویا بعد ما کان مقبوراً
 خامہ -

نظم هذه البجلة في نفسها وبالسابق واللاحق

(١)

بعد ما بين علو منزلة هذا القرآن وترفعه عن المتدنين الكد شناعة استغناء الانسان
 عن هذه النعمة العظمى بذكر كمال عجزه بجنب كمال قدرة الرب تعالى عليه وهكذا بين شدة
 شناعة كفرانه بذكر كمال نعمته ربه . ولما تضمن هذا البيان وجوب الايمان بقدرته والشكر
 لنعمة اتبعه قول [ما اكفره] اى ما اكبر تكذيبه وكفرانه بهذا . واعلم ان قوله تعالى [من
 نطقه الى قوله] فاقبره [جامع لبدء حالة الانسان ووسطها وآخرها فاما بدؤها فانه
 مخلوق من ماء قليل ترشح بتقدير الرب الحكيم من اطراف اجسمه وهذا منهوم من
 كلمة نطقه كما مر ثم جرى عليه تصرف الرب فبدأ بها واما وسطها فانه لا يقدر على شئ
 ما يريد في تقلباته الاتيسير الرب تعالى ونيهاً بين امحالتين ظهور قدرة الرب ونعمته عليه
 واما آخرها فانه امانة واقبره وفيها ظهور كمال عجز الانسان وكونه بالكلية تحت قدرة ربه
 ثم بعد ذكر هذه الاحوال الدالة على الربوبية والقدرة تبين لزوم البعث للجزء الذى
 هو مقتضى ما سبق من دلائل كونه مصنوعاً ويمسك في تقلباته في هذه المحاشش وذكر من
 احوال الانسان ما يكون بعد هذه الحيوة والمات من النشور الى ربه والآن نقابل
 كيف دل على عجز الانسان ودفقره الى ربه من اول امره الى يوم نشده فمال بعد
 حاله عن الاستغناء والاعراض عما انزل اليه ربه من الذكر وهو احسن ما يسره
 والغم به عليه مع انه مخلوق وتصرف فيه راجع الى مولاة القادر الحكيم فبعد ما ذكر هذه
 الدلائل التى في نفسه اعتبها مثلاً ما يرسف فوقه وتحت وحول من الدلائل على كونه عبداً
 مربوباً مرزوقاً يبين شناعة عصيانه ونجوره كل بيان فقال عز من قائل حكيم

كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَ (٢٣) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٢)
 أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَبْثْنَا
 فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعَيْنًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَ
 حَدَاقًا غُلًّا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢)

(١٠) تفسير الكلم وتأويل الجمل في آيات (٢٢-٢٣)

[كلا] زجر على استغناء وعصيان كما بيناه بعد ذلك

[لما يقض] أي هو ستم في عصيانه الى الآن .

[ما أمره] عام لما ألهه فطرة من الشكر لهم والمواساة بالخلق ولما أنزل اليه

بواسطة الرسل من الاوامر والنواهي

[أنا] موقع الجملات التالية موقع البديل من الطعام أي فلينظر الى هذه الامور .

[صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا] أي أنزلنا ما كثير كما قال تعالى [وانزلنا من المعصرات ماء

ثجاجا]

[وَشَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا] بيان جامع لاربعة معان : لما تنشق

الارض انوارها فتشرب الماء فتيقظ ولما جعل الله في الارض من الانهار و

البحر ويؤيده نهره فتنشق وبحره تنشق . ولما تنشق الارض بالنبات فيخرج منها ازواج

شتى - ولما ينشقها الحراثون . وكل هذه المعاني مناسبة ههنا فالي بكلمة جامعة .

(قَضْبًا) القَضْبُ نبات يوكل ناعما خضرا ولذلك تسمى الرطبة قَضْبًا وهو بالفارسية

ابست . من قَضَب قطع بصوت مشابه بلفظ حروف قَضَب يشبه لفظ المصنع و

القَضْب جامع لكل ما يوكل رطبا .

[حَلَقِي] جمع حَلَقَة للرؤفة المحاطة وتطلق على الأشجار أيضا كالنخل والشجر.
[عُجْلَبًا] جمع عُجْلَب لعنق وصف الحمدائق بالغلب اما على كون المراد
بالحمدائق الأشجار كما ذكرنا واما على وصف الشيء بوصف متعلقة كما هو الاسلوب الشائع
في العربية اى غلب الأشجار والاول هو الظاهر لان سائر ما ذكر كلها من النبات
ولان الفعل المتقدم هو المتبنا .

[أَبَا] الأَبَّ العشب والمرعى من اب يوب أبًا و أبابا و ابابة نشأ وطلع و هي مادة
قديمة جري فيها تصرف اللسان فجددنا في صورتها بهتة مثلاً أُمّ دهم و دهمت و تآهبت
فاب صورة اخرى لهب وكذلك نظائر مثلاً هَزَّ و اَزَّ و اراق و هراق قال الأعشى
ع - انخ قد طوى كشأ و آت ليذهبها . اى هب و هم . و اما سمي المرعى أبًا للنشأة و لا
بعد المطر منه أبان النبات . لادل خروجه ثم توسع ثقيل ابان الشباب
للمناسبة ظاهرة ثم ايان كل شئ اول دمه . يقال كل الفواكه في ابانها .

فك و توهم الجوهري وغيره فحمل الابان فقالا من مادة ابن و لا مناسبة
بينها فان ابنه بشئ اهتم به من الابنة و هي العقدة في العود . و اما فنعلان
من اب لما يدل عليه المناسبة بينها . لما تجدد هذه المادة بهذه المعنى في العبرانية و هي
اخت العربية **ب ه ح د (ا ب ب) ب ه ح د (ا ب ب)** الخصرة و الخصرة **ب ه ح د**

(اميب) السنبلة الخصرة و اول شهورهم و هو الربيع ظهور النبات فيه و لا .
فك و ما ذكرنا تبين ان هذه المادة معروفة العرب و اما قل استعملها
في اشعارهم محنة مراد فاتها و لكن اذ لا يريد استعمال كلمة جاسنة
و حسن موقعها لم يتحرك بل تكون احسن من غيرها . و حسن موقعها بهما غير خفي و ياتيك
زيادة البيان في الفصل التالي . فلهذا اخلص ما يروى من ان ابا بكر و عمر رضي الله
عنها اعترفنا بهما . اول بدين الخبرين منقطع و الثاني مضطرب . و اليقين

بفضلهما من وجه: الأول ان هذه السورة مكتبة والصحابة اهتم شغلهم تلاوة القرآن
فكيف لم يأتوا النبي عن معنى كلمة مع طول مدة الصحبة وكيف لم يعلمهم النبي اياها بل
كان القرآن مذموا لعنه حتى اذا توفى النبي تفرؤا اطلعوا على عدم علمهم بهذه الكلمة
وانتهوا فاعترفوا بجهلهم بها - والثاني انا سجد القرآن اسهل وامين لسانا من
عامته اشعارهم وخطباتهم وكانت قریش حكامون على الشعراء في عكاظ و
كان ابو بكر من رؤسائهم وخطبائهم وكان عمر لسان قریش وسفيرهم فلا بد ان
يكونا عليهم بصروف الكلام وقد علمنا كثيرا من انتقاد عمر ما يدل على علو محله في علم اللسان
العربي والثالث ان القرآن انما انزل بلسانهم عربيا مبينا ليدعى به الناس
ويقتلوه كما قال تعالى [وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومنا] وقال تعالى
[انا جلسته قرآنا عربيا لعلمهم تعقلون] والرابع ان المواضيع لم يذكرها ذلك
الا عن اكبر الصحابة واعلمهم ولعلم بشدة حق من فضيلتهم واهتمامهم بالاطعن فيها .
[متاعا] المتاع مصدر ثم اسم لما يتبع به ومنه للمصلحة والمتاع يتضمن قلة
المدة فرما يؤكد بالتصريح بها وربما يكتفى بما يفهم منه كما قال تعالى [متاع في الدنيا
ثم اليها مرجعهم] اي تمتع لمدة قليلة . والشواهد على ما ذكرنا كثيرة وقوله تعالى
[متاعا لكم] سائغ ان يكون مصدرا كما في قوله تعالى [يستمتع متاعا حسنا
الى اجل مسمى] وعلى هذا دليله لاجل ان تمتعكم بها . وان يكون حالا اي وهذه
متاعكم ومال التاميلين واحد والاول ادل على الربوبية والانعام لصرته
دلالة على ارادة الرب ان تمتعهم .

(١١) (نظرة في نظم ما ذكر من اسباب الطعام والتمتع)

فوجهك الى امثال هذه الآيات في ثلاث سور سابقة فان هذه السور الاربعة

تشابهات في مطالبها. وكل موقع اسلوب جديد من الايجاز والتفصيل والترب
 فان الكلام ذو افانين ونذكر ههنا ما يليق بهذا المقام فاعلم ان في هذه الايات
 تقديم الاقدم فالأقدم واختيار التفصيل والاستقصاء مع الايجاز وبيان
 ذلك انه تعالى ذكر اول ما يلقى كثيرا وهو سريع الاخراج برزته فلو لاصب
 الماء الكثير من السماء لم يحصل للانسان ما هو اكبر قوام عيشه وذلك ثلثة اشياء
 حب وتمر وما يوصله رطبا من الخضراوات والبقول. فقدم المحب لكونها
 اكبر الطعام واجمع لما يعيش به الانسان واعظم الغلات المدخرة ثم ذكر العنب
 وهو راس الامثار ثم هو ما يدخر ذميا ويشرب نبذا طيبا. وقد عرفت العرب
 ذلك فقال اعشى قيس

فاروى الزروع واعنا بها على سعة ماؤها اذ قسم

فذكر الزروع ثم العنب وذكر سقيها تماما لما يجبعان لزوم الاهتمام لهما ثم ذكر
 العنب وهو جامع لكليهما يوصل رطبا كما قال تعالى [الخروج به جادنا] فاعلم
 هذا النوع الكثير السقي السريع النفع. وذكر ثانيا ما هو بطيء الاخراج باكله و
 سقيه السماء وذلك قسم الاشجار كلها تقدم الزيتون لكونه مباركا وكونه اخضر الغلات
 كما سئد ذكر ثم ذكر النخل وهو للعرب قوام ولذة معا فهو جهم وغنهم ثم اس
 هذا النوع ما يستوفي اشجار الثمر الغلاظ المجدوع. ويشبه ما ذكرنا ما جاء في
 التوراة فانها تذكر من غلات الارض المحب والعنب والزيتون رقيقه ^ف
 ف ١٩-٢١ ايضا ص ٣٥-٣٠ وانما ترك النخل لان ارض اشام
 لم تكن باجود منابتها فاما العرب فالتمر هو جل غلاتهم ولذلك رجا تذكر مع الزرع
 كما في قوله تعالى [في حنت وعيون، وزروع ونخل طلعها هضيم] ايضا [ونزلنا
 من السماء ماء مبركا فانبتنا به حنت وحب الحصيد. والنخل باسقت لها طلع نضيدا]

ایضا [و جنت من اغراب و زرع و غیل] فہذا ان القمان استوفیا جل ما یرید
 الانسان و یغیرہ قبعہ ذلک ذکرنا لثانی ما یتوفی الباتی من نبات الارض فاتی
 بکلمتین جامعین و ہما الفاکتہ و الاب : الاولی لانسان و الثانیۃ لانعام کما صرح بہ
 بقولہ [منا عالمکم و لا لعالمکم] فترسی فی ہذا النظم اسلوب الاستدراک بما یتوفی
 الباتی و ہذا کثیر فی القرآن کقولہ تعالیٰ [ما تبصرون و ہما لا تبصرون] و کقولہ تعالیٰ
 بعبہ ذکر اسماء الرسل [و رسلا قد قصصنہم علیک من قبل و رسلا لم نقصصہم علیک]
 و کقولہ تعالیٰ بعد ذکر حالات الاثقال من الخیل و البغال و الحمیر [و تخلق بالاعین]

(۱۳) نظم ہذہ البجملۃ بالسابق و اللاحق

لا یخفی ان خلاصۃ ہذا النکر ان اللہ تعالیٰ رزقنا و رزق الانعام فکلنا عیال علیہ و
 الانعام بذلک تحت ایدینا مع انہا تا کل شئنا من رزق اللہ فما اشنع بنا ان نقصی
 الرب تعالیٰ ہذا و نظیر ہذا اللہ کرم فی السورۃ السابقۃ فلا نعید ما قد منا ہناک
 و لکن نذکر ہنا بقدر ما یمین ربط ہذہ البجملۃ بالسابقۃ و اللاحقۃ . فاعلم ان السابقۃ تذکر
 شناعۃ استغناء من چہ کفرہ و انکارہ و ہذہ تذکر شناعۃ استغناء من چہ
 فخرہ و عصیانہ و فی کلماتہما بکلمتین دلالتہ و اضمتہ علی الربوبیۃ و علی البعث و کل فی لک
 یمیدی الی الایمان بالجوارہ و ایضا ما ذکر من امر طعامہ و متاعہ مثل جامع لہذہ
 الحیوۃ و الآخرۃ کما قال تعالیٰ [یا ایہا الناس انما یعینکم علی انفسکم متاع الحیوۃ الدنیا
 ثم الدنیا مر حکم فنبکم بما کنتم تعملون] . انما مثل الحیوۃ الدنیا کما انزلہ من السماء
 فاحتلط بہ نبات الارض عما یأکل الناس و الانعام حتی اذا اخذت الارض
 زخرفہا و ازینت و ظن اہلہا انہم قد رونا علیہا اتہا امرنا لیلاد و ہنار افعلہا
 حصیدہا کان لم تن بالاس کذلک نفصل الآیۃ لقوم یتفکرون [فلما کان

فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ (٣٢) يَوْمَ لَفِرَ الْمُرْعَمُنْ أَخِيهِ (٣٣)
 وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٤) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٥) لِكُلِّ مَرْجَأٍ
 مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٦) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ
 (٣٧) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٨) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا
 غَبَرَةٌ (٣٩) تُرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤١)

ذلك كذا لك اتج هذا الذكر ذكر يوم الجزاء وايضا من اسلوب القرآن الالهي
 بالترغيب والترهيب مع الدلائل فقال غز من قائل حكيم :-

(١٣) (تفسير الكلم ، الجمل في آيات (٣٣ - ٣٢))

[الصَّاحَّةُ] صبح سمعه اصممه وسميت القيامة صائحة لصيحتها الاولى ولهبها المذبل
 كما قال تعالى [يوم تنزل كل مرضعة عما رضعته وتضع كل ذات حمل حملها وترى
 الناس سكارى] ولذلك يقال للداية العظيمة . لا ينادى وليد بها - فالصائحة جابته
 لمعينين وصراحة ولالها على المعنى الاول اغت عن بيان زائد واما المعنى الثاني
 فبينه ما بعد الى قوله تعالى [لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه]

[لَفِرَ] انما هو كناية عن هول ذلك اليوم فيذل بعضهم عن بعض كما بينه ما بعده .
 [مُسْفِرَةٌ] مضيفة من انفر الصبح وذلك كناية عن اول ظهور المسرة وفسره ما بعد
 [ضَاحِكَةٌ] انما هي كناية عن المسرة كما يفسر ما بعده والضحك ههنا هو البشاشة
 بما وجد دامن الامن وقرب المحسن .
 [مُسْتَبْشِرَةٌ] بما يتقوا من النعيم العتيق لهم .

[عَلَيْهَا غَبَرَةٌ] جاء بمقابلة مسفرة وكنى به عن الذلة والغم كما قال تعالى
 [ولا يربق وجوههم قتر ولا ذلة] وكما قال امرؤ القيس ج
 عليه القمام سعى الظن والبال

أَتَرَهُمَا قَتَرَةٌ [أى يعلوها السواد والقتره اشد من الغبرة أى تشبهها غبرة
 ثم تعلوها سواد. وقوله تعالى [عليها غبرة تربتها قتره] جاء بمقابلة ما سبق من قوله تعالى
 [مسفرة ضاحكة مستبشرة] وهذا ان جاء قوله تعالى [يوم تبيض وجوه وتسود وجوه]
 [الكهزة الفجرة] المنكرون آيات الله اتجا حدون نعمة والآثون العصاة
 لاوامره بها تان الكفتان جاستان لما فصل فيما سبق من ذكر كفر الانسان ونجوره
 واستغناء.

(۱۴) (نظرة فيما دل عليه نظم السورة من الحكمة فى ذكر خلال الخير والشر)

القرآن لا يترك مراعات الحكمة فى نظم ما يذكر من الامور فاعلم ان السورة ذكر خلال
 الخير والشر على سبيل المقابلة اما الاولى فالتركى والتذكر والخشية واما الثانية
 فالاستغناء والكفر والنجور والترتيب فى الاولى نازل لان الصالحين يجرون
 الى غاية فالغاية اول شئ فى نظمهم والترتيب فى الثانية صاعد لان الفاسقين
 لا يعلمون الى ما يجرون اليه. فذلك سبب الاختلاف بين الترتيبين. اما بيان ما ذكرنا
 من رعاية الترتيب فلا يخفى ان الخشية اصل الصلاح وهى الباعثة على التذكر والتذكر
 يهدى الى التركى وهو المقصود. وكذلك الاستغناء اصل الفساد وهى الباعث
 على الكفر باحق الواضع والكفر يهدى الى النجور وعلى ما ذكرنا من ترتيب هذه الصفات
 شواهد جملة فى القرآن وقد مر فى مواضع فلا نعيد ومن يارس يطلع.

(١٥) (نظرة في نظم حملات السورة تمامها)

قد تبين ما تقدم ان اول السورة في تشنيع المستغنين الكافرين الفاجرين على سبيل
 التعريض ليستنبهوا وهذا الى عشر آيات فاشجع هذه الجملة ذكر علو منزلته بهذه التذكرة المكررة
 المرفوعة الملهمة بايدي الملائكة الكرام وقد انزلها الله لعباده فضلا عليهم فلا يلق بالمتقين
 عنها الكافرين بها وهذا الى ست عشرة آية . ثم اتبعها بجمليتين وذكر فيها من نعمه
 وقدرته ما يوضح هباته الانسان وضعفه وفقره الى ربه لتوضح شناعة كفره ونجوره اما
 الجملة الاولى فتذكر النعم التي في نفس وجوه وهي الى اثنتين وعشرين آية واما الجملة
 الثانية فتذكر النعم التي تحته وبها بقاؤه وهي الى اثنتين وثلاثين آية وابدأ الاولى
 بقوله [قتل الانسان ما اكفره] وابدأ الثانية بقوله [كلما ليقض ما امره] امي
 ما اشد الكفر من هو نفسه شهادة على عبوديته وفقره ورجوعه الى دار الجزاء
 والحساب واما اشنع طول عصيان من لا يظلم عيشه الا برزق من ربه متوال
 وهو يرى ذلك عيانا فذكر الكفر والفجور معا كما يذكر الايمان وعمل الصالحات
 حسب ترتيب عقل فان الاعمال تابعة للتعائد والاخلاق كما قال تعالى [ارايت
 الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم] وهذا كثير في القرآن . وهذا
 خلاصة معنى الجمليتين - ان الانسان يرى في نفسه نعم خالقة القادر ثم يستغنى عنه
 وينكر ان يحاسبه فيبعثه فما اكفره اهو كما نرى بقدرته ام نبغته افيريد ان ينعم عليه
 وتترك سدى . ثم يرى فيما حوله نعم ربه الرزق ثم يعصيه فما اكفره - والى هذين
 الطرفين من فساد حالهم يشير ما جاء في آخر هذه السورة من قوله تعالى [اولئك
 هم الكفرة الفجرة] ثم بعد ما بين فقر الانسان وحرمان نعمته الرب وقدرته عليه
 ان يذكر فقره ليهذه الهمة يوم يذهب عنه كلما كان سببا لخطيئته واستغناءه وكفره
 وفجوره وذكر ذلك الى سبع وثلاثين آية فاستحق ذكر القية بما بهت لها من الدلائل

وکذا الحق ذکر البعث بما کان دیلاً علیہ فی بحلہ الاولى فلما جاء بعد ذکر خلقه الانسان
 قوله تعالى [فاذا شاء انشره] فیکذا البعد ذکر رزقه جاء قوله تعالى [فاذا جاء وقت
 الصاخرة] فان الانسان اذا تذکر خلقه تبین له قدره خالقہ علی نشره واذا تذکر احواله
 رزقه علی تبین له لزوم الحساب ووقوفہ بین یدی مولاه ومرتبه . ویشبه ہذا الاسلوب
 ما جاء فی سورة الممسکت من قوله تعالى [الم تخلقکم من ماء مہین فجعلکم فی
 قرار کمین الی قدر معلوم . فقد رنا نعم القادرون . ویل یومئذ للکذبین اى الکذبین
 بالبعث الم یجعل الارض کفناً . اجاء وامرانا . وجعلنا فیہا رواسی فثبتت . واستقیمکم
 ماء فمراتنا . ویل یومئذ للکذبین اى بالمخدرات . ولذلک نظائر اخر ثم بعد ذکر
 غایۃ فقر الانسان وشناعۃ استغناء کفرہ وفجورہ ختم السورۃ بذكر مال القنین
 المخاشیۃ المتزکیۃ . ککفۃ الفجرۃ کما بدہ السورۃ بذكر ہما وذلک الی اثنتین واربعین
 آیتہ وہی تمام السورۃ . فأنظر کیف یصل سیاق ہذہ السورۃ لذكر شناعۃ استغناء
 الانسان مع کمال فقرہ واحتیاجہ الی ما یسرہ الرب من نعمہ السوائج لاسیما
 ہذہ التذکرۃ الی ہی اعظم ما رزقہ بہ واخرج حجتہ ہذا البیان مخرج البینۃ
 لنبیہ علی ان لا یطع علی ہولاء المستغنین ویتغفل بالذین ہم اقطاع
 بہذہ النعمۃ العظمی . ہذا اخر ما یسر لنا ذکرہ فی
 ہذا المقام واحمد ثناء رب العالمین
 والصلوۃ علی سیدنا محمد وآلہ
 وصحبہ اجمعین

فہرست مصنفات صاحب ہذا الکتاب

اجزاء من التفسیر المسمی نظام القرآن

زنان

تفسیر سورۃ قمت یا الی لب ۴۴

تفسیر سورۃ التحریم ۴۴

تفسیر سورۃ عبس و توئی ۴۴

تفسیر سورۃ القیامہ ۴۴

تفسیر سورۃ الدین ۴۴

تفسیر سورۃ الکفر ۴۴

تفسیر سورۃ العصر ۴۴

تفسیر سورۃ الذریت ۶۴

امعان فی اقسام القرآن ۶۴

الرای الصیح فی من ہوا الذبیح ۱۰۴

اسباق النجوم، سہل طرز پر عربی گرامر بزبان اُردو حصہ اول ۴ حصہ دوم ۶

دیوان حمید، بزبان فارسی ۱۲

خردنامہ، ترجمہ امثال حضرت سلیمان علیہ السلام منظوم بزبان درسی ۰

تحفۃ الاعراب، عربی کی نحو جدید، اُردو نظم میں ۲

تطلب من مدرستہ الاصلاح، سرائے میر، اعظم گڑھ۔

تفسیر
سورة

من

نظام القرآن

تأویل الفرقان بالفرقان

تأليف

المعلم عبد الحميد الفراهی

طبع فی مطبعة معارف عظم گڑھ

الهند

تفسير سورة التين

فهرس مطالب الفصول

- ١ (١) جملة الكلام في عمود السورة ومضمونها ونظيرها .
- ٣ (٢) تفسير الكلم وتاويل الجمل في آيات (١-٣) .
- ٥ (٣) تعيين المراد بما اقسام به من المواضع وفيه تحقيق كلمة سينين .
- ٤ (٤) جملة الكلام في الاستشهاد بهذه البقاع .
- ٨ (٥) وجه الاستشهاد بالتين .
- ٩ (٦) " " بالزيتون .
- ١٣ (٧) " " بطور سينين .
- ١٥ (٨) " " بكلمة . . .
- ١٤ (٩) نظير ذلك في التوراة وفيه تحقيق مقام سعي .
- ١٩ (١٠) نظرة في التليين من القرآن والتوراة من جهة النظم والبيان .
- ٢١ (١١) قول جامع في تاويل المقسم عليه وهو قوله تعالى [لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم]
- ٢٢ (١٢) تاويل قوله تعالى [فما يكذبك بعد بالدين] الى قوله تعالى - ايسر الله بالحكم الحكمين [
- ٢٥ (١٣) في نظم السورة بما سبق وبما تلى وفيه اثبات براهين البشعة

سورة التين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْتِينَ وَالزَّيْتُونَ (۱) وَطُورِ سِينِينَ (۲) وَهَٰذَا الْبَلَدِ
الْأَمِينِ (۳) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (۴)
ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (۵) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (۶) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ
بِالذِّينِ (۷) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ الْخَالِقِينَ (۸)

(۱) (جمله الکلام فی عمود السورة و مضمونها و نظمها)

یرى فی بادی النظر ان عمود السورة هو اثبات الدین ای الدینونة و القضاء
على الانسان حسب اعمالهم فبدء السورة بالقسم على سبيل الاستشهاد و قد بینا
فی کتاب الأسماء ان هذه الأقسام نوع خاص من القسم و
یراد به الاستشهاد على ما اقسم علیه و لیست فی شی من التعلیم للقسم به فانما هی
شهادات لا غیر فعلى هذا الاصل استشهد باریع شهادات مشيرة الى طائفة
الدینونة فی الدنیا لیتذکروا ان الله تعالى لیس بنافل غایب عباد فانه
لم یزل یدینهم بالقسط و یکلمهم علیهم بالحق و البطل بذک الشبهة فی وقوع

الدينونة يوم القيامة و هذا النوع من الاستدلال كثير في القرآن مثلا [والتيت
ذروا فالحامات وقرافا جاريث يسرا فالحقمت امرا انما توعدون لصا دق وان
الدين لواقع] ايضا [يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فهو لك
فعد لك في اى صورة ماشا وركبك كلا بل تكذبون بالدين] فاستشهد بانفعاله على كونه
ديانا فبهذا استدل بوقائع الدينونة على وقوع الدين . ثم ختم الكلام بالهيل للمنى
وهو الاستدلال بوصف الرب تعالى و هذا اقوى الدلائل مع غفلة الناس غفلة فاقا فيه
اسلوب الاستفهام ليدل على كون الانكار به في غاية الاستبعاد كما ترى ذلك في قوله تعالى
[ان جعل المسكين كالبحرين ما لكم كيف تكلمون] و قوله [كيف تكفرون بالله وكنتم قوما
فا جكم] و قوله [انى اعدتكم فاطر السموات والارض] و هذا كثير في القرآن .
فكذلك هي اورد البرهان للمنى على اسلوب الاستفهام . و كما ذكر من الشهادات
دل ايضا على طرف خاص من الدينونة وهو اثبات هذه البهنة و قد كثر في القرآن
الاستدلال على النبوة بكونها من اكبر مظاهر الدينونة و رجة الرب وحكمه بالعدل فانه
لم يقض على العباد الا بعد ارسال الرسل وكذلك في القيامة يقضى عليهم بشهادة
رسلهم فيحشر الرسول دينونة في الدنيا و قيامة صغرى فانه عند ذلك فرقى بينه و فرقى بهلك
وينقطع عن رجم عند النبوة الكبرى كما قال تعالى [رسلا بشرين و منذرين لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل] و هذا مبسوط في موضعه فعلى هذا الاصل استدل
بالوقائع الماضية على كلال الامر من اعنى ان الدين لا بد واقع وان هذه البهنة جاءت
حسب سنة الله تعالى و جريانها بالعدل و حسب قضاء فيما تقدم من حكم الحكيم العادل
و ذلك اجمال القول في السمو الذي اقسم عليه و يتضح لك ما ذكرنا مما يتوصل
آخر الفصل -

تفسير الکلم وتاويل الجمل فی آیات (٣-١)

(٣)

[التین والزیتون] انظر الفصل التالی [احسن تقویم] قوم الشی جله متقیما
 قومت الرمح فاستقام ومن ههنا یراد به جعل الشی مناسبا لغایة فهذا التقویم منوی
 فهو مثل التسویة وكل خالق تسویة قال تعالی [الذی خلق فی] فلم یخلق الله تعالی خلقا
 الا بغایة ففعل خلقه مناسبا لتلك الغایة فعلى هذا اذ خص الانسان باحسن تقویم كان
 المراد منه خلقه مناسبا لاهسن غایة وذلك بان سواه على ترکیب صالح لان
 یفصح فی رده .

[سرد لله] الرد یرتد علی وجهه ومنها الاعادة الی الحالة الاولی كما قال تعالی [لو یردکم
 بعد ایاکم کفارا] ای یصیر وکم بعد ایاکم کفارا مرة اخرى . وهذا اقرب من اصل المعنی
 وهو كما قال تعالی [... یردکم علی اعتقادکم فتقبلوا الخسران]

[اسفل سافلین] اسفل اما هو حال عن ضمیر المفعول فی [ردونه] او ظرف
 وعلی هذا یرتد المعنی انا صیرناه مرة اخرى فی مقام اسفل كما یرتد فی قوله تعالی [اذ
 انتم بالعدوة الدنیا وهم بالعدوة القصوی والركب اسفل منکم] ای بمقام اسفل
 ولا فرق بین التاویلین من جهة المعنی واما التالیف فترعموا انه علی الاضافة وكذلك
 العربیة فان اضافة الفعل اذ اكانت الی بحجة فلا بد ان یرتد الی مفرد كما
 قال تعالی [ولا تكونوا اول کافریه] فالظاهر ان [سافلین] حال مستقل سواء
 كان [اسفل] ظرفا او حالا ولذلك جاء بحجة مع كونه جمعا وهذا اقرب ایضا
 من جهة التاویل فان موقع هذا الحال یرتد علی ان الانسان نفسه اختار السفل فكانه
 قیل ثم ردونا الانسان الی مقام اسفل والحال انهم كانوا ذاهبین بانفسهم
 الی السفل واما جمعی الجمع بعد افراد الضمیر فی قوله تعالی [ردونه] فلا ان المراد

بالانسان نوعه فجا، بالجوع رعایه للمنی و هذا کثیر منه قوله تعالی [متاعا کم ولا نعام] بعد قوله فجا
 [فلینظر الانسان الی طعامه الخ] وقوله تعالی [انما یعلم اذ البشرا فی القبور وحصل ما فی الصدور
 ان ربهم بهم یؤمّن بخیر] و ترجع الی بیان تاویل افضل سائلین فی الفصل الحادی عشر
 [الا] ادلوها الی وجهین الاستثناء المتصل او الاستدراک والثانی هو الظاهر
 لما اردتها بالجزاء کما فی قوله تعالی [فذكر انما انت مذکر است علیهم بمصیطر الامن] قوله
 وکفر فی نفسه بالله العذاب الاکبر [وکما فی قوله تعالی [وحفظتها من کل شیطن رجیم] الا ان
 استرق السمع فاتبعه شهاب مبین] وسیاتیک بیان الفرق بین التاملین فی
 الفصل الحادی عشر.

[هنون] من من اذا قطع قال لبید جمع و دغیر کو اسب لایمن طعاهما، غیر منون
 ای دایم کما قال تعالی [لا مقطوعة ولا ممنوعة] و ایضا [عطاء غیر مجذوذ] و لیس من المنة
 فانه لا نظیر لذلک المعنی فی القرآن و کیف تنفی المنة فان کل اجر من الله فضل و منته به
 [فما یکن بک بعد بالدين] [کذب بالشی ضد صدق به و قد جاء فی القرآن کثیرا
 مثلا] [اریت الذی یدّی بکذب بالدين] و [کلا بل تکذبون بالدين] و [کذبر البقاء الآخرة] و
 اما کذب به فجا، ایضا قال تعالی [فقد کذبواکم بما تقولون] ای فیا تقولون و فی کل ذلک
 لبس التکذیب الی الرجال و اما ههنا فغصب الی غیر ذوی القول فاما ان یکون
 من قبیل نسبة الشهادة و النطق الی الاشیاء کما قال تعالی [به اکتبا نینطق علیکم
 بالحق] و علی هذا کان المعنی فای شئی بعد هذه الشهادات یشبه بانک کاذب
 فی قولک بوقوع الدین و اما ان یکون التکذیب بمعنی التحلل علی التکذیب کما ذهب
 الیه الی غیره فی دلم اجد لهذا المعنی شاهد فی القرآن و لانی کلام العرب و لو ثبت
 لکان تأویلا و انجاء و اما ان یکون بمعنی التقاء الامانی و النطق کما قال افنون و هو
 جابی

والاخير فما لذب المرء نفسه وتقول الله لشيء يا ليت ذايها
اي لاخير فما يحدث المرء نفسه من الاماني والآمال الكاذبة وقال عبيد بن الابرص
والمرء ما عاش في كذب طول الحياة له تعذيب
اي ما عاش في محض الاماني غير فائز بما يتناه فطول الحياة عذاب عليه. فبذرة ثابته
معان للكذب اذ كان متديا واما بيان ما يكون التأويل ههنا سيا يتك
في الفصل الثاني عشر ان شاء الله تعالى -

[الدين] الدين هو الجزاء والديونة من قولهم "دناهم كادنا" وقولهم "دناهم
تدان"، وقد جاء في القرآن كثيرا وقدم آلفا بعض الشواهد.

(٣) (تعيين المراد بما أقسم به من المواضع)

لا ينبغي عليك ان المقسم به انما ينظر اليه من جهة كونه دليلا وشاهدا و آية على ما قسم عليه
وقد مر ان المقسم عليه هو امر الديونة فلا بد من اشتراك هذه الاسماء في هذه الجهة
وستعلم في الفصول التالية ما وقع من الديونة على هذه المواضع وذلك يدل على ان
المراد بالتين والزيتون من شعاع ليس الا وايضا قرن التين والزيتون بطور سينين و
البلد الامين فدل بالنظم على كونها اسمين الوضمين وايضا لا يخفى عليك ان كان من عادة التبر
التذكير برؤية الديار وآثارها وكثر ذلك في كلامهم جدا فذكر المواضع للتبني على ما ذكرنا
اقرب الى اذ بانهم واقفون في نفوسهم وعلى هذا كثر في القرآن التذكير بذكر البلاد
كما قال تعالى [ذلك القرى نقص عليك من انبائها] وايضا في التوراة ما يطابق
بهذا التأويل سيما يتك بيان في الفصل التاسع وعلى هذا لا تغير معنى التين والزيتون
وانما ناه بعض وجه معنى واحد حسب سنة الكلام كما ستعرف وبذلك سيرفع
الاختلاف من بين قولين لمكرمه حيث قال مرة هو يتكلم وزيتونكم مرة انما جلاله

هذا - والآن تذكر ما هو المراد بهذه الاسماء - فأما التين فالمراد به موضع خاص عرفته العرب بهذا الاسم لكونه منبت التين والعرب يسمون الموضع باسم ما ينبت فيه كالنضى والشجر والنخلة وليس ذلك خروجا عن اصل معنى الكلمة وانما هو استعمالها في بعض وجوها بطريق تسمية الطرف بالمحروف . قال النابغة الذبياني من بني غطفان :

وهبت الريح من تلقاؤى ازل تزجى مع الليل في صرادها صرما

صهب الظلال اتين التين عن عرض يزين غيا قليلا موده شجبا

اراد بالتين جبلا في الشمال . قال الاولون يمين حلوان وهدان واما خلا فهم من ابي خفيقة الدينوري مستدلابان ذلك الموضع بعيد من بلاد غطفان فلا تيفت اليه فان الشعراء ربما يذكرون ما بعد عن بلادهم جدا بهذا النابغة نفسه ذكر كابل وسد يابو ج وتمد من قبل هذه في بلاد غطفان وجبل التين على قول الادلين ليس بهذا البعد فاما هو على جانب من العراق وهم يذكرون الفرات ودجلة وخابور والخورق والسيرة - ولعل ابا خفيقة خطأ معنى قوله « اتين التين » فظن ان النابغة اراد به اللاتيان الى بلاده وانما هو اراد المرور فانه يصف الريح الباردة الشمالية التي تزجى السحب الصهب القليلة الماء التي مرت بجانب جبل التين فازدادت به برودة والعرب تذكر كثيرا بريح الباردة من جانب الشمال وهكذا يذكر الجودي بالبرودة - قال ابو صخرة البولاني وهو جاهلي :

فانطمة من حب مزن تقاذفت به جنبنا الجودي والليل دس

فلما اقرته اللصاب تقفت شمالا على ماء فهو قارس

فلا شك ان النابغة اراد بالتين جبلا في الشمال ولعله هو الجودي او قريب من ذلك خطأ الدينوري في بيت النابغة فكذلك خطأ صاحب معجم البلدان في بيت ابي صخرة فقال انه اراد بالجودي موضعا في اليمن فظن ان الشاعر لا يذكر الا بلاده وقد مرّا ففان ذلك ظن باطل ولم يثبت احد ان الجودي جبل في اليمن

وانما الجودي هو الذي ذكرنا ويؤيد ذلك ما روى عن ابن عباس في تأويل هذه الآية فقال
 ان المراد به مسجد نوح الذي بنى على الجودي وعن عكرمة السلمي والزيتون جيلان . وعلى هذا بين
 ان التين اما هو الجودي او قريب منه وفي التوراة ان بني آدم تفرقوا بعد نوح عليه السلام
 والقرآن يدل على كونه قريبا من الجودي فيستدل بذلك على ان التين كان سكن آدم
 وذريته ويؤيده ايضا ما جاء في التوراة من ان آدم عليه السلام كان يصف عليه من
 ورق التين . هذا - واما الزيتون فايضا اطلق اسمه على منبته حسب سنة العربية كما
 مر آنفا . ولا يخفى ان المراد جبل الزيتون الذي كثر ذكر تفرعات المسيح عليه - لوقا
 (٢١ : ٣٤) وكان في النهار يعلم في الهيكل وفي الليل يخرج ويمسك في الهيكل الذي يدعى
 جبل الزيتون - وسياتيكم تفصيل ذلك في الفصل السادس . ووافق ذلك اقول
 السلف مناقه روى عن ابن عباس وعن كعب ان الزيتون بيت المقدس وعن قتادة
 انه جبل الذي عليه بيت المقدس (ابن جرير) واما طهر سينين فمعروف و
 لكن صورة الكلمة تستدعي بيانا فاعلم ان القرآن ذكره في موضع آخر باسم [طرسينا]
 فمرة اتى بها على التانيث ومرة على جمع السلامة فدل على ان التانيث اما هو كونه وصفا
 للجمع كما تقول جباء واجمبون وفي التوراة جاء سينا وسينيم وفي العبرانية يسم " علامة الجمع
 وقال بعض علماء اهل الكتاب ان سينيم اسم ارض الصين بليل انه اسم ارض
 بعيدة عن فلسطين وهذا الدليل كاذب . واما بلد الكاهنين فلا حاجة الى بيانه
 وانما لم يقل مكة ليكون اوضح في الدلالة على وجه الاستشهاد كما ياتيكم ذكره
 في الفصل الثامن ان شاء الله تعالى

(٣١) الاصل الكل في وجوه الاستشهاد بهذه البقاع الاربع

قد مر ان المقسم به في الاستشهاد لا ينظر اليه الا من جهة ما يكون آية وشهادة

على المقسم عليه وقد علمت مجاز ان المقسم عليه في هذه السورة هو امر الدينونة فالآن تنظر الى هذه
الآيات من هذه الجهة لا غير. واعلم ان الشئ الواحد ربما يشهد به من وجوه كثيرة فلما حاجة
الى حصر الوجوه وقد جاء في القرآن الاستشهاد بشئ واحد من جهات ثلثي مثلاً استشهد
بالطمر من جهة على الربوبية ومن جهة اخرى على البعث بعد الموت وربما يصرح بكثرة الوجوه كما
قال تعالى [هو الذي جعل لكم الليل لتكسوا فيه والنهار مبصراً ان في ذلك لآيات] فنجعل فيها
آيات لا آية واحدة وكذلك قال تعالى [ان في اختلاف الليل والنهار لآيات] وقال تعالى
[ومن في الارض آيت للمؤمنين] وفي انفسكم افلا تبصرون [وهذا كثير وظاهر] ومع ذلك
انما اتسم بشئ على امر فنحن ذلك لا يؤخذ من جهات المقسم به الا ما كان شاهداً على المقسم
عليه. وبعد ما تبين هذا الاصل فاعلم ان هذه البقاع الاربع مواضع لطهور الدينونة الدالة
على ان الرب تعالى يدين الانسان بالرحمة. والعمل حسب اعماله فهذا هو الاصل الكلي في
النظر في وجوه الاستشهاد بهذه البقاع واما تفصيل ذلك فنذكره في الفصول الآتية.

(٥) (وجه الاستشهاد على الدينونة بالتين)

اعلم ان التين هو اول موضع لطهور الدينونة على الانسان وذلك بان آدم
لما نسي عهد الرب وسمع قول حاسده وقعت عليه وعلى زوجه الدينونة فاهبطا بعد الرفعة وسلبا
لباس الجنة كما قال تعالى [فطفقا يخضعان لهما من ورق الجنة] وجعل الله تعالى ذلك الامر
تذكارة وموعظة لئلا تنسى ان الله تعالى [يبني آدم لا يفتنكم الشيطان كما اخرج ابوكم من الجنة
ينزع عنها لباسها] وقد صرح في التوراة بان الشجرة التي خصفا عليها من رطبها كانت
شجرة التين نعم عند ذلك تما بالي الرب وتما الرب عليها و وعد بانزال بهيمة واجرن
تبعه من ذرية فاعطاه عهداً ثانياً فواتقه التين جمعت السلب والعطاء - الاول لنسبته اليه
والثاني لانما تبا الي الرب. وكذلك وقعت الدينونة على نوح في عهد نوح

عليه السلام عند جبل الزيتون فابلك الظالمون و بورك الباقون كما قال تعالى [وقيل ارض
ابلى ما دك وليماء اقلعي وغيض الماء وقضى الامر واستوت على اجدوى وقيل بعد التلقيم
الظلمين] ثم بعد ذكر دعاء نوح قال تعالى [وقيل نوح اهبط بسلام منا وبركت عليك
وعلى ائمتك ممن معك واعم سنتهم ثم يسهم منا عذاب اليم] اى جعلنا السلام والبركات
لكم وللمؤمنين معكم واما الآخرون فلهزم ايضا متاع من الدنيا قليل ثم عذاب اليم .
نصارى التين آية وتذكرة لما وقع على الانسان من الدينونة وقضاء الرب تعالى . و
ذكرها باسم التين بدل السعير احسن لما هو اوضح دلالة على واقعة هى اقدم وادرس من
واقعة الطوفان . ثم نرى في الاسم دلالة اخرى وسياتي ذكرها .

(٦) وجه الاستشهاد على الدينونة بالزيتون)

اعلم ان الزيتون قد وقعت عليه الدينونة النظمى من سلب الامانة والناووس من اليهود
واعطاهم لدهة اخرى من شجرة ابراهيم اذ وقع ما وقع في آخر عهد المسيح في ليلة سهرها على
جبل الزيتون وقد ناجى الرب الى الصحراء فميس من قومه فخرن غاية الحزن لما علم ان اليهود
يهبون بقتلهم وبذلك يلغون ويسلبون الامانة فتطلى لامة جديدة بها كما صرح به المسيح حيث
قال " متى (٢١ : ٢٢) " اما قرأتم تطنى الكتاب الحجر الذى رفضه البنائون هو قد صار
راس الزاوية - من قبل الرب كان هذا هو عجب نى اعيننا (قوله الحجر اى قوله نى اعيننا
منقول من مزمور (١١٨ : ٢٢ - ٢٣) ثم فسر المسيح ذلك فقال (٢٣) لذلك اقول لكم ان ملكوت
الله ينزع سلككم ويطلى لامة تمل اثماره . ٢٣ ومن سقط على هذا الحجر سير خضض ومن سقط هو عليه يجره
فهذا انزع ملكوت الله وقع على جبل الزيتون وبتين ما ذكرنا مما جاء فى الاناجيل ففى الانجيل
الانجيل الى لوقا (٢٣ : ٣٩ - ٤٠) " وخرج ومضى كالعادة الى جبل الزيتون ورتبه ايضا
تلاميذه . ٢٠ ولما صار الى المكان قال لهم صلوا لكيلا تدخلوا فى الفتنة (اى الفتنة النظمى التى

تأخذ اليهو عن قريب فيلقون بها كما جاء في القرآن [وحيثما لا تكون فتنة فصموا وسموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم] فلما بلغوا المنيحة صحت عليهم كلمة اللعنة والطرود (٣١) والفصل عنهم نحو رمية حجر ونبأ على ركبتيه وصلى (٣٢) فأنزل يارب ان شئت ان تجيز عني هذه الكاس ولكن لتكن لاشيئي بل شئت لك (٣٣) وظهر ملك من السماء يقويه (٣٤) واذ كان في جهاد كان يصلي باشد كجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الارض (٣٥) ثم قام من الصلوة وجاء الى تلاميذه فوجدهم نياما من الحزن (٣٦) فقال لهم لماذا انتم نيام تو صلو الصلاة فخلوا مني تجربة - (٣٧) وبينما هو يحكم اذ اجمع والذي يدعي يهودا واحدا من الاثني عشر يقدهم فذنا من يسوع يقده (٣٨) فقال ليسوع يا يهو والقبلة سلم ابن الانسان - (٣٩) فلما رأى الذين حوله ما يكون قالوا يارب الضرب بالسيف - (٤٠) وضرب واحد منهم عبد رئيس الكهنة قطع اذنه اليمنى - (٤١) فاجاب يسوع دعوا الى هذا وليس اذنه وابرا (٤٢) ثم قال يسوع لروسا والكهنة وقوادجند الهيكل والشيوخ المقبلين عليه - كانه على صر خرجهم بسيف وعصى ..

ولهذه الواقعة الغريبة ذكرني مرقس ومتى ذنى البعض ما لم يذكرني الاخر فجمع لك ما يتم به اطراف هذه القصة ولا تلمن الطناب الكلام فان الواقعة مهمة جدا ففى مرقس (٣٤) (٣٣-٣٢) ثم اخذ معه بطرس (اى شمعون الصفا) ولوقوب ويوحنا وابتدأ يدهش وكيئب - (٣٤) فقال لهم نفسى خزية جدا حتى الموت اكلتوا ههنا واهروا - (٣٥) ثم تقدم قليلا وخر على الارض وكان يصلى لكى تعبر عنه الساعة ان امكن - (٣٦) وقال يا ابا الاب كل شئى متطاع لك فاجز عني هذه الكاس ولكن ليكن لاشيئى بل شئت لك - (٣٧) ثم جاء ووجدهم نياما فقال لبطرس يا سمعان انت نائم اما قدرت ان تسهر ساعة واحدة - (٣٨) اهروا وصلوا الصلاة فخلوا مني تجربة اما الروح فليخط . اما الجسد فضعيف - (٣٩) ومضى ايضا وصلى قائما

ذلک الکلام بعینه - ۲۰۰ ثم رجع ووجدہم ایضاً یا ما اذکانت اعینہم تقيۃ فلم یعلموا
 بما ذاک یبوءنہ (ای علی توبیخہ ایاہم) - ۲۱ ثم جاء ثانیۃ وقال لہم ناموا الآن واسترجعوا
 (ای قد حم الامر ووقت علی الیہود سیات ما کسبوا وانا لم آل جہد نے دعا علی لہم
 کلامیہ فقال) یعنی - قد ات الساعۃ، والباقی یشبہ بما قدم -

دنی متی (۲۶: ۲۷-۲۵) مایشبہ ذلک غیر ان فیہ "ثم تقدم قليلا وخر على وجهه
 کان یصلی...،" نصح بالسجود دنی لوقا کتفی بذکر الرکوع فقط. واما ثلثو خاتمہ ذکر
 صلوۃ المسیح وکن ذکر فی ہذا الموضع من کلامہ علیہ السلام ما لم یذکرہ غیرہ مع زیادۃ
 من الکذب فقد کرمہ ما یدل علی کون ہذا الکلام عندک الکاذبۃ علی الطرف
 الآخر من قضاء اللہ علی قوم الیہود وہو طرف الرحمة من الدنیوۃ وادخرها للرب
 لمن یؤمنون فی الآخرین تلین قلوبہم کاکثر ذکرہ فی التوراة وصرح بہ القرآن
 فی سورۃ الاعراف وہو قولہ تعالیٰ [قال عبدالبی اصیب بـ من اشاء ورحمتی
 وسعت کل شئی ناکتبہا للذین یتقون ویوتون الزکوۃ والذین ہم بآئینا یؤمنون.
 الذین یتبعون الرسول البئی الامی الذی یجدونہم مکتوباً عندہم فی التوراة والانجیل
 یا مرہم بالمعروف وینہیہم عن المنکر ویکل لہم الطیبیت ویضع عنہم الاصر والافلال
 التی كانت علیہم فالذین آمنوا بہ وعزودہ ونصروہ واتبوا النور الذی انزل منہ
 اولئک ہم المفلحون] فی یوحنا (۱۲: ۲۳-۲۴) "واما یسوع فاجابہما قائلاً
 قد ات الساعۃ لیرفع ابن الانسان - ۲۴ اتی اتی اتقول لکم ان لم تقع
 جتہ الحظۃ فی الارض ولقیبت فی تبتی وحدہا لکن ان ماتت تاتی بثمر کثیر - ۲۵ ہن
 یحب نفسہ لیضہبہا من ہین نفسہ فی ہذا العالم یحفظہا الی حیوۃ ابدیۃ - ۲۶ ان
 کان احد یحذرنی فلیتہنی حیث اکون انا ہناک ایضاً یكون خادمی - وان
 کان احد یحذرنی یکرمہ الرب - ۲۷. الآن نفسی قد اضطربت وماذا اتول

كان اضطراب الامر من شقوة اليهود واما انه بايديهم والاول قد علم انه لابد واقع والتكلم
كان الامر من خوف ذلة الحق امام الباطل وخوف فتنة الناس بذلك كما جاء في
القرآن في ذكر دعاء المؤمنين عند خوف فتنة الباطل. [ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين و
نجنا برحمتك من القوم الكافرين] ايضا [ربنا عليك توكلنا واياك ابنا و اياك المصير
ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا] كما بين ذلك ما يتلو فقال (ايها الرب نجني من هذه الساعة
ولكن لاجل هذه الآية الى هذه الساعة - ٢٨ ايها الرب مجد اسمك فجا صوت من السماء
مجده و احمده ايضا - ٢٩ فابحج الذي كان و اتفاد سمع قال قد حدث رعد و آخرون
قالوا قد كلته ملاك - ٣٠ اجاب يسوع وقال ليس من اجلي صار هذا الصوت بل من
اجلكم (اي يرفني ربي ولا تفصل الى ايدي الظالمين لكي تحفظوا عن الفتنة) - ٣١ الآن
دينونة هذا العالم . الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجا (المراد بالعالم ههنا اليهود والملا
بطرح رئيسهم طرح اتباعه معه وقوله خارجا اي عن منصب حل الشريعة فانهم هناك
طردوا عن القيام امام الرب) - ٣٢ وانا ان ارفعني عن الارض اجذب
الى الجمع ٣٣ قال هذا يشير الى آية ميتة كان مرصعا ان يموت (هذه زيادة من
الرواة وهي باطلة فان المسيح انما قال ان ارفعني ولم يقل ان مت وكذلك
في سائر اقواله) - ٣٤ فاجابه الجمع نحن سمعنا من الناصوس ان المسيح يقي الى الابد
فكيف تقول انت انه ينبغي ان يرتفع ابن الانسان من هو هذا ابن الانسان -

٣٥ فقال لهم يسوع انور معكم زمانا قليلا بعد (هذا يشير الى ذاب كتاب الله من عندهم
بعد زمان حتى جاء ذاك النور مع النبي الذي بشر به المسيح والى هذا يشير ما جاء
في امر آفانص سورة الا اعراف وهو قوله تعالى [واتبوا النور الذي انزل معي]
فارجع اليه) فميروا ما دام لكم النور مثلا يدرككم الظلام والذي يسير في الظلام
لا يعلم الى اين يذهب - ٣٦ ما دام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا ابنا للنور تكلم يسوع

بئذا ثم مضى واخفى عنهم، بئذا اصح وجه القصة ولم يذكره غيره وها هو صريح في ان المسيح
غاب عن الناس ولم تقع عليه ايدي اليهود وارى ان اختفاؤه كان آخر القصة
ولكن اختلطت الروايات وقد مواد اخر وامن غير علم. ايضا (٥: ١٦-١٣) واما الآن
فانا ماض الى الذي ارسلني وليس احد منكم يبالي بي اين تمضي. ٦ لكني لاني قلت
لكم بئذا قد ملأ الخزن قلوبكم. ٧ لكني اقول لكم الحق انه خير لكم ان اطلق. ٨ لانه ان لم اطلق
لا ياتيكم الفارقليط ولكن ان ذهبت ارسل اليكم. ٩ ومتى جاء ذاك يكيث العالم
على خطيته وعلى بر وعلى دينونة. ٩ اما على خطيته فلانهم لا يؤمنون بي. ١٠ واما على بر فلانني
ذهبت الى ربي ولا ترونني ايضا. ١١ واما على دينونة فلان رئيس هذا العالم قد
دين (اي نفهم اليهود وثبتة امور) عدم ايمانهم بالمسيح الذي جاء مصدقا للتوراة وعلامة
وبرائته منهم وخذ لانهم. الذي عبر عنه بقوله "الآن دينونة هذا العالم". الآن يطرح رئيس
بئذا العالم خارجا، كما مرنا ويدا آتفا - ١٢ ان لي امور كثيرة ايضا لاقول لكم ولكن لا تستطيعون
ان تسمعوا الآن - ١٣ واما مني جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه
لا يكلمكم من نفسه بل بكل ما يسمع فيكلمهم ويخبركم بامور آتية،

ايضا وصاف ٢٠ الحق الحق اقول لكم انكم ستبكون وتوحدون والعالم يفرح. انتم
تخزون ولكن خزنكم تحول الى فرح. ٢١ المرأة وهي تكد تخزن لان ساعتها قد جاءت
ولكن متى ولدت الطفل لا تتذكر الشدة بسبب الفرح لانه قد ولد انسان في العالم
فمثل زمان غيبة بزمان النخاض وزمان ظهور البني الموعود بزمان الولادة ايضا (١٦: ١٢)
٢٢ هو ذا انا في ساعة وقد اتت الآن تنفرون فيها كل واحد الى خاصته ويتركوني
وحدي وانا لست وحدي لان الرب معي، بعد ذلك ذكر كلامه بالرب ثم ذكر
قصة هجوم الكهنة عليه ودلالة يهودا. مشايها لما نال الاناجيل الاخر. ولا شك بانه زيادة
غير صحيحة بعد ما قال انه مضى واخفى عنهم. وما ذكرنا يتبين للماتل ما وقع من الدينونة

الغنى على بقية الزيتون - طرد قوم دوى قوم ثم يدعى التاجون من الادل فكان اختلاط
الرحمة والنفقة والنور والظلمة وعند ذلك تسكب العبرات وتصدد الزفرات وترى السبح
هناك كالشمع فى آخزو بانه دسدة وجمانة . افرغ جده لقومه ثم غم الياس ثم سكة
الرجاء فاضطرب تحت عواصف الهوم كالبحر المتلاطم ثم فى الزيتون انما ع
الى دينونة اخرى مع فوح عليه السلام وسياتيك ذكرها -

(٤) (وجه الاستشهاد على الدينونة بطور سينين)

واما طور سينين فلا يخفى ان الله تعالى اعطى عليه الامانة اتمه ضعيفه قد صبرت
على ظلم اعداء الله فاجابها من ايديهم بيد قوية ورفع امرها ودان عدوها ثم اعطاها ما سوا
ذابا سرشد على الظالمين الكافرين فكان هذا العطاء العظيم رحمة على الضعفاء
وانقا ما من الاتوياء وكان ايضا اجرا للعابدين وجزاء للكافرين وهذا اتيين لك
مما جاء فى القرآن والصحف الادل . وفى القرآن فى ذكر فرعون وقومه [فاستغ
قومه فاطاعوه انهم كانوا قوماً متقين . فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقهم اجمعين فنجبلهم
سلفا ومثلاً للآخرين] وايضا [دمت كلمة ربك الحسنى على نبي اسرائيل عاصراً
ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يصرون .] وايضا [ان فرعون علانى
الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحي نساءهم انه كان
من المفسدين . ونريد ان يبين على الذين استضعفوا فى الارض ونجلهم ائمة ونجلهم الاثين
ولكن لهم فى الارض ونرى فرعون وها لمن وجودها منهم ما كانوا يحدرون .] اما الصحف
فقد صرحت بان الله تعالى رحم على نبي اسرائيل كيدى به الكفار وليتهم به ما وعدواهم
الصالحين من البركة والسنة . ففى سفر التثنية (٤ : ٤) ليس من كوكبكم اكثر من سائر الشعوب
المتق الرب كلم واخراكم - لانكم اقل من سائر الشعوب . بل من محبة الرب اياكم

وحفظ القسم الذي اقسم لآبائكم اخرجكم الرب بيد شديدة وفدكم من بيت
العبودية من يد فرعون ملك مصر ۹ فاعلم ان الرب الهكم هو الله الاله الالامين
الحافظ العهد والاحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه الى الف جيل ۱۰ والمجازي
الذي ينقضونه بوجوههم يهلكهم لا يهمل من يفتخروا بوجوههم بجازية ۱۱، وايضا (۵: ۹) ليس لاجل
برك وعد الله قلبك تدخل لتمتلك ارضهم بل لاجل انهم اولئك الشعوب يطردوهم
الرب الهكم من اماكنهم ولكني لاني بالكلام الذي اقسم الرب عليه آباءكم ابراهيم
واسحق ويعقوب ۱۲ فاعلم انه ليس لاجل برك يعطيك الرب الهكم هذه الارض الجيدة
تستملكها لانك شعب صلب الرقبة ۱۳ اذكر لانفسك كيف اسخط الرب الهكم
في البرية من اليوم الذي خرجت فيه من ارض مصر حتى اتيت الى هذا المكان كنتم
تقاومون الرب ۱۴، ثم ذكر انما ذبحهم العجل حين ذبح غنهم موسى وصعد الى
طور سيناء لاختد لحي العهد ۱۵، ثم ذكر انما يتبين ان الله تعالى وعاموسى الى الطور
لاجل اتمام النعمة على ذرية الصالحين لكن بهم في الارض ليكونوا شهداء لله بالدين
الحق ويهلك بهم المفسدين الكافرين فكان ذلك دينونة رحمة ونقمة وثواب
وعذاب ليعلموا انه هو العزيز الرحيم الديان الحكيم.

(۸) (وجه الاستشهاد على الدينونة بهذه البلد الامين)

اعلم ان الدينونة التي وقعت في كمة كانت اوسع رحمة للناس وباقية
الى اقيامتة وبيان ذلك ان الله تعالى لما ابتلى ابراهيم عليه السلام بكلماته فامتهنا
وبعده فوفى حتى قارب في آخر عمره بكره الوحيد البار السعيد اسمعيل فحينئذ باركه
الرب ولبشره باسحق واعطاه عهدين في ذرية منهما فاما عهده في اسحق
عليه السلام فاتممه حين دعاه موسى عليه السلام الى الطور واعطاه الكتابين

ثم استمر على ثلاث اليهود حتى امتلأت كاسهم حين هوى القبل آخر انبياءهم ففرزه عنهم كما مر
وكان فيه دينونة مختصة بطائفة من بني آدم والى زمان . واما عهدہ فی اسمعیل فاودخره
ليتم به النعمة للصالحين والنعمة للجاحدين من الناس اجمعين . فجعل تمام الدينونة المنتشرة
حتى تاتي الدينونة الآخرة يوم القيامة يوم الفصل التام . ولابد للاتمام والاكمال ان ياتي
في الآخر ولكنه موعود ومقرر من ادل الامر . والى هذا يشير كثير مما جاء في الصحف الالهية
والقرآن مثلاً « الحجر الذي رفضه البنائون صار راس الزاوية . من قبل الرب
كان هذا وبعجيب في عيننا ومن سقط على هذا الحجر تير فضض ومن سقط هو عليه يسحق »
وقد ضرب المسيح امثالا كثيرة لهذه الدينونة المتفرقة وسماها ملكوت الله وصرح بان الالهام
الآخرون الاولون فقال في مثل الاكارين كما جاء في متى ص ١٣ « وكذا يكون
الآخرون الاولين والاولون آخريين » ، وكذلك صرح بان اتمام الحق والنور يكون
عند ذاك كالتقاء . واذا كان الامر كذلك جعل مركز هذا العهد بلده ايمنا محفوظا عن الاعداء
واختار له خيراتهم ليكونوا شهداء الله على جميع اهل الارض وليثبت فيه نبيا على كافة
الناس واثم به الشرائع والحكمة لكيلا يبقى للناس حجة بعد ذلك عند دينونة
في القيامة وبين القرآن هذه الامور في مواضع فيها قوله تعالى [واذا تبلى ابراهيم
ربه بكلمت قائمهن قال اني جاعلك للناس اماما . قال ومن ذريتي . قال
لا ينال عهدى الظلمين . واذا جعلنا البيت مثابة للناس وامنا . واتخذوا من مقام ابراهيم
مصلی . وهدانا الى ابراهيم واسمعيں ان طهر ايمتي للطائفين والعاكفين والركع
السجود . واذا قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهلہ من الثمرات
من آمن منهم بالله . واليوم الآخر قال ومن كفرنا متة قليلا ثم اضطره الى عذاب النار
وبئس المصير . واذا يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعیل . ربنا تقبل منا انك
انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وازنا

مناسکنا وتب علينا انک انت اتواب الرحیمہ ربنا والبث فیہم رسولاً منہم یتد
 علیہم آیتک ویعلیہم الکتاب والحدیث ویزکیہم، انک انت العزيز الحکیم [فاتم اللہ عہدہ
 بابرہیم وجعلہ اماماً للناس باعہدایہ والی اسمعیل سدانہ میتہ وجعلہ شایبۃ للناس
 وامننا واستجاب وعادہ فبعث فیہ رسولاً وکل ذلک لما وجہہ کاملان فی الہودیۃ
 و فی التوراة ان اللہ وعدہ بان یبارک بہ الامم فوقع جمیع ہذہ الامور بقیۃ
 ہذا البلد ماموناً من عہد ابراہیم و النحاطون قد علموا ذلک وقد شہدوا کیف اہلک اللہ
 اصحاب الفیل حین راموا کیدہ خلاف ہذا البلد۔ ہذا امام مرکز عہدہ فی ذریۃ اسحق
 قد ارت علیہ و علی اہل الدوائر و صرح بذلک فی الصحف کثیراً و تجد ذکرہ فی تفسیر
 سورۃ الفیل و نا یحیی ذلک علی من نظر فی الصحف الاولی و اما ذکرنا تبیین مال لدینوتہ
 الی وقت فی ہذا البلد من اسقہ و احسنی داحجہ اللہ فی الآخرة و الاولی و جملة
 ما نوردنا فی ہذا الفصل ان اللہ تعالی ذکر ہذہ المواضع لکونہا مشاہد لدینوتہ و بنا
 فی الدنیا و جزائہ ایاہم حسب اعمالہم لیبین لہم ان ربہم لم یخلقہم سداً لم یفیل
 عن احوالہم فانزل الیہم الکتاب و الذکر و اکثر لہم من التور و البشر
 فہیاً لہم ما یتبدون بہ حسب ما اودع فطرتہم من الاستعداد للرقی الی مارج
 الکمال و حل ذلک دلیلاً علی وقوع الدین فی الآخر كما قد منا ذکرہ فی الفصل الاول

(نظیر ذلک فی التوراة و تحقیق مقام سیمیر)

(۹)

قد جاء فی التوراة ما ہونی غایۃ الشاہدۃ بادائل ہذہ السورۃ و تذکرہ لما فیہ
 تصریح ببعض ما ذکرنا۔ سفر التثیۃ (۳۳ : ۱-۴) و ۱ و ہذہ ہی البرکۃ الی
 بارک بہا موسی رجل اللہ بنی اسرائیل قبل موتہ فقال - ۲ جاء الرب من
 سیناء - و اشرق لہم من سیمیر - و تلاً لآمن جبل فاران - و اتی من ربوات

القدس - وعن يمينه سنته نار لهم - فاحب الشئ (بعد ذكر ذلك) التفت فحاطب
 الرب قائما) جميع قدسيه في يدك وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من اتوا اليك - هم بنائين
 اوصانا موسى ميراثا لجماعة يعقوب ، و بعد ذلك دعا لقومه بالبركة وكان ذلك آخر كلامه
 ولا يخفى على المتدبر ان في تقديم هذه البكل قبل البركة اشعارا بان الله تعالى لم يزل يعطي البركة
 للذين اطاعوه و يتجلى لهم بمراحه فكذلك يبارك بذ الشئ اذ اطاعوه و يتقبلوا ما انزل
 اليهم من احكام الرب و وصاياه . و اذا تبين لك هذا استبان لك ما في هذا الكلام
 من المشابهة بما ذكرنا من التاويل ومن ان المراد بهذه الاسماء هي مشاهد ظهور الرب
 بافعاله سواء كانت هذه المواضع الاربع مطابقة بالاربع التي في هذه السورة كل المطابقة
 او بعضها و التاويل يهدي الى المطابقة الثانية فان المطابقة بين الثالثة من هذه الاربع
 ظاهرة جدا . فانه لا يخفى ان سيناء اسم آخر لطور سينين و فاران اسم بحال
 مكة باتفاق اهل العلم منا و في التوراة شواهد على ذلك كما هو مبسوط في تفسير الصفت
 و ابواب للقدس عبارة عن جبال القدس التي كثر ذكرها في الاناجيل بحبل الزيتون
 فلم يبق الا بيان المطابقة بين السيتين و سبعين . و نذكر لك ما يؤيد ذلك و الله اعلم .
 قدم في الفصل الثالث ان السيتين هو اهل سكن بني آدم و هو الجودي ادم و ادم
 منه فالآن نقول ان سيعر سبها جاء في صحف اليهود اسم بحال ادم و التي هي
 بنو اسرائيل عن تلكها هي بلاد فيسيح الارجاء كثيرة الملوك و القبائل و يعرفون
 بان ادم سمي بعيسى بن اسحق و ان معناه الاحمرة و انه كان احمر تويا شديدا بطش
 و ادم و بنو ادم هم اولاده سكان سيعر و اما موضعه فالتبس عليهم مثل كثير من
 مواضع البلاد كما اعترف به علماءهم و ذلك بانهم جمعوا الروايات المتناقضة
 فجمع ظهور انهم يجعلونه في جنوب الشام تراهم يذكر دن ايضا ما يدل على كونه
 في الشمال و المشرق من بلادهم فنفى سفر العدد (٣٤ : ٤) و هذا يكون لكم

تحم الشمال - من البحر الكبير (امی بحر الروم) ترسمون لکم الی جبل ہو رہ، وجبل ہو رہ نے طرف اودوم کا جاؤنی سفر العدد (۳۳: ۳۷) "و نزلوا فی جبل ہو رہ فی طرف ارض اودوم ویتین من ہذا ان الخط الذی یمر من البحر الکبیر الی الشرق یلج ارض اودوم علی جانب الشمال والشرق من ارض بنی اسرائیل و ذلک یطابق ما ذکرنا من موضع التین - ویؤید ذلک امور الاول انہم یدکرون ان اودوم ماخذہ الاولی و ذلک ہو الماخذ لاسم آدم علیہ السلام فالاقرب ان اودوم سہی بہذا الاسم لماکان مسکن بنی آدم. واثانی انہم یدکرون ان اودوم ہو اسم آخر لسیح فی العبرانیۃ ہو الطوفان فالاقرب ان الجودی سہی لسیح وکان عندہ مسکن بنی آدم الی ان تفرقوا بعد ما کثر اولاد نوح علیہ السلام واثالث انا لا تجد فی مصنفہم امر اعظیما وقع علی موضع یرسمون ان المراد باسم سیر فالاقرب ما ذکرنا من مطابقة التین لسیح و اودوم - ذلک - واثنا اظم

(۱۰) انظرۃ فی الظہیرین من جہۃ النظم والبیان

بعد ظہور المطابقة بین الظہیرین لعلک تل عن وجہ الاختلاف بینہما فی ترتیب ہذہ الاسماء فاعلم انہ کثر فی القرآن والتوراة ذکر الامور انفسہا علی اسما من الترتیب وکل وجہ صحیح. والآن ندلک علی وجہ الترتیب ہینا حسب ما یظہر عند التعلل اعلم. اما القرآن فمردعی فیہ ترتیب الزمان والمکان وجمع المثل بالمثل و ذلک بان قدم الدینیۃ الاولیۃ لتقدمہا زمانا ثم اردفہا الدینیۃ المسیحیۃ لما بین آدم والمسیح علیہما السلام من الممانتہ کما قال تبارک [ان مثل عیسی عند اللہ کمثل آدم] وایضا شجرۃ التین جبلت تذکرۃ للسلب والعطا فانہا تنقری زمانا ثم تلبس وتثمر فصارت آیۃ لما وقع علی آدم وذریۃ کما مر فی الفصل الرابع وکذا الذلک المسیح علیہ السلام ضرب شجرۃ التین فی غیر

اوان شمرها مثلاً لها به دشقوة است به و هذا يظهر للمتدبر مما جاء في متى (٢١: ١٨-١٩) و
 مرقس (١١: ١١-١٩) ولوقا (١١: ١-١٩) ثم جعلها مثلاً وهي مورثة لمجيء وسعادة قومه
 كما هو مصرح به في متى (٢٢: ٣٢-٢) وقرس (١٣: ٢٨-٢٩) ولوقا (٢١: ٢٥-٣١)
 ثم ذكر الديونة الموسوية واراد فيها الديونة المحمدية لما بين موسى ومحمد عليها الصلوات من الملائكة
 كما هو ظاهر وكما قال تعالى [انا ارسلنا اليكم رسولا كما ارسلنا الى فرعون رسولا] وكما جاء
 في البشارة المشهورة لبينا صلى الله عليه وسلم في سفر التثنية (١٨: ١٨) " اقيم لهم نبيا
 من وسط اخوتهم شكك واجعل كلامي في فمهم بكل ما اوصيه ١٩ ويكون ان الانسان الذي
 لا يسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي انا اطالبه " فانظر كيف راعى الترتيب الزماني بين آدم و
 واردها بمثلها " جعل النظم كالبجنان المفصل بتمتع انظر كيف جعل هذه البقاع مع رعاية المناسبة
 المعنوية مرتبة حسب المكان فان التين اتصاها في الشمال والمشرق ثم جبل الزيتون في الشام
 ثم الطور في المغرب والجنوب ثم مكة في أقصى الجنوب وكذلك كان مسير ابراهيم عليه السلام
 في حجرة من اودر الكلدانيين الى كنان ومصر حتى انتهى الى مكة . وقد مر في الفصل الرابع
 ان موضع التين هو الذي وقعت عنده الديونة في عهد نوح عليه السلام وكذلك مكة موضع
 عهد الرب بابراهيم عليه السلام الذي دعا ان يجعلها الرب بلدة امينا وذكرها بهنا بهذا
 الاسم يلح الى ذلك نصارت الآيات جامعة لما اظهر الرب من الديونة في عهد آدم
 ونوح وموسى وعيسى وابراهيم ومحمد عليهم الصلوة . ونظير ذلك قوله تعالى [ان الله
 اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين] فنحس هؤلاء بالذكرة
 ولا يخفى ما في جمع التين بالزيتون وطور سين بالبلد الامين ايضا من المناسبة
 الظاهرة جمعا وضرفا . وايضا في قران التين بالزيتون مناسبة اخرى لطيفة وذلك
 بان في الزيتون ايضا لما الى بركات نوح . وبيان ذلك ان نوح عليه السلام
 بشر بنشف المياه بالزيتون كما جاء في سفر التكوين (٨: ١٠) فليست ايضا سبعة

ایام اخر و عا و فارسل الکامۃ من الفلک - ۱۱ فانت الیہ الکامۃ عند المساء و اذا ورتۃ
 زیتونۃ خضراء فی نمبہا - فطم نوح ان المیاء قد قلت عن الارض ،، و ما ذکر تبیین ما فی ہذا
 الترتیب من المناسبتۃ من وجوہ کثیرۃ - و اما التوراة فالنحاطبون بہا البسطاء و بالغ
 فی التصریح فقال جاء الرب و فی التصوير فقال اشرق و تملأ لأفعلی ہذا الاصل ذکر
 الاقرب فالاقرب . تقدم طور سیناء ثم تقدم خطۃ فذکر سعیر موضع دینوتۃ استخرج
 ثم رجع فذکر من کان مثل موسیٰ و کان ظہورہ من فاران و قد لبسہم بہ و عرفہ ہم
 کل التعریف ثم مثل الاول تقدم خطۃ فذکر من کان قبلہ آتیا من رجوات القدس
 و اذ کانوا صلب الرقاب راعی جانب التوفی فذکر الیتیم باسم سعیر دلالت علی
 موضع الطوفان و کذلک ختم الذکر بقولہ ” و عن یمینہ سنتہ نارہم ،، فراعی فی ہذا الکلام
 ایضا وجہ البلاغۃ حسب مقتضى الحال و کل حال مقال و تختلف الصور مع اتحاد المعنی
 و اللہ تعالی اعلم و علہ حکم .

(۱۱) (فی تاویل المقسم علیہ و ہو قولہ تعالی [لقد خلقنا الانسان - غیر ممنون])

قد سبق فی امران المقسم علیہ ہوا امر الدینوتۃ و قد اقسام علیہا فی سور اخر و جملہا
 اکبر مطالبہا فلان ذکر بہنہا الاماتحتاج الی ذکرہ فی ہذہ السورۃ فاعلم ان اللہ تعالی
 جعل الرحمۃ اصل کما یفعل ببادہ فاعطى الانسان اول احسن تقویم ہذہ
 العیطۃ تلزمہا الدینوتۃ کا وقت و لکنہ تعالی مہدلہ منہا سبیلا الی حمۃ ہی اکبر و اتم
 فالرحمۃ کما ہی اصل الدینوتۃ و بذربا فکذلک ہی فرعہا و غمرہا و علی ہذا الاصل ذکر
 فی المقسم ثلاث مراتب الانسان اولہا و وسطہا و آخرہا . و اخبر عن عموم حالہ من حیث
 نوعہ و جعل داقۃ آدم علیہ السلام مرآۃ لذلك . و بیان ہذا الاجمال ان اللہ
 خلق الانسان فی غایۃ احسن من انخلقہ علی طریق مستقیم من الفطرۃ حرا کما ملأہا

بالخير والشر فخراني الارادة والفعل كما قال تعالى [ونفس وما سواها فإلهاها
 فخرها وتقوها] لكي ينجح جانب الخير من نفسه ويختار جانب التقوى فيطبع ربه بعد
 المحرقة وذلك ارفع منزلة من طاعة من فطر عليها وسخر لها فذلك قوله تعالى [لقد
 خلقنا الانسان في احسن تقويم] فكلون الانسان في احسن تقويم هو وضعه بين
 المتقابلين المتضادين من الميل الى الخير والشر مع العلم بهما والاختيار بينهما وجعل حب
 الخير اصل فطرته وذلك بان تربيته التقوى وابرازها واكمالها منوط بالجهد والكسح و
 لا بد للاختيار من هذه المشقة ليخلص النصارى من الخبث وهو المراد من التزكية والابتلاء و
 لولا هذا الجهد والكسح لما رتقى الانسان الى ذروة الكمال الذي اودع الله فطرته وجعله
 بذلك احسن خلقه علما وعملا وحكمة وزكاة . واذ من عليه ربه بالاختيار عامله معاملة الاحرار
 فاخذ منه عهد اللطاعة وبذلك صار موقعا للدينونة فلما نسى العهد قلعه عزمه كما قال تعالى
 [ولقد عهدنا الى آدم من قبل فغنى ولم نجد له عزما] تصدى للدينونة فذلك قوله تعالى
 [ثم رددناه اسفل سافلين] ولكنه تعالى اذ فتح له غرفة الهام الفجور والتقوى تداركه
 بوحى التوبة كما قال تعالى [فخلق آدم من ربه كلمت فتاب عليه] فنهض الانسان بعد
 هبوطه احسن مما كان فاجتباها ربه كما قال تعالى [وحصى آدم ربه فغوى ثم اجنبه
 ربه فتاب عليه وهدى] وهذه دينونة ثمانية وكما ان الاولى لم تكن مختصة بآدم بل
 عمت ذرية فذلك جعل هذه الثمانية عاتق فان كل من تاب بعد الالة تاب الله
 عليه ويهدى كما قال تعالى [قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم منى همى فمن تبعه اے
 فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون] فكما عرض وحى التوبة على آدم فذلك يعرضه على ذرية
 بواسطة الانبياء فمن طمأه كان على سنة آدم وادعى ما سلب بل ما هو جبر والتقى
 فذلك قوله تعالى [الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون] فهذه ثلاث
 مراتب في احوال الانسان . ويشبه هذه الايات قوله تعالى [انما عرضنا الامانة

على السموات والارض والجمال فابين ان يجعلها واشفق منها وجعلها الانسان انه كان
ظلوما جهولا (ظلوما من جهة العمل فاجترأ على امر عظيم فظلم نفسه واوردها بها لك جهولا من جهة
العلم فجاز على امر لو تبينه وعلم كنهه لاشفق منه ولكن لولاها لما ترقى فان كل فوز في المخاطرة
كما ذكر نتيجة ذلك فقال تعالى) ليغذب الله المنافقين والمنفقات والمشركين والمشركت
ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما [فكان احتمال الانسان
الامانة كمال استعداده وكان ظلمه وجهله لما انطوى به الاستعداد على الزلة
والعقبات والنهوض فيتوب الله على من انتش بعد العثرة مثل آدم فيفوز بالايجاب -
وهما ذكر تبين ان هذه الآيات الثلاث جامعة تمام قصة الانسان ودينوته من اول
خلقه الى نهاية مبلغه ومناطرة الى حالة آدم وهبوطه مع ذريته - وعلى هذا يفهم من [اسفل
سافلين] حالتهم حين ارجعوا الى هذه الدار الدنيا حينئذ حرف [الا] للاستدراك
اي ولكن المؤمنين تسيرون بعد الهبوط فيفوزون باجر دائم - واما من فهم من [اسفل سافلين]
حالة الكفار فقط جعل الاستثناء متصلا اي بعد خلق الانسان في احسن تقويم ردوهم
اسفل سافلين غير الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهو لا يردوا من الحالة الاولى
ولا ينحى ان هذا التاويل الاخير ضيق ولبعد كونه غير مطابق لمعوم خلق الانسان ولناظر
الى قصة آدم وهبوطه مع ذريته فان الرد حينئذ يكون مخصوصا بالكفار - واما التاويل
الاول فهو ادسع واتم ويؤيده ما ذكرنا من نظيره فان قوله تعالى [انه كان ظلوما
جهولا] غير مختص بالكفار ثم فرق بين الكافرين والمؤمنين - واعلم ان كلا من
التاويلين محتمل على فرض التاليف الاضافي في [اسفل سافلين] ولكن
ان جعلت [سافلين] حالا وهو احسن كان [اسفل] عاما مشيرا الى قصة آدم
وهبوطه مع ذريته سواء جعلته طرعا دحالا وعلى هذا الاستثناء منه واما [اسفلين]
ففيه وجهان - الاول ان تجعله ايضا عاما فان الله تعالى لم يرد هم الى اسفل الابان

اختار الانسان سفلا نفسه وعلى هذا تكون حرف الالاستمدراك امي. لكن المؤمنين بعد ان كانوا سافلين حين اهبوا انهم صوابوا فليهم اجر دائم - وهذا تاويل حسن راجح كما هو ظاهر. والوجه الثاني ان تخرج المؤمنين من [سافلين] وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا امي المؤمنون مع الهبوط لم يكونوا سافلين ولكنهم عرجوا من السفلى الى العلو واما الكفرون فبقوا فيما رددوا اليه بل ازدادوا سفلا -

(۱۲) (في تاويل قوله تعالى [فما يكذبك بعد بالدين - احكم الحاكمين])

فوجه اني تاويله الى قولين : الاول - فاي شيء يكذبك ايها الانسان بالدين - واختاره مجاهد فانه لما قيل له معنى به النبي قال معاذ الشد انما عني به الانسان واختاره الزمخشري ثم زعم ان [يكذبك] معناه يحملك على الكذب وهذا تاويل حسن لو ثبت ولعل اخذه من انكار مجاهد فان الكذب بهذا المعنى محال ان ينسب الى النبي ولكن لم يثبت بشا به على هذا المعنى - والثاني - فايكذبك ايها النبي بعد ذلك بالدين وذهب اليه الفراء وهو مصيب في انه لم يصرف الكلمة عن المعنى المتداول ولكن يبعد عن سياق الكلام وموقع الاستفهام فانه ليس في الكلام ما يناسب به خطاب النبي بهذين الاستفهامين ولا التفرع بقوله تعالى [فما يكذبك] ولا انكيد بقوله تعالى [بعد] فالظاهر الاقرب من سياق حسن النظم ما ذهب اليه مجاهد مع القاء معنى الكذب على ما وجد في كلام العرب وعلى هذا يسوغ تاويلان - الاول - فاي شهاة ودينيس ايها الانسان بعد هذه الشهاة يتخالف قوله بوقوع الدين ويكذبك فيه : على انه يكون الخطاب بالانسان عموما فيكون تثنيا لمن آمن بالدين وشامل من ترد فيه : على هذا يتبين اختيار كلمة [ما] فان الناس لم يزلوا يكذبون بالدين عنادا وتقليدا واما الدلائل والشهاة فليس فيها ما يكذب به نحا طيب نفوسهم لينظروا الى محض

الدلائل فیلوا انه لیست فیها ما ینذہم بہ - واثانی - فای شئ من الامانی والظنون یخالج صدرک فی امر الدین بعد ان ولت الوقائع والشواہد وعلیٰ ہذا یكون وجه الخطاب الی المنکرین خاصۃً ولہذا الخطاب نظائر دہنہا قولہ تعالیٰ [ایہا الانسان ما غرک بک الکریم] ویؤیدہ ما جاء من اظہار ہم الظن فی امر الدینونۃ کما اخبر اللہ تعالیٰ عن قولہم [ان لظن الانا وامن مستیقین] وکلا التاویلان واضح حسن کا یظہر واللہ تعالیٰ اعلم وعلمہ اعلم - وتمام الاستفہام الاول علی کلا التاویلین ان تقرر الانسان بالذینوتہ ویرک ما یقی الیہ من الشبہات سواء کان من الناس او من قبل نفسه بعد ان کثر شواہد ہا وظهرت براہینہا - وتمام الاستفہام الثانی ان ینزع الانسان بالذینوتہ کوہنا من صفات الرب تعالیٰ کما نہ فیل ہم ایس اللہ با حکم الحاکمین کیف یکن ان یرک الانسان سدی غیر محزنی خیار ہم کاشرا رہم کما قال تعالیٰ [انفعل المسین کالجہین مالکم کیف تملکون] -

(۱۳) (فی نظم السورۃ یاسق و یالحی و فیہ اثبات ہذہ البعثۃ)

تقت السورتان السابقتان ما حصل البنی من اعباء ہذہ البعثۃ العظمی المتی اسس نبیا ہنا بید ابراہیم واسمعیل علیہما السلام وجعل لاجلہما ہذا البلد ما سونا من کید الاعداء ولذلک اسکن فیہ ابراہیم ذریئہ دسبح ان اللہ تعالیٰ اخر امر ہا وغشی ضوبہا طلعت الی مدۃ ما ودعہم دما قلا ہم حی اشترقہ بنور انتم فبث فیہ ہذا البنی لیکل مقصد بناء ہذا البلد و ہوا التوحید اکمل والمواساة بالنعفاء والرب تعالیٰ حکیم عظیم بالمصالح وجعل کل امر اجلاسی فذکر فی سورۃ التین کیف یدین اللہ الانسان بالحدۃ و یقیم من ینہم امۃ بعد امۃ ویطہم الاماتۃ و یرفع قوما ویضع قوما لینہم جہادونوا بعبدہ و امامتہ کما قال تعالیٰ [وہو الذی جعلکم خلئف الارض

و درغ بعضکم فوق بعض و رُبت لیبوکم فیما آتکم ان ربک سر یج العقاب و انه لغفور رحیم
 فکر کنی ہذہ السورۃ شواہد علی ظہور ربکات ہذا البلد و ان ہذا بنی علی سنتہ اللہ بالانسان
 من اول امرہ و اما ذکرنا تبیین ان غایۃ ہذہ السورۃ اثبات ہذہ البقۃ اثباتاً لیا لکون
 الرب تعالیٰ دہاناً و احکم الحاکمین و اثباتاً تاریخیاً کان سلسلہ و جدت کلمہ الا الحلقۃ المتمۃ
 او کان قصراً اتم بنیانہ الا اللبۃ الاخیرۃ کما لبشر بہا السج علیہ السلام و جاء فی
 الحدیث الصحیح و ذکر کلمۃ باسم البلد الامین لیتبیر الی دعا ابراہیم علیہ السلام
 من دعا ہذہ البقۃ و لامۃ سلسلہ تقوم بفرأئضہا فلی بعث اللہ ہذا النبی امرہ بامر واحد
 و مورد الخفیۃ البیضاء الی کما ہما و هو الاسلام و اقامۃ السلم فی الناس و جعل
 طریقہا تلاوۃ آیات اللہ و تعلیم الشرائع و الحکمۃ و التزکیۃ کما انخر اللہ تعالیٰ عن دعا
 ابراہیم من دعا ہذا البلد و بنی ہذا البیت المحرم [ربنا و اجعلنا مسلمین لک و
 من ذریتنا امۃ مسلمۃ لک و انا مناسکنا و تب علینا انک انت التواب الرحیم
 ربنا و البش فیہم رسولاً منہم یتلو علیہم آتیک و یعلم الکتب و الحکمۃ و یرزقہم انک انت
 الغزیر الحکیم] و قد وضع اللہ لنا رباط ہذا البلد الامین و الاسلام و تلاوۃ القرآن
 و ان ذلک ہو غایۃ ہذہ البقۃ البقۃ یشق قال تعالیٰ [تعز انما امرت ان اعبد رب
 ہذا البلدۃ التي حرّمہا و لا کل شیء و امرت ان اکون من المسلمین و ان اتلو القرآن
 فحسب ہذا الرباط نتج ہذہ سورۃ البلد الامین سورۃ اقرء و جعل نعمۃ القرآن غایۃ
 خلق الانسان و لایبرہان علی کونہ احسن تقویم و بین ذلک فی السورۃ النالیۃ
 قال [اقرء باسم ربک الذی خلق] الی قولہ [و علم الانسان ما لم یعلم] و اقرب
 منہ قولہ تعالیٰ - [الرحمن علم القرآن] خلق الانسان علمہ البیان [فذل علی ان
 القرآن شغل خلق الانسان من اذ وضع مظاہر رحمۃ ربہ فیہا فانه یعطی کل شیء جملاً
 جعلہ مستعداً لہ کما ہو مبوط فی موضعہ و بالجملة فکون الانسان فی احسن تقویم

يتبعه ان يعطى القرآن . فان ذلك هو الرجوع الى اسن تقويم ر
 برونه ما ادع في فطرته من الكمال . هذا والله تعالى
 هو الملهم للشايد والموفق للذايد وآخر دعوانا
 ان الحمد لله رب العالمين والصلوة على
 محمد النبي الامين . وآله وصحبه
 اجمعين

فہرست مصنفات صاحب ہذا الکتاب

اجزاء من التفسیر المسمی نظام القرآن

۲۴

تفسیر سورۃ تبت یا الی لب ۴

تفسیر سورۃ التحریم ۴

تفسیر سورۃ عبس و توتی ۴

تفسیر سورۃ القیامہ ۴

تفسیر سورۃ الدین ۴

تفسیر سورۃ الکفر ۴

تفسیر سورۃ العصر ۴

تفسیر سورۃ الذریت ۶

امعان فی اقسام القرآن ۶

الرای الصحیح فی من ہوا الذبیح ۱۰

اسباق النجوم، سہل طرز پر عربی گرامر بزبان اُردو حصہ اول ۴ حصہ دوم ۶

دیوان حمید، بزبان فارسی ۱۲

خردنامہ، ترجمہ امثال حضرت سلیمان علیہ السلام منظوم بزبان درسی ۱۰

تحفۃ الاعراب، عربی کی نحو جدید، اُردو نظم میں ۲

تطلب من مدرستہ الاسلامیہ، سرائے میر، اعظم گڑھ۔

تفسير
سورة

من
نظام القرآن
تأويل الفرقان بالفرقان

تأليف
المعلم عبد الحميد الفراهي

طبع في مطبعة معارف أعظم كره

الهند

تفسير سورة الكوثر

فهرس مطالب الفصول التي في تفسير هذه السورة

- (١) ربط السورة اجالا بالتي قبلها والتي بعدها
- (٢) معنى كلمة كوثر لغته وتاويلها
- (٣) اقوال السلف في تاويل كوثر
- (٤) ماخذ اقوالهم ومرجعها الى الاتفاق
- (٥) اللوامع الدالة على ان الكوثر هو بيت الله وحاو له
- اللؤلؤة الاولى من تسميته بالكوثر من جهة الحج
- الثانية من جهة تشبيه المساجد بالنهر
- الثالثة من جهة اشتراك معنى الكوثر
- الرابعة من الاشتراك في الواردين
- الخامسة كون فتح مكة ينبوع الكثرة
- السادسة لما سمي الله مكة مباركا
- السابعة من موقع نزول السورة
- الثامنة من تطبيق موضع منه بمبنة صلى الله عليه وسلم
- التاسعة من اشارته الى موضعه
- العاشرة من تطبيق طول الكوثر بالحرم
- (٦) انهر الكوثر صورة لروحانية الكعبة وما حولها من مترودا لبحاج

- ۱۱ (۷) نظیر ذلک فی ذکر روحانیت اور شلیم
- ۱۲ (۸) تاویل قوله تعالى «انا اعطینک الکونین»
- ۱۳ (۹) تاویل قوله تعالى «فصل لربک والنحر» و بیان ربطہ باقبلہ بوجہ :-
- ۱۴ الوجه الاول انه تنبيه على المقصود
- » الثاني انه اخبار بما تبقى الطاء
- ۱۵ » الثالث ان فيه تسلية
- ۱۵ » الرابع انه بيان ما عايناه من الحج والصلوة والنحر
- ۱۶ » الخامس انه عهد بالتوحيد
- ۱۶ (۱۰) المناسبة بين الصلوة والنحر من وجوه :-
- ۱۷ الوجه الاول مناسبة الايمان والاسلام وفيه بيان كون اوضاع
- الصلوة اقوالا لبيان الحال وان الصلوة اول الشرائع
- ۱۹ » الثاني مناسبة احيوة والموت
- ۲۱ » الثالث كون الصلوة نخرا
- ۲۲ » الرابع كون النحر صلوة
- ۲۴ » الخامس كونها ذكر الله تعالى
- ۲۴ » السادس كونها شكر الله تعالى
- ۲۴ » السابع كونها تحقيقا للتقوى
- ۲۵ » الثامن كونها من المعاد
- ۲۶ » التاسع كونها من الصبر
- ۲۸ » العاشر كونها اقرا بالملك لله
- ۲۸ » الحادي عشر كونها تقربا الى الله تعالى

- ٢٩ الوجه الثاني عشر كونهما جامع العبادة الفطرية
- ٣٠ (١١) فيما يستنتج من تاويل الآية الوسطى وهي امور :-
- الامر الاول محل هذه الشريعة في الوسط الجامع وهو الكمال
- والثاني انحصار توبة اليهود والنصارى في قبول هذه الشريعة
- والثالث كون المسلمين فقط ورثة ابراهيم عليه السلام
- ٣٣ (١٢) تاويل كلمتي «وإنا أنزلناه» و«الابتر»
- ٣٤ (١٣) تاويل قوله تعالى «وإنا أنزلناه» و«الابتر»
- ٣٥ (١٤) موقع النزول ودلالته الصادرة على البشارة
- ٣٨ (١٥) دلالات من مجموع السورة على امور مهمة وهي خمسة
- ٣٩ (١٦) بشارة الرضوان لامة محمد صلى الله عليه وسلم
- ٤٠ (١٧) برهان دائم متصل على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم
- ٤١ (١٨) تصديق ما وعد الله ابراهيم من عموم البركة فيه ذكر الشبهة بين ابراهيم
- ٤٢ ونحو عليها الصلوة وان الكعبة هي ينبوع الكوثر

سورة الكوش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوشَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَسْ (٢) إِنَّ
شَانِكَ هُوَ الْكَابُتُ (٣)

(في عمود السورة وربطها بآيها وبأجلها)

١- قد مر في تفسير السورة السابقة - أنها نزلت في ذكر الذين كبرت خيانتهم في ولاية الكعبة لما أهدم سد الحج ومناسكها وابلغوا حقيقة الصلوة والنحر بالطلال التوحيد والوحدة بالمساكين فبادر بالويل واللعنة، وحق لهم أن يسبهم الله بهذا الخير ويعطيهم من استحقه حسب سنته كما قال [وان تتولو ايتبدل قوا غيركم ثم لا ينجوا ائساكم] وكان الله تعالى ينزع ولاية الكعبة عن الخائنين فهذه السورة بشر الله تعالى بنيه بأنه اصطفاها وامتد لولاية بيته المحرم وسكن خليفه وذريته التي يبارك بها الالام ، كما جاء في التولة ولذلك سمي الله تعالى هذا البيت [مباركاً وهدى للناس] ولا شك ان هذا العطاء هو الفوز الاكبر والخير الكوش وهو الضمان للوض الكوش الذي يعطيه الله تعالى في الآخرة ، فوضع هذه السورة بالتي قبلها كوقع ذكر النعمة بعد النعمة والعطاء بعد العطاء ، والمتخلفين بعد المهلكين ، وذلك اسلوب عام في القرآن ، ذلك ولما كانت السورة الثالثة في اعلان الهجرة من جاريته حسن في نظم الكلام تقديم سورة التبشير

والتسليّة ليدل القرآن بنظمه على ان الله تعالى قضى باليسر قبل العسرة وان كان وقوعه بعدها، قرى ان اعلان الهجرة الذي تضمنته سورة الكهف ون وضع بين سورة التبشير اعنى سورة الكوثر وسورة النص ثم لما كانت هذه السورة بشارة للنبي بكثرة اجائه وقطع اعدائه عن بركات الكعبة جاءت سورة الكفرون يانالاصل هذه المقاطعة وهو التوحيد الذي نبى عليه هذا بيت الله الواحد فلهذا اجمال القول في عموم السورة وربطها، واما الاطمينان با ذكرنا فيرجى من تفصيل متبعه.

(تفسير كلمة كوثر واما ويلها)

٢- اعلم ان تاويل هذه السورة محجوز تحت كلمة كوثر، فالادلى ان نجث ادلا عن معناها وقد اختلف فيه اقوال السلف رحمهم الله فلا بد من بسط الكلام حتى تبين القول الرابع والتاويل الواضح والله تعالى هو الموافق للسادس .
لا يخفى ان الكوثر مبالغة الكثير فهو ذكثرة عطية وبركة وثرثرة فان الكثير هو الثروة وقد سموه ابر الرجال كما سموهم بكثير وكثير وترى استعماله على طريق الصفة في قول لبيد وصاحب ملحوب فجعا بموت وعند الرداع بيت آخر كوثر
في قول امية بن ابى عائذ الهذلي

يخامى التحقيق اذا ما احدث من جسم في كوثر كما بجلال
فاستعمل الصفة بتقدير الموصوف اى في غبار كوثر، وقد جعلوا منه فعلا كما قال
حسان بن نشبة

ابو الان يجوا جارهم لعدوهم وقد ثار نفع الموت حتى تكوثر
فاكوثر بهما من جهة اللسان مخمل لثالثة وجوه من التاويل الاول انه
منقول الى الاسمية فصا مختصا بشئ سماه الله تعالى بالكوثر. والثاني انه

صفة قدر موصوفها فنصار له بعض التخصيص كقولهم "مرد علی جرد"، ای رجال مرد علی خیل جرد و كقوله تعالى [والذاریات] ای الریاح الذاریات و [ذات الراح و دسر] ای فلک ذات الراح و دسر دند اکثر فی القرآن و كلام العرب و لكنه لا یوجد الا اذا كانت الصفة خاصة بالموصوف فیفهم من ذكر مجرد الصفة دولت علی الموصوف قرینة أخرى. والثالث انه وصف باقی علی عموم معناها کاسماء الصنف التي تقع علی القلیل و اکثر ولا تختص و حینئذ یكون من جوامع الکلم و یتمثل کما کان فیہ خیر کثیرة کحل حسب القرائن علی بعض الافراد و اعلم ان اصل ما تمسک به فی تاویل اکثر هو نظم السورة و موقع آیاتها و ربما ما معانیها و حسن تاویلها کما تبین لك من النظر فی الفصول التي بعد الفصل السابع و اما ذکر الوجوه الأخر و تطبیق الروایات فلهذا دفع الشوک عن قل اعتناءه بجاسن نظم و معانی تاویل. و بعد ذکر هذا البتة نذكر اقوال السلف فی تاویل اکثر.

(اقوال السلف فی تاویل اکثر)

٣- ذکر ابن جریر رحمہ اللہ فی تاویل اکثر ثلاثہ اقوال الاصل انه نہد فی الجنة و روی ذلك عن عائشة و ابن عباس و ابن عمر و النسابة و عن مجاهد و ابی العالیة رحمہم اللہ و الثاني انه اخیر اکثر و روی ذلك عن ابن عباس و عن سعید بن جبیر و عكرمة و قتادة و مجاهد رحمہم اللہ و الثالث انه حوض فی الجنة و روی ذلك عن عطاء رحمہ اللہ و الارسی و قنابین القول الاول و الثالث و سمي بالحوض فی الموت و بالنظر فی الجنة فان ذلك الحوض من ذلك النهر الجاری مخرج روی عن عكرمة الذي قال انه اخیر اکثر ايضا انه النبوة و فی رواية انه القرآن و انه الحكمة و انه الاسلام - و آخر ابن جریر رحمہ

بعد ذكر هذه الروايات انه اسم نهر في الجنة مستند على روايات عن انس
عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتجشم التطبيق بين هذه الاقوال مع ان القائل
بالقول الثاني هو القائل بالقول الاول وكذلك منهم من قال بالقول الثاني.
ثم قال تارة انه القرآن والحكمة وتارة انه الاسلام والنبوة. ثم يعلم من الروايات
انهم كانوا يعلمون ان الكوثر نهر في الجنة وقد اخبره النبي صلى الله عليه وسلم
وعرفه لهم فكيف يتخلفون بعد العلم لاسيما بما ذكره من احوال القرآن وتليده
عكرته فلابد من التامل في كلامهم ليتخلص لنا لباب الحق خاليا عن العسف.

(ماخذ اقوالهم وان مرجعها الى امر جامع)

٣٧- اعلم ان من اراد من الكوثر نهرا في الجنة ادعوا في الموقف فقد جلد
اسما منقول عن الوصفية واقعدني على ما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن الكوثر الذي
يعطيه الله في الآخرة. ومن اراد انه الخير الكثير اما بتقدير الموصوف وهو الخيفان
الموقع موقع ذكر النعمة واما بجعل الصفة نفسها خيرا كثيرا واما واحدا - فالظاهر
انه تمسك بوجه الاول انه لو كان منقولا الى الاسمية لكانت كرامة مثل سلسيل
وتسليم وعلمين وسجين وعلمين ولعمري القرآن لكان عربيا سينا واسمية وضع جديد
فاستمال الكوثر كلام التعريف مع انه اسم شئ لم يعرفه يخرج القرآن عن
العربي المبين فلا يحل التسمية على طريق النص ولكن يراى منه شئ في الخير الكثير
على سبيل التاميل والثاني انه من عادة القرآن ذكر عطايا الآخرة بصيغة
المستقبل او بما يدل عليه مثل قوله تعالى [ولسوف يعطيك ربك فترضى] و
[يبثك ربك مقاما محمودا] والثالث ان ابقاء اللفظ على عمومته يجعله
اوسع واجمع والقرآن انزل جم المعاني ثم الكوثر نفسه يقتضى الوسعة

فالاقتصار لا يوافقه. ثم اعلم ان من اراد ان الخير الكثير لم ينكر الخير الذي جاء في
كثرة الآخرة. انما جلوه عام وسيعا ثم بعد ذلك حملوه على نهر الجنة من عطايا الآخرة و
من العطايا الموجودة الآن على القرآن والحكمة والنبوة والاسلام على سبيل
التفصيل لا على جهة التسمية والتعيين. فذكر ذلك كل الافراد مع ابقاء اللفظ على عمومته.
ومن عادتهم التفسير بالقرآن. فحملوا الكثرة على القرآن لما وصفه الله بالمبارك و
على الحكمة لقوله تعالى [ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا] ولا فرق بينها فان القرآن
جامع للحكم. وعلى النبوة لقوله تعالى [وما ارسلناك الا رحمة للعالمين] وبكذلك الاسلام
بل الاسلام يشمل الخلق كله لقوله تعالى [ولا اسلم من في السموات والارض]
فهذه الاقوال كلها مأخوذة ومستنبطة من القرآن وما لها الى امر واحد وان
اختلفت الالفاظ. وما ما ذكر الامام الرازي رحمه الله من كثرة الاولاد والعلماء
والاتباع والفضائل ورفعة الذكر والخلق المحسن والمقام المحمود وبه السورة
وجمع نعم الله وبها الآخرة نقده عن ابن عباس رضي الله عنهما ببعضها يرجع الى ما قدمنا وبعضها
لا يناسب لفظ الكثرة ومع ذلك كلها داخل تحت عموم اللفظ ولكن تفسير السلف
اقوم وادفع استنباط المقصود مما ذكرنا ان بهناذين نحب لاذناب
كثيرة كما يظهر بادئي الرأي وهو ان الكثرة اما هوشى خاص بعينه من عوض او نهر
او حكمة او قرآن وانشال ذلك - او هو عام يشمل كلها كان ذا خير كثير وسمته القائل
بالتعيين ان النبي صلى الله عليه وسلم سماه بهذه الاسم وسمته القائل بانه يشمل النهر
وغيره تطبيق خبر النبي بالقرآن فاولوا القرآن حسب مقتضى عبارته ثم اولوا ما جاءهم
عن النبي بما لا يخالفه فهذه اجمع بين التاويلين فانه لا يتاين بين العام والخاص
وكذلك جمع سعيد بن جبير بن قولي ابن عباس في كماروى ابن جرير قال
حد ثنا ابو كريب قال ثنا عمر بن عبد عن عطاء عن سيد بن جبير عن ابن عباس

قال الكوثر نهرني الجنة حاتمنا من ذهب وفضة يجري على الياتوت والذراوة
ابيض من الثلج واحلى من العسل، «وردى ايضا وهكذا في صحيح البخاري»
«قال حدثني يعقوب قال ثني هشيم قال اخبرنا ابو بشر وعطاء بن السائب
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال الكوثر هو الخير الكثير الذي اعطاه الله
اياها قال ابو بشر نقلت لسعيد بن جبير فان ناسيا زعمون انه نهرني الجنة قال
نقل سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله اياها، «هذه توفيق بين
التولين توفيق الخاص بالعام ثم ان امكن التوفيق التام بين القرآن والحديث
بان يقال ان الكوثر الذي اعطاه الله رسوله في الدنيا هي التي في الحقيقة حوض في
الموقف ونهرني الجنة كان ذلك احسن توفيقا وقد وجدناه ايضا احسن تأويلا
وتذكره في الفصول الآتية بعونه تعالى»

(اللوامع الدالة على ان الكوثر هو الكعبة وما حولها -)

٥- قد ظهر ما سبق ان السلف رحمهم الله لم يختلفوا في كونه ثرا الآخرة ولكن حملوا اللفظ
على العموم وراعوا صيغة الماضي فذكر واما يدخل في مدلول هذا الاسم ليكون اللفظ
عاما وسيا كونه في دلالة ذلك ساغ للتأخرين من المفسرين التماس
امور اخر غير ما روي عن السلف فلو كان القول فيه بدعة وضلالة لكتبو او لكت
السلف ولم يختلفوا فان التمسث قول لا يجعل الكوثرين واحدا لم ارني مخالفا
للسلف كما اني لا اراهم مخالفين بعضهم لبعض يده انهم جعلوا الكوثر عاما فخلوه على
عرض او نهرني الجنة وعلى غيره مما فيه الخير العظيم من القرآن والحكمة والاسلام
والنبوة من غير رعاية مناسبة بالجحوض او النهر واما انا فاطم على ما هو اشد شي
بجحوض او نهر وصفة النبي وكشف له في ليلة المعراج فان الله تعالى اراه

فيه حقائق امور اخرو ودعائيتها من الامور التي في الدنيا فكذا لك ارادة روحانية
 الكوثر الذي اعطاه في الدنيا وكان النبي صلى الله عليه وسلم ربما يصرح بما
 يكشف له كما قال في امر سورتي البقرة وآل عمران انها تانيان كتمانين. وان
 الدنيا تاتي كجوز شمس طاء وان الموت ياتي في صورة كبش هبها يكتفي بالاشارة لكي يتفكروا
 ويشبطوا فيكون تعليمات تربية لعقولهم. فان لم يبلغنا التصريح منه عليه الصلوة بان الكعبة
 تكون يوم القيامة حوضا كوثر افقد لنا باشارات وقد رغبنا في التفكر والتوسم والان
 نذكر ما كشف لنا من اللواسع الذي على ما ذكرنا. **الكواكب** ان النفس لها شدة وقوة
 الى الرب ولا تظن بعد هاجته وهذه الفطرة غشا الديانات في الناس حتى لا تخلو
 عنها امة وما يعبر عن هذا الشوق الروحاني غير العطش وكثر في الزبور هذا التمثيل
 فان صح ذلك فالموحدون عند الحج لاشبه شئ بالعطاش المجتبعين عند حوض
 بعد مقاساة الظما الشديد فالكعبة لهم في الدنيا هي كالحوض الكوثر الذي يردون فيه
 المحتر. **والثانية** ان النبي صلى الله عليه وسلم شبه مساجدنا بالمحفر كما روى
 البخاري في صحيحه قال عليه السلام **«ارأيتم لو ان نهر ابواب احدكم يغتسل فيه**
كل يوم خمسا» الحديث. فهذا التمثيل من جهة اخرى للماء فان الماء كما انه روي بذلك
 هو طهور. ولا شك ان مورد صلواتنا هذا البيت الذي بكه فكان له جداول في كل
 مكان يصلون فيه **والثالثة** ان كما تستعلن كثرة هذه الامة على الامم عند الكعبة
 فكذا لك تكون عند الحوض ولا شئ اذل على كثرة هذه الامة من اجتماعهم في موضع
 واحد وان هذا الاجتماع لادل على كثرتهم لعلم الناس بان هذه الجماعة انما هي قطرة
 من بحر امة الممتدة على بسط الارض فكما توضح زيادة هذه الامة على امم النبيين الآخرين
 في القيامة عند اجتماعهم على الحوض فكذا لك ترى كثرتهم حول الكعبة في الموسم.
 فاسم الكوثر انهم مطابقة بها. **والرابعة** ان النبي صلى الله عليه وسلم

اخبرنا يعرف الله على الحوض بانثار الوضوء فيه اشارة الى ان الذين يردون
 هذا البيت بقلوبهم هم الذين يردون في الآخرة ذلك الحوض الذي هو حقيقة
 هذا البيت . والخامسة ان الله تعالى قد جعل استخلاص الكتبة ينوعا للكثرة فدخلوا
 في دين الله اذوا جالده الحج الاكبر . والسادسة ان الله تعالى سعى مسجد مكة مباركا
 حيث قال [ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة وبرى للعالمين] و
 جعل الله لهذا البيت من البركة ما عم فيه جميع العرب بل جميع العالم كما وعد ابراهيم
 عليه السلام فظهرت بركة في اسمعيل اكثر من بركة اسحق كما مر في تفسير سورة الفيل
 ولا يخفى ان كل هذه البركات من هذا البيت ومن الصلوة والنحر والامامة
 القرآن بالبارك فمن جهة كونه كالمطر النازل من السماء فمباركا كما سعى المطر
 مباركا كما ان المطر يحيى الارض فكذلك القرآن يحيى القلوب فسميت القرآن
 بالبارك لانه فيها تشبيه بالحوض والبلاغة تتكرر فيه التشبيه لعل مكانة القرآن
 وسعة التي لا نهاية لها . والسابعة ان هذه السورة نزلت يوم صلح الحديبية
 الذي فتح باب الوصول الى بيت الله والحج والصلوة والنحر وظهور الاسلام
 وكثرة حتى سماه الله فتحا مبينا . ونكلم على زمان نزولها في الفصل الرابع عشر
 بعض البسط ان شاء الله تعالى . والثامنة ان النبي صلى الله عليه وسلم
 اخبر عن موضع طرف من ذلك الحوض فاشار الى الباقي كما روى البخاري
 في صحيحه قال عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري
 على حوض ، فيستنبط من ذلك ان هذه الارض المباركة التي تيرد وفيها الحجاج
 هي التي تصير حوض الكوثر الذي اخبر عنه ومنه الكتبة والى هذا اري اشارة في قوله
 عليه الصلوة والسلام كما روى البخاري في صحيحه وهي التاسعة ان النبي
 صلى الله عليه وسلم خرج يوما فاصلى على احد صلواته على الميت ثم انصرف

الى المنبر (اى منبره فى المسجد مقام خطيبا) فقال انى فرط لكم وانا شهيد عليكم وانى
والله لاناظر الى حوضى الآن وانى اعطيت مفاتيح خزائن الارض او مفاتيح الارض
وانى والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدى ولكن اخاف عليكم ان تنافسوا فيها
الفرط من تقدم القوم الى الماء ليهبى لهم الارسان والدلاء ويألبم الحوض . وشهيد
عليكم اى يعرفهم ويشهد على كونهم من امتهم فيكون ذلك شفاعة لهم . هذا بيان ما يقع فى
الآخرة ثم اشار الى ان ظاهر ذلك الحوض بين يديه فان منبره على حوضه
كأمر آتفا وما ذكر من اعطاء مفاتيح الارض فذلك ما انجزه الله تعالى فان فتح مكة
كان مقاما لفتح الارض وخزائنها والعاشية انه عليه الصلوات اجر ان طول
حوضه ما بين مكة والمدينة فاشارة لطيفة الى المطابقة التى بين ارض الحرم وحوضه
فان قيل فهذا ذكر ما اراد بالتصريح قلنا انما اختار هذا الاسم لكثرة دلالة ولتفكروا
فدل على كثرة الامة وفتح مكة وكثرة اجتماعهم فى الحج وبنى الموقف على حوضه . واما
ذكرنا هذه الامارات تمهيد او تائيد للمادل عليه نظم الايات كما سيتضح لك
النشأ والله تعالى بذاته المتدبر فى بياة الحوض الكوثر يدلنا على ما ذكرنا من كون
الكوثر الاخرى صورة روحانية للكعبة وما حولها . وذكر ذلك فى الفصل الآتى .

(النهر الكوثر صورة لروحانية الكعبة وما حولها من متردد الحجاج)

٤- من تأمل فى صفة النهر الكوثر الذى كشف للنبي صلى الله عليه وسلم حين
عرج به يجده مثالا روحانيا للكعبة وما حولها وذلك لما روى من طرق كثيرة من
ان الكوثر نهر على حافة قباب الدرالمجوف وارضه ياقوت ومرجان وذبرجد
وفيه آنية مثل نجوم السماء ، وماؤه ابيض من اللبن واحلى من العسل
داير من الثلج . وتربته الطيب من المسك نوره يضيء انعامها كاعناق الجوز .

قال رجل انهن لائمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آكلها انعم منها وخير ماؤه مثلاً بجمع احدكم اذا دخل اصبعه في اذنيه . وحصل لنا هذا الوصف بجمع الروايات ولفظ البخاري « قال بينا انا اسير في البجعة اذا انا بنهر حافاه قباب الدر الجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك قال ف ضرب الملك يده فاذا طينه مسك اذ فزع فقفت بهنما وتامل البجعة وما حولها حين ترد عليها الموحدون من اقطار الارض يطفئون غليل شوقهم الى ربهم اليست حصبا بطحا ثما عند حرم الكرواحا اكرم وايه من الياقوت والزربرجد وترا بها الطيب من المسك وقباب الكجاج فاولها احسن من الدر . ثم تامل مع ورود الكجاج ورود البدن كالطيور على الماء وذلك اسعد حال لمن فانهن يقربن الى الله نياتهن عن الانس فكما هن من الانس فاعظم فوزهن . ثم تامل آكلهين ضيوف الله الناعمين المتعجين وتامل كيف اشار بتشبيه الطيور الواردات بالبدن وذكر آكلهها الى ان البدن هي الطيور وكيف جعل الاشارة لطيفة تشبه اعناق الطيور باعناق البدن ليدل الجزء على الكل وكيف جانب لفظ البدن وذكر الجزؤ وكل ذلك ليحث العقول سليمة على الاستنباط كما يذكر الله الدلائل في القرآن ويتبها بمثل قوله [ان في ذلك آيات لقوم يعقلون] « ويعلمون » « وتفكرون » ، والبنى احسن المعلمين فكان يربي العقول ويعلمهم الحكمة . وكان ربها يأل اصحابه عن مناسبات الاسوار كما سأل عن مثل المؤمن في الاشجار وكذا لك كان عيسى يضرب لهم الامثال فلو لم لا يصرح القول فاجابهم فيها الا لاعتلاء ، وكذا في القرآن [وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون] وجدة الكلام ان للاشارة محلا وحكمة في التعليم والتربوية . ذلك .

(نظیر ذلک ماجاء من روحانیہ ارشلیم)

« - دیشبه ذلک ماجاء فی مکاشفات یوحنا ص ۱۲ » وذهب بی الروح الی
 جبل عظیم عال واران فی المدینة العظیمة ودرشلیم المقدسة نازلة من السماء من عند
 لها مجد الله (ای علیها نور من الله) ولعابها شبه اكرم حجر کجرب شب بلوری (ثم
 ذکر سورها و مساقها و ابوابها و سکاها من اسباط اسرائیل ثم قال) کان بنا سویدا
 من لیشب و المدینة ذهب نقی شبه زجاج نقی و اساسات سور المدینة مزینة
 بکل حجر کریم . الاساس الاول لیشب الثانی یاقوت ازرق . الثالث
 عقیق ابض . الرابع زمرد زبانی . الخامس جزع عقیقی . السادس عقیق
 احمر . السابع زبرجد . الثامن زمرد سلفی . التاسع یاقوت اصفر . العاشر
 عقیق اخضر . الحادی عشر اسمانجونی . الثانی عشر جمشت . والثالث عشر بابا اثنا عشر
 لؤلؤة کل واحد من الابواب کان من لؤلؤة واحدة . و سوق المدینة ذهب
 نقی کزجاج شفاف » ثم ذکر انه لیس فیها هیکل و لیعبودن الله وحده و لا
 آسن بعض التحریف و الزیادة فیما نقلوا و انما المقصود ان المثال الروحانی
 لما فی الدنیاسن الاغیان و الاعراض امر معروف معلوم . و قد الوصف
 الذی ذکره یوحنا یکتف ماتحه الباصرة فقط و ماجاء فی وصف روحانیة الکبة
 فقد جمع اوصافا لکل حاسته حتی السمع بما ذکر من خیر ما و ما و خیر الماد من
 البعید لاشبهی و احلی للعطشان . ثم الماء الحلو البارد اقرب تادیة لما لطفی
 شوق الموحدين المخلصین العطاش البیاع مد . و عنهم اخبر المسیح علیه السلام
 بقوله « طوبی للبیاع و العطاش لانهم یشبعون »

(تأويل قوله تعالى انا اعطيتك الكوثر)

٨ - بعد ما فهمنا دلالة كلمة الكوثر انما تعني الآيات الاولي وهو انما انجبا رعا اعطاه الله تعالى من البركة وكثرة الامة واخبر به حين دنا انجازه في الدنيا لكي يشر النبي ثم المسلمين بظهور الاسلام وانتشاره في البلاد وافتح مكة احي اعطاك الله اتمه عظيمة من المصلين المنفقين يحجون بيت الله الحرام كما قال تعالى [واذ بوئنا لبراهيم مكان البيت الا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود] (اي المصلين) واذن في الناس بالحج يا توكر رجالا وعلى كل ضامريتين من كل فج عميق :-
 (اي ياتوا الزيارة البيت من القرب رجالا ومن البعد تضرع الركاب ومن اقطار الارض فيدخلوا مكة من كل فج وكثرة السالكين تصير الفجاج عميقة) يشهد وامنفع لهم (اي تصير هذه البلدة مشابة لهم فيفتخون بالتجارة ويخالط بعضهم بعضا آمنين فيصلح بهم ويصلوا ارحامهم وكانت ته اخطيب في العرفات ان يخبرهم على الصلح وصلة الرحم ولذا لك سمو مكة صلاح دام الرحم فما اكبر نفع ذلك في معاشهم) ويذكرنا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام (وهذه منفعة دينية نفع شرهم لم يتركوا ربههم وانما اتخذوا اليه شفعاء) نكفوا منها والطعموا البائس الفقير فبين ان هذا البيت جعل مركز التوحيد والصلوة والطعام الفقراء الامة كثيرة يحجون من جميع البلاد وقد كان ابراهيم عليه السلام دعا الله ان يعيذ نيا لهذه الامة بالكفيرة وقد استجاب الله دعوته وقد وعد الله تعالى كثرة في ذريته لاسيما في ذريته من اسمعيل كما جاء في التوراة واعترف بذلك اهل الكتاب وقد ذكر الله تعالى في هذا العطاء في اد ائل بثة نبيا حيث اخبره في سورة الفصح بقوله [ولسوف يعطيك ربك فترضى] فهذا الوعد الذي ذكر اقترابه جعله مقضيا بقوله [انا اعطيتك]

ونفس معنى [نقضى] بكلمة الكوثر فان النبى صلى الله عليه وسلم لغاية رأفة وحرص
على الهداية لا يرضى بالتقليل اذ بان يعطيه الكثير فى الدنيا فيدخلون فى دين الله افواجا
ثم يلبه اياهم فى الآخرة حتى يقلوا على عوضه فاذ ارج كل شبهة بكلمة ترضى والكثرة
وقد كثرت الاحاديث الصحاح بكثرة امته . فهذه الآية الاولى لبشارة عظيمة من
وجه . من قرب الفتح ، وقرب دخول الناس الكثيرين فى امته ، وقبالة جماعة
كثيرة منهم على الدين الحق على رغم من يزعجهم بركة الكثرة الامته . ذلك وتأتى
بشارة عن قريب ان شاء الله تعالى فان السورة كلها بشارات ولد الحمد
فى الآخرة والاولى .

(تاويل قوله تعالى "فصل للربك وانحر" وبيان ربطهما قبله)

٩- هذه الآية تدل على اربعة امور الاول ان الصلوة والنحر لهما ربط بهذا العطاء لما
صدر الامر بالفاء والثانى ان فى الآية امران واجبا بايهما عموما على سبيل الافراد
وخصوصا بجهما وذلك فى الحج . والثالث ان بين الصلوة والنحر ربطا خاصا
والرابع اختصاصا بهذه العطية والامر بالصلوة والنحر معا ويهدى ذلك الى اننا
على سنة ابراهيم ودين المشركين ومبتدئ اليهود والنصارى لان المشركين لم يكن
صلواتهم ونحرجهم للرب خالصا . ومبتدئ اليهود لم يكن لهم غير القرايين وان قرانهم
لا تسمى نحرا فان النحر مخصوص بالابل وهو حرام عليهم . ومبتدئ النصارى ليس لهم
قران اصلا والصلوة غير واجبة عليهم بنوعهم . فهذه حجة الكلام ولا بد لها من بعض
التفصيل ونأتى به فى عدة فصول اما الامر الاول والثانى فتجدان فى هذا الفصل
سياطيك الباقين فيما بعد . فاعلم ان الله تعالى به ما بشر النبى والمسلمين
بهذه العطية عقب البشارة امرين الصلوة والنحر . والتقريب يدل على نية

وربط بين السابق والتالى اى العطية والامر فلما تدبرنا فمادول عليه نظم الكلام ظهر لنا
 بعض وجوه الربط بتوفيق الله تعالى فنذكرها والحمد لله تعالى . الاول ان هذا الامر
 يتضمن بيان مقصد هذا العطاء . فان هذا العطاء كان لمقصد عظيم كما قال تعالى [الذين
 ان كنهم فى الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
 وكما حكى الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام] ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذي
 زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم [اى
 اى ياتون اليهم يحجون بيتك . فعلنا ان هجرة ابراهيم وسكنائه فى واد قفر وارض
 عاقر لم تكن الا لاقائه مركز لعبادة الله الواحد توحيدون نحوه وياتون اليه من البعد
 يطوفون ويسعون وليقدمون اليه الهدايا كالعبيد يسعون على باب مولاهم الذى
 دعاهم فاسرعوا اليه قائلين " لبيك لبيك لا شريك لك لبيك " ثم يسمعون با
 امر الرب ونهى عنه على لسان امامهم . ولذلك قال تعالى [واذن فى الناس
 باحج ياتوك] اى ياتوا اليك لاستماع الحكمة . فان الله تعالى جعله اماما للناس
 كما جعل ذلك البلد مشابة وبركة وهدى لهم فكان يقريهم ويقوم فيهم خطيبا وبهذا اقرب الى
 عشيرته حين قام بيثته ودعاهم الى الرب . وقد استمرت سنة الخطبة بعد ابراهيم
 مع سائر سنن الحج كما مر فى تفسير سورة البلد . ثم يطعمون الناس بما ساءوا من الهدايا
 ديا يكون منها شاكرين بان تقبل الرب هدايا عبده ثم اعطاهم ما قربوا اليه . فقتبين
 ان هذا البيت انما وضع لمقاصد عظيمة بها اعطاهم التكليم فى الارض وان معظمها
 الصلوة والنحر فذكرهما بعد ذكر اعطائه ليعلموا ان هذا العطاء له حق ودعاية . ليقيموا الحق ويتقوا
 ما لاجله اعطوه . وذلك بسببى على وجوب ايفاء الحقوق . فان لكل عطاء حلالا بدلى
 فى به كما قال تعالى [ليعلموكم فيما اتاكم] وايضا [احسن كما احسن الله اليك] وايضا [و
 آتوا حق يوم حسابه] الثانى انه تعالى عقب ذكر العطية ذكر ما به اتوا بها فامر بالصلوة

والخبر امرانا فان هذه العطية كانت للنبي وامته عاتة فان النبي وكيل امته فما اعطاه
اعطى امته ولذلك قال عليه السلام انا فرط لكم على الخوض كما مر فذلك الامر بالصلاة
والخبر عام وهو ظاهر فلما ربط عبادة بطيئة علمنا ان الامثال به ليضمن بقاء نعمته وقال
تعالى [ان الله ليغير ما يقوم حتى يغيره] واما بانفسهم [وهذا الذي امرنا به هو الحج ومناسكه
كما هو ظاهر فكانه تعالى قال انا اعطيناك الكوثر فاودعه فيبقى لك هذا العطاء وسواء اخذت
الصلاة والخبر بمجموعهما وبانفرادهما كان المراد هو الحج فان الحج من الصلاة لما جاء
في الحديث ولما دل عليه اعمال الحج وقد علمنا ان مقصد البيت الصلاة ولذلك
بنى كما مر فمن لم يحج وقد امكنه لم يتم مقصده . وكذلك الخبر فان من صلى في غير الحج
ترك اعظم الاضاحي والذي يصح في غير الحج فانما هو تشبه بالحج وهو يريد وينظر
ان يجد سبيلا فيحقق ما يريد . فباي وجه اخذت دلت الآية على ان الحج يلزم الامة
فمن استغنى عنه اخرج نفسه عنهم . وهذا يتضح من النظر في حقيقة الحج وقد صرح بذلك
القرآن والسته قال تعالى [ولله على الناس حج البيت من استطاع
اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين] فذلك تصريح بكفر من استغنى عن
الحج وان الله تعالى لا يبالي به . والثالث انه يتضمن تلبية النبي والمسلمين
كانه قيل له انهم اخرجوك ومنعوك عن الصلاة والخبر فالان بعد ما اعطيناك الكوثر
لا مانع لك فافعلها بفرغ بالاك وبقدر شوقك باكثر الخبر وبجاء عظيما حتى يحقق
معنى الكوثر . وقد علمنا شوق النبي والمسلمين الى الحج والصلاة والنسك والامر
بعلل مرغوب مع كونه امرا يتضمن التبشير والتسليته والظهار الرأفة . والاربع
انه بيان عهدنا بالله تعالى جعل الامر بالصلاة والخبر مرتبا على عطية فاذا قبلنا العطية
او جئنا على انفسنا ما امرنا به ومتى ما بقينا على طاعة امره بقى لنا ما اعطانا . نصار
اخذ العطية عهدا بالله كما اعطى الله آدم وحواء عليها السلام المسكن في الجنة ليلا

منها رعدا ولا يقربا شجرة خاصة عرفها لها فلما اخذ العطيّة وجب عليها عهد الله و
 لذلك قال تعالى [ولقد عهدنا الى آدم من قبل نفسي ولم نجعل له عزما] وكذلك
 بقي لها ما اعطاها الله ما بقيا على عهده . وكذلك نرى في قصة ابراهيم كما قال تعالى
 [واذا تبلى ابراهيم ربه بكلمت فاتمهن قال اني جعلك للناس اماما قال ومن
 ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين] فبعد ما امثل ابراهيم باوامر ربه تعالى جعل له
 ربه عهدا وبهذا العهد يبقى لذرية ما داموا قائمين به واما الظالمون فيحرمونه . والخامس
 انه بيان عهد التوحيد وقد صرح القرآن بذلك العهد وصرح بادلته كثيرا . وجماعها
 كونه ربانها وقد اخذنا عطايها من الخلق وحسن التقويم والرزق الطيب وبها انعام
 وبها ذكر نعمة عظيمة خاصة فذكر ما اوجبت هذه النعمة علينا من التوحيد في صورة خاصة
 تناسب العطيّة الخاصة فان الله تعالى هو الذي اعطانا هذا البيت فلا بد ان يكون
 الصلوة والنحر . وفي ذلك ايضا تعريض على الخائنين الظالمين . وبهذا يظهر
 من النظر في كلمة [اِنَّا] و [لِكَلْبَتِ] اى انا الذي اعطيناك فلا بد لك
 ان تصلى وتخرج خلصا الى خلاف ما فعل المشركون وصرح بهذا المفهوم في
 سورة الحج مرارا فلا حاجة الى ايراده بهنا . وبكذا انفس الآيات محمد بن كعب
 القرظي حيث قال « ان ناسا كانوا يصلون لغير الله ويخردون لغير الله فاذا اعطينا
 الكوثر يا محمد فلا تكن صلواتك ونحرك الآتي »

(وجوه المناسبة بين الصلوة والنحر)

١٠- اعلم ان للصلوة والنحر وجوها كثيرة ولنا القرآن عليها كلها ولا حاجة الى استقصاء الوجوه
 بهنا وتجد في كتاب المفردات وانما نذكر الآن منها ما يدل على المناسبة
 بينها . وبه الوجود وان لم يصرح بها القرآن فانها لا يخفى على من تدبر في آية ونظم

كلماته انه بعد ذلك لا يستطيع دفها عن قلبه وكيف يصرف نفسه عن التمل في آياته
من الايقن بحسن نظامه وقرع سمعه قوله تعالى { انما يتدبرون القرآن ام على قلوب قلوباً
والمقصود ان مجرد ربط الصلوة بالخير يثبنا الى التدبر في وجه المناسبة بينهما وذلك
يطلعنا على حقائق عظيمة ونحن ذاكرون هذه الوجوه لا مجرد بيان حسن النظم بل ايضا للكشف
عن تلك الحقائق العظيمة حتى يتضح بعد النظر فيها ان السور القصار بنيت على معطيات
الامور فتلن صغرن من جهة اللفظ فانهما لكبار من جهة المعنى . والآن نشرع بعون الله تعالى
في ذكر وجوه المناسبة بين الصلوة والخير .

قال الوجه الاول ان المناسبة بينهما تثبت المناسبة التي بين الايمان والاسلام
وبيان ذلك يقتضي تهديدنا علم ان الدين مبني على صحة العلم والعمل فاعلم ان نعرف
ربنا ونستأمله ولا نندمل عن هذا العلم ويلزمه حالة قلبية من المحبة والشكر وتغيبض الى
الاعمال فاعمل متصل بالعلم اتصال الاثر بالموثر والظاهر بالباطن فاعلم من باب الايمان
والعمل من باب الاسلام . ثم اعلم ان العمل كما يقابل العلم فكذلك يقابل القول
فالقول وسط بينهما وهو اول ظهور الارادة وتحقيق العمل . وبعد هذا التمهيد انظر الى ربط
الصلوة والخير **اهل الصلوة** فلا يخفى انها قول وادوار وجميع ادواها من القيام
والسجود والركوع والسجود ورفع اليدين والاصبع اقوال لمسان الادضاع فهي
اول خطوة بعد الايمان وبها يفتح باب الاعمال ولذلك قدمت على جميع الشرع
كما دلت عليه آيات كثيرة كقوله تعالى [الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة]
وبسطناه في تفسير سورة الفاتحة . وقد بين الله ذلك في قصة ابراهيم حيث ذكر
انه لما عرف ربه بالتوحيد قال [اني دجيت وجهي للذي فطر السموات والارض خفيافا
وما انا من المشركين] والصلوة بتحقيق هذا التوجه الا ترى انك تفتح صلواتك بهذا
القول . وكذلك ترى في قصة موسى كيف امره الله تعالى بهما اعطاه معرفة التوحيد

حيث جاء [فلما اتها نودى يا موسى انى انا ربك فاطع نعليك انك بالو ادى المقدس
طوى ، وانا اخترتك فاستمع لما يوحى ، اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى واتم الصلوة لذكر
دش ذلك قال تعالى بعد ابطال الشرك [فاقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى
فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون .
منيبين اليه واتقوه واتموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين] فاصلوة فطرة المخلوقات
كلها ولذلك قال تعالى [تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ، وان من شئ
الا يسبح بحمده] وقال تعالى [الم تر ان الله يسبح له من فى السموات والارض والطير
صطت ، كل قد علم صلوة وتسبيح] فالصلوة من جميع الاعمال اس بالايان واول
فيض منه وكلها جماع التوحيد والاناثة والشكر والتوكل والتبشير الى الرب
وانها فطرة لجميع المخلوق . واما النحر فهو جماع معنى الاسلام فان الاسلام
هو الطاعة واذعان النفس لربها وتسليم كليتها لمولاه وهو ايضا فطرة العباد كما صلوة
فان المخلوق لم يخلق الا باذعان لا مر ربه . امره بكن فكان واستجاب لدعوته ف
به خلقه فان عصى بعد ذلك ناقض فطرته فالاسلام من بذه البهجة احاط بجميع الخلق
كما قال تعالى [وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه تحشرون]
اى استجبتم دعوته فى اول خلقكم وكذلك تسبيحونها فى الآخرة فتحشرون اليه كما
قال تعالى [فاذا دُعواكم من الارض اذا انتم تمشون] وقال تعالى [وتبشرون
بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا] فالاسلام للرب والتسبيح والسجدة والصلوة
له كلها فطرة وفى غاية الاتصال . واذ جعل الله تعالى ابراهيم اماما ومجده قبلتنا
به يستتنا ولنا على حقيقة النحر ايضا بقصة كادنا بها على حقيقة الصلوة فذكر تعالى [قال
انى ذا هب الى ربى سيهدين] اى انى مهاجر الى ربى سيهدين صراطه)
رب هب لى من الصلطين (اى ذرية صالحه لنفسك بهم فبين للناس سنن الهدى)

فبشره بنظم عليم (اى اسمعيل و انما سبى اسمعيل اى سمع الله لما انه كان جوا بال دعوة)
 فلما بلغ معه السعى قال لنيثى اتنى ارسى فى المنام انى اذبحك (اى اذبحك لله) فانظر
 ما ذا ترى (انما سأل له لئلا يشركه فى الطاعة فان مقصود ابراهيم كان ضرب طريق واقلة
 سنة وقد علم من اجابة دعوته انه يكون عاقلا فامتن مخالفة) قال يا بى ان فعل ما تو امر
 ستجدنى ان شاء الله من الصبرين. (ففهم اسمعيل من قول ابيه انه لم يكن ليخو
 الا بامر و اجاب جواب المتوكلين) فلما اسلما وتلا ليعين. (اى لما حقا بذلك
 كمال اسلامهما اما الولد فلانه اسلم ما كان احب اليه من نفسه و اما الولد فلم يكن له
 الانفسه) و ناديه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذا لك نخبرمى الحنين. ان
 هذا هو البلاء المبين (فبلغا بذلك درجة الاحسان و هو كمال الاسلام و صار ا
 بهذا البلاء المبين اما من تأتم الهداة بها) و فدنيه بذبح عظيم [اى فدنا الغلام
 بذبح عظيم و هو اقامة سنة التقية و مغفرة المضحين بها فبين الله لنا بهذا القصة ان
 الاسلام اصله الطاعة و تسليم احب ما عنده للمولى حتى النفس. و لا يكون
 ذلك الاتجام الايمان و الاخلاص. و كمالها الاحسان. و هو ان تبتد الله
 كائنك تراه، فتيين ما قد منا ان ربط النحر بالصلوة ك ربط الاسلام بالايان
 او ك ربط القول بالفعل و ان الاحسان يجمعها.

والوجه الثانى ان النسبة بين الصلوة و النحر كالنسبة بين الحيوة و الموت
 و بيان ذلك ان الصلوة سر لما ذكر الرب لقوله تعالى [و اقم الصلوة لذكرى]
 ايضا [ذكر اسم ربه فصلى] و هذا كثير و المطلوب و دام الذكر لقوله تعالى
 [يذكر و ان الله قيا ما و تعود او على جوبهم] ايضا [يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله
 ذكر اكثير او سبحه بكبره و اسبما. هو الذى يصلى عليكم و ملكته ليجرحكم من الظلمت
 الى النور و كان بالمؤمنين رحيا] اى كما انتم تذكرون الله و تسبحونه فكذلك هو

يصلى عليكم ولعنكم وبذلك يزيده نوركم كما قال [فاذكروني اذكركم] ايضا [فالذين
عذربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون] ولهذا السر مأسا عاتبا بالصلاة و
لم يرخص عنها في حالة فظهر ان الصلاة كالنفس لا بد منها فذكر الرب تبقى الحياة المعبر عنها
بالنور والسيئة والايمان. وذلك ظاهر عظام فان توجه الرب ونظر راقته الى العباد
بعد ما اعطاهم العقل والتمييز لا يكون الا بان يتوجهوا اليه فانه يزيده النعم بالشكر واستعمال
ما اعطى كما قال [والذين اهتموا وازادهم هدى] والتوجه اليه يكون بذكر اسمه فيقولون
اليه بهذا السبيل فانه لا معنى للقرب والبعد منه تعالى الا ذكره والنقطة عنه اعادنا الله
منها فانه اذكرهم اقربوا منه كما قال تعالى [واسجد واقترب] فيحذف توجه اليهم نظر
رحمة واشرق عليهم نور قدسه والروح انما يشرب وينصبع بالذكر والفكر فيه دام
انما سه في ذكره تينزل عليه حياة وقوة منه. وعن ذلك اخبرنا النبي عليه الصلاة
كما روى البخاري «ما يزال البعد يتقرب الى بالنوافل حتى احبته فاذا احبته كنت
سمعه الذي به يسع وبصره الذي به يبرو ويده التي بها يبطش»، وما هذا الا بيان بالحياة
الروحانية التي هي الحياة الحقيقية العليا فقلنا ان الصلاة هي عين الحياة وسلم النجاة
من هذه الحياة السفلى. واما النحر فحقيقته تسليم النفس لربها كما دلت عليه قصة
ابراهيم واسماعيل وجعل التضحية تذكارا لتلك القصة والبلاء المبين الذي ابتلى
به الرب خليله. والمؤمنون يحققون ذلك التسليم باجرائهم في سبيل الله
فكما ان الصلاة يوتنا بالرب فكذلك النحر موتنا له وذلك هو الدين والاسلام
كما قال تعالى [قل انني بداني ربي الى صراط مستقيم. وينا قدامه ابراهيم خفيًا.
وما كان من المشركين. قل ان صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين]
النسك في هذه الآية هو الذبح في الحج والعمرة باتفاق المفسرين وكذلك
هو في لغة العرب فاحم الصلاة بالنسك واتبعها بالحياة والموت دل بنظم الكلام

على سبيل و النسبة بينهما على اسلوب التواطؤ فالصلوة هي الجياليم و نسك هو ما في
سبيل رب ثم جئت ان فان هذا الموت هو باب الحياة و لذلك قال تعالى [ولا تقولوا
لمن يقتل في سبيل الله امواتا بل احياء ولكن لا تشعرون]

والوجه الثالث ان الصلوة والنحر جانبان للخبر الحقيقي و بيان ذلك ان
الله تعالى لما خلق الانسان ذاعقل و ارادة حاكما بحسن و القبح رنعه اعلى دية
و مع ذلك اقامه على شفاخرة كما قال تعالى [لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم
ثم ردناه اسفل سفلين الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون]
و ايضا [و نفس و ما سولها فاليها فوجرها و تقواها قد افلح من زكها و قد خاب
من دسها] و ذلك لان العبد اذا قطع النظر عن نعمه و استغنى عن ربه حجب
عن نوره و راقه الباطل المخرق و اتبع مراد نفسه و صار الهوى الهه . كما
قال تعالى [ان من اتخذ الهه هواه و اضله الله على علم (اي بعد ان اعطاه العقل
و السمع و البصر كما قال [انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج فبقية فجعله سميعا بصيرا] اما
بدية السبيل اما شاكر او اما كفورا] اي ان لم يستعمل ما اعطاه الرب كان كفورا)
و ختم على سمعه و بصره و جعل على قلبه غشاوة فمن يهديه من بعد الله فلنذكره ان
اي بعد ان اعرض عن ربه اطاع نفسه فصرقة الى شهواتها و صارت حجابا
على قلبه كما قال تعالى [كلابل را ان على قلوبهم ما كانوا يكسبون . كلا انهم عن ربهم
يوسفون] اما حجوا عنه في الدنيا فكل ذلك يحجبون عنه في الآخرة و العبد يرجع
الى ما صمم اليه فاذا تعبد و لنفس صارت هي مولا لهم فيرجعون الى حقيقتها فقال
ثم انهم لصالحون [فما كان الانسان على هذه الحالة الا ان يكسبه هذا الصنم و
لما كان هو النفس ذا جنتين سبيته و بهيمة لزمنا ان نكسها جانيها فهدانا
لا نهايتها بكمين و ذبح السبيته و ذبح البهيمية . اما الاول فباختراع الله و الدليل

بين يديه وجاعة الصلوة فان بها يقع رانس الكبر لان الخشوع من اعظم جهات
 الصلوة كما قال تعالى [قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوهم خشعون] وايضا
 [واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال و
 لا تكن من الغفلين . ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسجدونه وله
 يسجدون] وايضا [وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذ خابهم
 الجبابرة قالوا اسلما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما] انظر كيف قدم ذكر التواضع
 على صلوهم فان الصلوة تزكية النفس عن كبرها ولا يخفى ان من كان دائم الذكر
 لربه وكبريائه ورحمته غشيت التواضع والرحمة وشمل هذا النظم ترمي في قوله تعالى [محمد رسول
 الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا] وانما يذكر صفة
 البشدة ههنا لا لابطال الربانية فان المحب لربه كما يعظمه ويكبره فذلك يكون جلة ذلك
 الامر فلا يبالى بمن خالفه ويجاهر به على رغم المعاندين فلم يقدم الشدة الا لدفع توهم فان
 الآتي في صفة قوم على غاية الاعتدال وكانت هذه الآية في خصائصهم حجابا
 في التوراة والانجيل فقدم ما يمتازون به عن اصحاب موسى وعيسى عليهم السلام
 وبذلك ايضا نبه على كمال فضيلة العدل والاعتدال والجمع بين الضدين ولا فضيلة فقه
 فلم يذكر الشدة الا لتأكيد التصحيح صفة التواضع والرحمة الناشئة من الخشوع للرب
 فان خوف الرب والتواضع له ينفي كل خوف لسواه كما قال تعالى [فلا تخافوهم و
 خافون] وايضا [فلا تخفونهم واخشون] وفي ذلك آيات كثيرة **واما الشك**
 فبالزور عاتلته به النفس وتجب في هذه الحجة الدنيوية ولذلك ثلث مدارج
 الأولى بذل النفس في سبيل الرب والكبر منه فنج فلذة الكبر ولذلك ابتلى
 ابراهيم بنوح بكبره وادب اولاده وهو اسمعيل عليه السلام فانه لما بشر باسحق
 قال « ليحيى اسمعيل » تولا مفصحا عن غاية جهله . والثانية تحمل المشاق والاذى في

طاعة الرب وترك اللذائذ فان ذلك احب الى النفس بعد الحيوة ومن هذا الباب الصوم وهذه الدرجة الثانية نهاية الضغاء من باب النحر ولذلك حين سئل المسيح عليه السلام عن اكبر الدرجات فقال لا يحصل ذلك الا بالصلوة والصوم. والثالثة بذل المال الذي هو مفتاح الملاذ. والزكاة من هذا الباب فاما الاتفاق في سبيل الخير ما يزيد على الزكاة المفروضة فيه ايضا بطل آلة الكبر. ولما كان المقصود من ذبح البهيمة نظام النفس عما يعتده لذته لزمه ان يكون مما تنجبه النفس فلذلك قال تعالى [لن تناولوا البر حتى تتفقوا عما تنجون] وبهذا امر تبين الاضاحي وبين حقيقة ذلك حين ابتلى ابراهيم بذبح احب خلق عنده. ولما كان بذل المهرج هو كمال هذا الذبح جعل ابراهيم الدم امارته. فقبضين مما ذكرنا ان الصلوة والنحر طر فان لذبح النفس والى ذلك يشير بما جاء في الحديث وقربان هذه الامة يدانها وصلواتها، اى يبذل مهجهم وصلواتهم.

والوجه الرابع ان الصلوة والنحر يتضمن احدهما الآخر فالصلوة من وجه ونحر والنحر صلوة. اما كون الصلوة مخرافة تبين مما مر انفسا كونهما ذبح السبيعة ثم هي ايضا تمثل النفس مشتقها وتكهنها عن لذتها ورتبها فذلك من ذبح البهيمة. واما كون النحر صلوة فهدم ان حقيقة النحر هي بذل النفس في سبيل الله ولا يخفى انه صلوة في صورة اخرى فان بذل المهجة في سبيل الرب اقرار وتصديق بالايان ولذلك سمي شهادة و ايضا بوفاية الخضوع والطاعة نقض او في خط من الصلوة اقرار بالتوحيد وخضوعا للرب. ثم جعل للتضحية من الآداب ما يدل على كونها صلوة وذلك امور: الذبح بالمصل وبذوقه بسم الله والله اكبر وتوجيه القربان والمقرب الى القبلة ورعاية القيام في البدن والسجود في الكباش. وقراءة دعاء افتتاح الصلوة كما جاء في القرآن [انى وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين]

وایضا [ان صلواتی و نسکی و محیای و عاقی مدرب العلین . لا شریک له] و قد
 بیننا القرآن علی بذ الامر فذکر فی قصۃ تضییۃ ابراہیم [فلما اسلما و تکد للیحین] ای تو جہا
 الی الرب ظاہرا و باطنا ثم جلد ساجدا و کذلک ذکر فی امر النحر [و البدن جلہا
 لکم من شنائدکم فیہا خیر . فا ذکر و اسم اللہ علیہا صواف] ای قیاما کا تضییۃ
 فی الصلوۃ . و کذلک ذکر فی امر الزکوۃ الی ہی من ابواب التضییۃ کا [دیو تون
 الزکوۃ و ہم رکعون] ای یطون بہیۃ تطہر خشو عہم لاکمن یعطی ریا و سمعۃ و فخر .
والوجه الخامس ان الصلوۃ و النحر کلہما ذکر اللہ تعالیٰ اما الصلوۃ فظاہرہا
 للذکر کا جا و فی کثیر من الآیات مثلا [واقم الصلوۃ لذكری] ایضا [و ذکر اسم ربہ
 فصلی] . و اما کون النحر ذکر افا یضاد علیہ القرآن حیث قال [و یدکر و اسم اللہ
 علی ما رزقہم من بہیمۃ الانعام] و ایضا [کذلک سخرنا لکم لتکبروا اللہ علی ما ہدکم
 ای ہدکم الی دین التوحید و الاسلام . فکانت ذکر اللہ بالتکبیر فی الصلوۃ فذلک
 عند النسک .

والوجه السادس ان کلہما شکر اما الصلوۃ فلو ہنا شکر اظاہر حتی عبر عنہا بہ
 کما قال تعالیٰ [فا ذکر و نی اذکر کم و اشکر و الی و لا تکفرون] و معظم الصلوۃ قرأۃ سورۃ
 الفاتحۃ و بناؤا علی الشکر . و اما النحر فانا نعلم ان المد سبحانہ و تعالیٰ غنی عن العالمین
 [و ہو یطعم و لا یطعم] و انما نقرب الیہ ما انعمنا بہ اعترافا بان ما عندنا ملک و نعمۃ و لذلک
 نقول عند التضییۃ «منک و لک» و لذلک قال تعالیٰ [کذلک سخرنا لکم لتکبروا] و
 دکا ان الصلوۃ شکر عام علی جمیع نعمہ الطاہرۃ و الباطنۃ فذلک الذبح لیس
 شکر اعلیٰ ما رزقنا من المنافع الدنیویۃ بل علی ما ہدانا الی دین الاسلام و دقتنا
 لطاعۃ و لذلک قال [لتکبروا اللہ علی ما ہدکم]
والوجه السابع انہما کلہما من التقویٰ اما الصلوۃ فان العبد لا یرال یدکر اتعلق

به رجاؤه وخوفه والصلوة بهذا الذكر فيضرع العبد ويتشبع لما يعني رضى ربه ويخاف سطوته
 والى هذا يشير قوله تعالى [وان اقيموا الصلوة واتقوه وهو الذى اليه تحشرون] واما
 كون النضية من التقوى فذلك ان تسلط الانسان على البهايم اشبه شئ بالنضية
 فوجب ان ينفى هذا التوهم بالتشبع والاقرار بالعبودية وان النعمة والربوبية والملك
 لله تعالى وصفه التقوى جماع هذه الامور فصارت ستر النضية فالعبد فى الحقيقة يتقرب
 الى ربه بالتقوى ولذلك لا يتقبل النضية الا بها كما قال تعالى فى امر القرىبان [انما
 يتقبل الله من المتقين] وايضا فى الحج [وتزداد افان خيرا زاد التقوى] واما
 سمي التقوى زادا لانها تلبثه منازل قرب الرب والتقريب للتقرب كما ذكره
 فى الوجه الحادى عشر فلا بد فيه من زاد التقوى.

والوجه الثامن انها من منازل الآخرة فان الصلوة رجوع الى الله و
 صورة لوقوفنا بين يديه فى المحشر فيها خلعت من المعاد فمن كان مصليا كان ذاكرا
 لرجوعه الى ربه وهذا نفهم من قوله تعالى [وانها] اى الصلوة لكبيرة الاعلى الخشتين
 الذين يظنون انهم ملقوا ربهم وانهم اليه راجعون [فمن علم بان رجوع الى ربه وسئل
 عن عمله رجع اليه وتاب غشيت بهياة الخشوع والوقوف فى الآخرة كما قال تعالى
 [قلوب يومئذ واجهة البصار فى خاشعة] وقال تعالى [قد اطلع المومنون الذين هم
 فى صلواتهم خاشعون] وايضا [رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله] واقام
 الصلوة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار] ويشبه
 قوله تعالى [ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى] ان الى ربك الرجوع
 (اى كيف يستغنى وهو محض) ارايت الذى ينهى عبدا اذا صلى [ثم علنا
 القرآن اننا نستحيب دعوة الرب فخرج من القبور حامدين لله كما قال تعالى
 [يوم يدعونكم مستحيبون بحجه وتظنون ان لبثتم الا قليلا] فهكذا المصلون يستحيبون

دعوة الصلوة ويستفون لله حامدين . واما الخريفه ايضا رجعنا الى الله كما مرني الوجه الثاني
والثالث والآن ننظر اليه من وجه آخر وذلك ان اجناسا سخرت لنا كما بهائم
في الركوب والرقى الى اجل مسمى ثم ترجع الى الرب فهي كما قال تعالى في امر البهائم
[لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم مرجعنا الى البيت العتيق] وايضا كما نسوق البدن
الى ذلك البيت نسوق ابدانا اليه كما قال تعالى [واذن في الناس باحج
ياتوك رجالا وعلى كل ضامرياتين من كل فج عتيق] وكما نخرج البدايا ونجعل لها
شعارا فلكذلك نفعل باجناسنا وانما لا تنخرسونا فانما نقدها بالبدن كما قدى اسمعيل بما
ذبح عوضا عنه ولكن الله تقبل بذية خليفه يا اخذا اسمعيل خادما لبيته فلكذلك نقدي اجناسنا
ولكن لا ترد الينا بل نأخذها امامته فنبذها ونهريق مجتهدنا في سبيل الله وقد نهينا القرآن
على هذا السر حيث قال [ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة فيقاتون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حاق في التوراة والانجيل
والقرآن ومن ادنى بعده من الله فاستبشر وابيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز
الاعظم] فاشترانا الله بمجرة دينية الاسلام ونحضر على باب بيته لتجدي ذلك بمس
حجر الاسود ونؤكد عهد ابراهيم واسماعيل وكوننا قرايين لله تعالى بشبه اجتماعنا في
الحج انظر تصوير لوقوفنا في الحشره فصلواتنا واجتماعنا لذكر الله والحج والخروج
بعضنا في سبيلها بالمعاد .

والوجه التاسع انها من ابواب البصر . اما الصلوة فلان البعید اوم عليها
مطمانا بوعد الله كفارس يقوم على غرسه ليقيه ويخذه فينظر غمره وينظر رفايته الغافلين
فلا يبين ولا يكل بل لا يزال يقوم لربه ويحمده ويشكره ولا يبالي باستبهاهم برجانه
للعائب البعيد لكل ذلك لشدة غزوه وصبره على العاقبة ولهذه الجهات جمع القرآن
البصر والصلوة في آيات كثيرة كقوله تعالى [واستحيوا بالصبر والصلوة] ودل على

ما ذكرنا آنفا قوله تعالى [فاصبر على ما يقولون] وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
 وقبل غروبها ومن آناء اليل فسيح اطراف النهار لعلك ترضى ، ولا تمدن عينيك
 الى ما مشناه ازواجهم زهرة الحيوۃ الدنيا لتفتنهم فيه ورزق ربك خير واليى ، وامن
 اليك بالصلوة واصطبر عليها لانك رزقا ، نحن نرزقك . والعاقبة للمتقوى
 وايضا [والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلوة] وايضا [فاصبر ان وعد الله
 حق] واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالغشى والاكبار ، ان الذين يكادون
 فى آيات الله بغير سلطان اشهد ان فى صدهم الاكبر ما هم بالغيه فاستعد بالله انه هو
 السميع البصير [فتبها على موضع الصبر من التمسك بالوعد والتوكل على الرب وتحمل
 الماذى وانتظار الفلاح] . واما الخضر فهو مبني على تعليم الصبر العظيم الذى ظهر من ابراهيم
 عليه السلام فانه رضى بربه وقضه ولم يئط ولد احتجى كبر شتم لما اعطاه الله الولد وجعلته
 عينه نظرة ولما ثل حسنة ابتلاه بذبحه فارتفعت قدم صبره بل شكر للرب لما طلب
 منه احب خلق عنده . فصبرنا على الصلوة كصبرنا عند احتمال كل مصيبة . ودل على هذا
 الربط بين الصلوة والصبر عند احتمال ما يتولى الله به عباده من الامانة النفس وما دونها
 قوله تعالى [يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة ، ان الله مع الصابرين] . و
 لا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون . ولنبشركم بنسبى
 من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات . وبشر
 الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا ان الله وانا اليه راجعون . اولئك عليهم
 صلوات من ربهم ورحمة ، واولئك هم الممتدون . ان الصفا والمروة (المروة
 هى محل تقريب ابراهيم ابنه كما يناه تحت هذه الآية فى محلها) من شعائر الله فمن
 حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بها ومن تطوع خيرا فان الله
 شاكر عليم [فجمع فى هذا الكلام الصلوة والصبر والجهاد والمصابى ونديم

ابراهيم عليه السلام لما فيها من الربط الحقيقي .

والوجه العاشر اقرار الملك ، والتمتع به ، وهذا في الصلوة ظاهر فانه بنيت على اقرار الشكر والربوبية ، واما التضيعة فهي اقرار بذلك بلسان الحال كما نقول ان الملك والتمتع له تعالى نفوسنا و اموالنا كلها لله فلا بد ان نفوضها اليه ونخضعها لطاعته وناخذ منها على سبيل الهبة منه تعالى فقرحانه ونضعها حيث امرنا ولا نشرك فيها احدا . فنبهه ونصلي ونقدم اليه ما عطانا فانه هو الخالق والواهب كما به انا نقول [انا لله ، انا اليه راجعون] اي نحن ، وانا ما فعله الحكم والمنة . ولنا الخضوع . اشكر وآتيه نرجع كما يرجع الاموال الى مالك . ولذلك لا يكمل لنا التمتع بشئ حتى بانفسنا الا بذكر اسمه والاعتراف بكونه عطية من الله . وتعلينا بهذا الاصل العظيم جعل علينا فريضة النسك لذكر اسمه على ما رزقنا من الانعام مسخرة لنا كما قال تعالى [وكل من اتمه جلنا منسكا لذكر اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام] وايضا [وكذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما بهكم] ولكون التصرف في الحيوانات شبيها بتعبيدهم فرض ذكر اسمه في الذبائح وكذلك كل ما اخرج لنا من الارض جل فيه تكميلا لنقل عن كونه من نعم الله كما قال تعالى [كلوا من ثمره اذا اثمر ، واسقوا يوم حصاده] وكذلك حرم علينا الانسراف فان كل ما في ايدينا لربنا ولذلك جعل النسك مينا على سنته ابراهيم الذي شهده بكون الملك لله فادى الى الرب امانته وصدق بان كل ما عنده حتى نفسه وولده فهو من الرب تعالى .

والوجه الحادي عشر ان العبد يتقرب بها الى الرب . وذلك ظاهر جدا فان الصلوة من الظهور امور ما انها توجه الى الرب ورجوع الى حضرة فالصلوى يرى نفسه متمشيا بين يدي الرب يناديه ويخاطبه ويتضرع اليه ولا يلتفت يمينا وشمالا فليس ان الصلوة ذريعة التقرب بل هي عين التقرب . وذلك على ذلك

قوله تعالى [واسجد واقترب] ولذلك صارت رأس العبادات . وتسمى
 ان الصلوة في اصل معناها القرينة القريبة والاقبال على الشيء والدخول فيه . فيقال
 للفارس المتصل بالسابق المصلي ولجالس حول النار تقربها الصالحى وكذلك لمن
 دخل في حرمها . وبهذا الامر في القربان فان التقرب يأتي بقربانه الى موضع يرى
 ان الرب قدسه واختصه لعبادته ولذلك كان للقربان موضع خاص . لا يحل في ثيعة
 اليهود ان يقربوا في غير بيت المقدس اما المسلمون فكما جعلت لهم الارض كلها مسجداً فذلك
 يحل لهم التصفية في كل مكان . ومع ذلك كما ان للصلوة في المسجد فضلاً فذلك
 فضلاً للنسك في المصلى . وقد جعل الله لقربان ابراهيم مكاناً خاصاً وابقاه لنا سنة
 فبهدي البدن الى منجى كما انما تأتي سجدته الذي بناه للصلوة وكل ذلك ليرسخ
 في قلوبنا انما كالعبيد نسي الى المولى بعتين دعوته مقرين قرائتنا كلها لمضائه وقراراً
 لعبوديتنا له . ولذلك سمي القربان قرباناً كما سميت الصلوة صلوة . والى هذا
 الذي ذكرنا المار فيما قال النبي صلى الله عليه وسلم : سمعوا ضحايكم فانها مطاياكم
 وبذلك دل ايضا على ان تقريب الابل ما يخص بهم راجع الفصل الثاني .

والوجه الثاني عشم ان الصلوة والفراغ طرق العبادات واقربها
 وارسخها في فطرة الناس . فترى السجود والركوع وتقديم التذلل لها والعيده
 في كل مله وخله سواء عبداً والهد الواحد والهة متعددة اورحاً وصناً الله عظموا
 انساناً كآله مبعود . لا شك ان بين الاقوام المهنه والوشية وبين اهل النجى و
 الباطل فرقاً عظيماً وكذلك بين صلواتهم ونسكهم بعداً شاسعاً ولكن مع ذلك لكلهم
 نسكاً وصلوة ما وبها كما انهم مختلفون في مفهوم الآله مع اتفاقهم في امر عام من مفهوم
 المعبود ولا ترى في الاتفاق بينهم في سائر العبادات . وقد مر في الوجه الاول ان
 الايمان والاسلام لبيان جميع المخلوق ان الصلوة والنسك صورتان للاله

فالآن ترى ان الناس انبثوا من نقطة واحدة في الدين والعبادة وانما تشبعت بهم الطرق لدخول الطنون والابواء فاختلفو بافراط وتفرط وانفاد وتخليط .

(تفصيل لما ذكرنا من اختصاصنا بهذه العطاء والامر بالصلوة والنحر)

١١ - قد علمنا ان للصلوة قدما على النحر كتقدمها على سائر العبادات ولذلك تمد بها الله في الذكر من تأمل فيما ذكرنا من وجوه المناسبة بينهما تين ذلك وايضا تين رفيع محلها فلا حاجة الى اعادة ما سبق ولكن بقي لنا ما دل عليه اختصاصنا الكون والامر بالصلوة والنحر معا وذلك ثلاث امور الاول فضيلة الملة على سائر الملل والثاني اختصاص رتبة اليهود والنصارى في قبول هذه الملة والثالث كون المسلمين لا غيرهم ورثة ابراهيم عليه السلام . وآما بيان هذه الامور فاعلمنا ان ابراهيم كان بوطريق التقرب الى الله في الايمان القدية وكان بمنزلة الصلوة بهم والى هذا ما لم يذكره الصلوة اصلا وذكره الصلوة بالكنائية فقط وذلك لان طرف النقل كان غير بالغ فيهم حتى يكفهم محض التوجه بالغلب . فقسم الصلوة وجعلها من الدين دليل على عروج الديانة ولكن الطباع متفاوتة فطرة حتى ان قوما ولو لم يكونوا ذرة الحكمة توجد فيهم افراد كثيرة على ابتداء المذارج فمع الزام الصلوة ويكثر بالهم يطل الاسلام الذبح بالكلية حتى انه لم يطل ايضا طرق الاثمين الذين جعلوا الديانة محض رهبانية فابقا بالاسلام في الحج . فان صح ذلك رأيت دين النصارى على طرف مقابل لليهود . فان لهم صلوة فقط ولا نسك . وليس لهم ان يدعو بلوغ كمال الديانة فان الكمال هو الوسط ولا خير في الغلو ولذلك كتب تراهم ادعهم بهذا الغلو حيث صاروا اسفل من اليهود ايضا في معظم امور الدين وهو الايمان كما ان اليهود ادون منهم في الاعمال . فلهذه رعاية الوسط ووضع كل شئ محله ترى الصلوة اكثر شئ ذكرا في القرآن ولا تجد كلمة النحر الا في هذه السورة ولم يذكر التضحية الا تبعا في مواضع

معدودة. فجميع المدلن الصلوة والنحر وباول على سرهما وموضعها ومقدارها اعطانا من العلم المستدل به على فضيلة هذه الشريعة الجامة على الملل السابقة. أما المشركون والملاحدة فلا صلوا الله ولا تقربوا. وأما النصارى واليهود فليس انهارا ركننا واحدا فقط بل افضى امرها الى تمام الحرام لما انها بقيت على ملته كانت لاجل معدود. وبيان ذلك ان دين النصارى كان دين التجرد والنحول واشتغال كل امرء بخصيصه. فلم يعطوا الجهاد واقنوا بالصلوة والصوم والزكوة وامروا بان يخفوا فمع كون ذلك اصلح تربيتهم لم يتبين فرائضهم ومنهم فأتت حتى انهم ضيعوا كلها فأتا امرهم بهذه الاناجيل بصوم ولا صلوة بل يصرح بانها مستحبات فقط وخلاف ذلك تأمرهم بترك اقتداء ببرد الكسب والانتصار. واذا ضيعوا اقطانها اعطوا [ونسوا] خطاها ذكر واية [فشتت في مكانه بدعاتهم المتكاثرة فزعموا ان الشك انما رفع عنهم لان المسيح صار لهم قربانا وزعموا حبا وجداني شريعة اليهود ان لا يسيل الى كفارة ذنب من غير ابراق دم فزعموا بان المسيح كفر عنهم فلم يهتم احد الامرين وكلاهما اشنع من الاخر. وذلك اما ان يقولوا بان المسيح كفر ايضا فزعموا انهم المستقبلة وقد ذهب اليه طائفة فزعموا ان الايمان بالمسيح يكفى للنجاة وذلك اشنع اجاء واما ان يقولوا ان الذنوب المستقبلة لا مغفرة لها وقد ذهب اليه طائفة واعتقد به امام هولاء النصارى بولوص وذلك اشنع بكثير من شناعة المعتزلة الذين غدا في خلاف الارجاء. ذلك. واما اليهود فمذهبهم التصريح بامرين الاول ان لا مغفرة للاتصية والثاني ان التقية لا تصح الا في ميكلهم وقد اخرجهم الله عن اديهم. فقد غلق عليهم شريعتهم باب التوبة غير ان يؤمنوا بالنبي الموعود الذي وكل رجاءهم اليه وعرفه لهم انبياءهم وقد حكى القرآن هذا الوعد الالهى عند ذكر تقصير اليهود عن تحمل الشريعة الكاملة واستغفار موسى لهم فقال تعالى [قال غدا]

اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شئ فساكتبها للذين يقولون ديو تون الزكوة و
الذين هم بآياتنا يومنون . الذين يقولون الرسول النبى الامى الذى يجردونه مكتوبا
عندهم فى التوراة والانجيل [وما ذكرنا يتبين لك ان هذه الآية الواحدة بكلماتها
الثلاث تر بول على جميع الاديان فان وضعت اليهودية والنصرانية فى كفة وبنده الآية فى
كفة اخرى لترجمت على اليهود باذلهما وعلى النصرانية باخرها وعلى سائر الاديان بوسطها
لكون قرايبهم لغير الله ولا تكارهم يكون الله ربههم فانهم اتخذوا الههم اربا بادون الله
الاعلى الاكبر . ومع ذلك دلت بنظرها على احسن طريق للديانة والسلوك الى
الرب وهو ذكر الرب والتوجه اليه فى كل حال وبكل صورة وعلى قدر يناسب الاعمال
والازمنة .

ولما ادركت الدنيا واتباعه وراثته ابراهيم قطع عن هذه الوراثة الخاصة اليهود و
النصارى امرهم بما يخص هذه الامة من الصلوة والخمر . فان ابراهيم بنى مسجدا
لانذبحا كما هو ظاهر وكما قال تعالى [طهرايتى للطائفين والعاكفين والركع السجود]
فالصلوة هى الغاية الاصلية . واما الخمر فجعله مذكرا الاسلامه واسلام ابنه
اسماعيل فجعل موضعه المروءة التى تقرب عليها ابنه البكر ثم ابقاه سنة لاطعام
الحجاج لبیت الرب ومع ان عبادة اليهودية انحصرت فى التضحية لم يجعلوها
الاعبادة ظاهرة خالية عن الحقائق والاشارات التى بدانها القرآن اليها و
ليس عندهم اثر ما لا قول ما يدل على ان ذبحهم تذكار للذبح استحق ثم كتبتهم
نفسه يطل دعواهم من وجه كما هو مبسوط فى موضعه . ولما كان الامر هكذا
حسن اختيار كلمة الخمر الذى يدل على ذبح الابل التى كانت محرمة على اليهود
خاصة وتفضيل هذا البحث موكل الى تفسير سورة البقرة وآل عمران . فخر
الابل ليس فيه نصيب لليهود فبذبحه اضحية ابراهيمية مخصوصة باولاد اسماعيل بيت الله

الذي اسكن عنده هذه الذرية -

(في تاويل كلمتين "شائك" و"الابر")

١٢- قبل تاويل الآيات الأخيرة تنظر في كلمتين شائك والابر اما الشائني فلكونه مضاً
الى المعرفة صار معرفة ولا يلزم المعرفة ان يكون معيناً ولكن بعض المفسرين حاولوا
التعيين واستنبطوه من طريق النظر في اسباب الامور فاختلفت اقوالهم فيه
كما يقع كثيرا في مثل ذلك فروى عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة ومجاهد و
قادة اذ العاص بن وائل وذلك لانه قال انا شائني محمد وروى عن ثمر بن
عطية انه عقبه بن ابي معيط لما انه كان يقول انه لا يبقى للبني ولد وهو ابر وروى عن
ابن عباس وعكرمة ما يدل على ان المراد به قریش . فتقول ان هذا الاسم
وان كان في نفس الامر اولى برجل مخصوص وكان هو اذل داخل في مصداق
الآية ولكن اذ لم ير دلائل تفضيه بالتصريح سكتنا عن تسميته . وهذا يفرض
ارادة المعين ولكن غير لازمة كما مر . ولا شك ان اسم الطرق ان نضع
زام الاستنباط في يد القرآن فتوجه حيث يقوينا نضعه واقتضاه ونظمه وسياقه . و
قد رأينا في السورة السابقة ان سميت الكلام الى قریش الذين كانوا اولياء
بيت الرب وقد خانوا في امانتهم . ثم نجد الرواية المؤيدة لذلك او تهيئها . ثم
دلت الحالات على كون قریش اولى بهذا الاسم . ثم ذلك هو المقصود للكلام
السابق سبحانه من تاويله . وبناء على ما ذكرنا من الوجه ينبغي ان يراد به اولاً
وبالذات قریش ثم يراد به كل من كان متصفاً به . فان خصوصيات موقع
النزول لا تمنع الكلام عن سعة معناه الذي دل عليه . فهذا جملة القول في هذه الكلمة
وسياقك لها مزيد بيان اذا شرعنا في تفسير الآيات ان شاء الله تعالى .

وَأَمَّا الِاتِّبَرُ فَعَلُومٌ أَنَّهُ صَفَةٌ مِنَ الْبَرِّ وَهُوَ الْقَطْعُ وَالْكَلِمَةُ اسْتِعْمَالَاتُ شَيْءٍ وَالنَّظَرُ فِيهَا
يَعْنِيكَ عَلَى اسْتِنْبَاطِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ هُنَا فَذَكَرَ اسْتِعْمَالَ هَذِهِ الْمَادَّةِ حَسَبَ
تَرْتِيبِ مَعَانِيهَا يُقَالُ سَيْفٌ بَاتَرًا أَيْ قَاطِعٌ وَتَبَاتَرَ قَطْعٌ . تَبَرَّفُلَانِ رَحِمَاهَا تَطْعُمَاهَا الْإِتْرُ
فَتَطْلُعُ الرَّحِمُ . الْإِتْرُ الرَّجُلُ إِذَا أُعْطِيَ نَحْمٌ مَنَعُ . الْكُجَّةُ الْبَتْرَاءُ الْقَاطِعَةُ . ثَلَاثِي حَدِيثُ الضَّحْيَا
أَنَّهُ نَهَى عَنِ الْمُبْتَوَرَةِ وَهِيَ مَا قُطِعَ ذَنْبُهَا . الْإِتْرُ مِنَ الْكِيَامَاتِ لَوْعٍ مِنْهَا قَصِيرُ الذَّنْبِ .
الْإِتْرُ مِنَ الْأَعْقَابِ لَهُ . فِي الْحَدِيثِ كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَمْ يَدْرِهِ بِسْمِ اللَّهِ فَهُوَ إِتْرٌ .
الْكُجَّةُ الَّتِي لَمْ تَدْرِهِ بِذِكْرِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ سَمِيَتْ بَتْرَاءً . الْإِتْرُ مَا لَا عُرْوَةَ
لَهُ مِنَ الْمَزَادِ وَالْهَلَاءِ . الْإِتْرَانِ الْعِيرُ وَالْعَبْدُ . الْبَتِيرَاءُ الشَّمْسُ إِذَا بَهَرَتْ
وَذَهَبَتْ قُرْوَانَهَا وَنَبْلَهَا فَالْطَّرْفُ فِي هَذِهِ الْأَنْحَاءِ يَدُلُّنَا عَلَى أَنَّ الْإِتْرَ هُوَ الْمَقْطُوعُ عَمَّا
يَفْتَحُهُ وَيَمِدُّهُ حَتَّى إِنَّ الشَّمْسَ إِذَا بَهَرَتْ ذَهَبَتْ عَنْهَا نَبْلُهَا وَانْجَرَدَتْ قُرْصًا صَغِيرًا
سَمِيَتْ بَتِيرَاءً . وَكَذَلِكَ مَنْ بَتَرَ رَحِمَهُ وَانْقَطَعَ عَنْ عَصَبَتِهِ وَافْضَارَهُ سَمِيَ إِتْرًا
لِذَلِكَ سَمَوْا الْعِيرَ وَالْعَبْدَ الْإِتْرَيْنِ لِقَلَّةِ نَاصِرِيهَا . وَعَلَى هَذَا الْأَصْلِ قَالَ قَتَادَةُ
فِي تَفْسِيرِهِ هَذِهِ الْآيَةَ " الْإِتْرُ الْخَيْرُ الدَّقِيقُ الدَّلِيلُ " فَبَيَّنَ أَنَّ مَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ تَمَرُّجٌ
مِنَ الْمَقْطُوعِ إِلَى الصَّغِيرِ الْقَصِيرِ وَالْإِتْرُ إِلَى الْخِزْلِ الْخَفِيرِ . هَذَا الْآنَ نَتَوَجَّهُ إِلَى تَأْوِيلِ
الْآيَةِ بِعَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى .

(تأويل قوله تعالى " إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ")

١٣- لَا يَخْفَى أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى [إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْإِتْرُ] جَوَابٌ وَرَدٌّ عَلَى مَنْ طَعَنَ
فِي الْبَنِيِّ أَنَّهُ إِتْرٌ وَكَهَذَا فَهِيَ الْفَسَادُ . وَأَمَّا مُرَادُ الطَّاعِنِ بِقَوْلِهِ هَذَا فَيَقْتَضِي
تَفْصِيلًا . فَاعْلَمْ أَنَّ الْبَنِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَا بَاغَرِ إِلَى الْمَدِينَةِ طُنَّ قُرَيْشٌ
أَنَّهُ بَتَرَ رَحِمَهُ ، وَتَرَكَ أَكْرَمَ بَيْتِ الْعَرَبِ ، وَحَرَّمَ مَا كَانَ لَهُ مِنْ شَرَفٍ وَدَلَالَةِ الْكُتْبَةِ

وجارده نصار بنزعمهم شجر قطع عن اصله فيوشك ان يصنع امره ويتضاءل قدره
 نبشره الله بالبركة والكثرة والفتح والنصرة، وانه باطل ما زعم عدوه ليهو المقطوع
 الخذل. ولما كان هذا الكلام رد الزعمهم كان فيه تعريض الى ان عدوه هو يلبس
 الشرف الذي يتباهى به نصارا خبارا بفتح كمة. وهذا المعنى الذي هو ظاهر من جهة
 اللغة ونظم الكلام يؤيده ما جاء في الاخبار. قال السيوطي: «اخرج البزار وغيره بسند
 صحيح عن ابن عباس قال قدم كعب بن الاشرف مكة فقالت له قريش
 انت سيدهم الا ترى الى هذا الصنوبر المبتسر من قومه يزعم انه خير منا ونحن اهل
 الحجج واهل السقاية واهل السدانة قال انتم خير منه فنزلت ان شئت
 هو الا تبر. واخرج ابن ابى شيبه في المصنف وابن المنذر عن عكرمة قال لما
 ادعى الى النبي صلى الله عليه وسلم قالت قريش تبرمهم منا فنزلت «ان
 شئت انك هو الا تبر»، واخرج احمد وغيره عن ابن عباس مثل ذلك.
 واخرج ابن جبرير عن ابن بشار قال حدثنا ابن ابى عدي ابنا داود بن ابى
 هند عن عكرمة عن ابن عباس قال لما قدم كعب ابن الاشرف مكة اتوه
 فقالوا نحن اهل السقاية والسدانة وانت سيد اهل المدينة فحن خیرام هذا
 الصنوبر المبتسر من قومه يزعم انه خير منا. قال بل انتم خير منه فنزلت عليه «ان
 شئت انك هو الا تبر»، قال وانزلت عليه «الم تر الى الذين اوتوا الفيض من الكتب
 يؤمنون بالبحيث والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين
 آمنوا سبيلا. اولئك الذين لهم الله ومن عین الله فلن تجد له نصيرا» و
 هكذا في حديث آخر عن عكرمة غير ان فيه «نحن اهل الحجج وعذنا من اهل البدن»
 والكنى واحد فانهم اتقوا الشرف منبتهم وطيب منشرهم عند البيت المبارك
 وبان فيهم خدمة البيت وعبد النحر من لدن ابراهيم اصل البركات وسياق بيانه

فی الفصل ... فزعموا ان المنقطع عنهم كالصنوبر المنقطع لا تطول مدة بقائه و كانوا
مطئنين بهذا الظن ابا بطل متقدمين على قول رئيس اليهود حتى ازال الله عنهم الغطاء
حين علموا انهم هم المخذولون المقطوعون وقد وقع ذلك الوعد حين نزلت
سورة البراءة فنقطع كل مشرك عن المسجد المحرام . ذلك و تذكر بعض ما دل
عليه هذه الآتي في الفصل الخامس عشر .

(موقع نزول السورة ودلالاتها على انها بشارة بفتح كمة)

ثم آتت مني الفصول الاول ان السورة بشارة بفتح كمة وان استعمال
الماضي في قوله تعالى [انا اعطيتك] يدل على انجاز وعد الفتح الذي قرب .
فاما نرى في القرآن آيات يامر الله فيها بنبيه للصبر والانتظار وان الله سينصره
وفي كل ذلك ابهام مثله قوله تعالى [اما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك
فانا طعناك البلاغ و علينا الحساب] وايضا [فاما نذهب بك فانا منهم منتقمون .
او نرينك الذي وعدهم فانا عليهم مقتدرون] فلم يبين للنبي بل يكون حاله كحال
عيسى توفاه الله قبل النصر او كحال نوح اراه الله النصر العظيم او كحال ابراهيم
وموسى اراجاه الله طرفا من الفتح والبركة و وعد الله اهما عند ظهور البعثة الاخيرة فكان
النبى والمؤمنون في غم الرجا حتى اذا نزلت هذه السورة فلق بهم الصبح وجاءتهم
تبشير الفتح . فلما نفهم من هذه السورة اننا نزلت قبيل فتح مكة وعند فتحها
الاول . وهو ما اودت قرشيس عند الحمديّة . ويؤيد ذلك ما جاءنا من طريق الروايات
قال ابن جرير رحمه الله « حدثني يونس قال اخبرنا ابن وهب قال اخبرني
ابو صخر قال حدثني ابو معاوية الجعفي عن سفيان بن عيينة قال كانت هذه الآية لعيسى
قوله [فصل ربك وانحر] يوم الحمديّة اتاه جبريل عليه السلام فقال انحر واج

قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب خطبة الفطر والنحر ثم ركع ركعتين ثم انصرف
 الى البدن فخر به فذلك حين يقول [فصل لربك وانحر] قال السيوطي رحمه الله
 بعد ذكره الحديث ودقلت فيه غرابة شديدة، ولم يذكر وجه شدة الغرابة اعتماداً منه
 على ظهورها لما توهم رحمه الله ان هذا القول يخالف الامر المشهور من وجوه مختلفة
 ولكنها وجوه ناشية من التوهم زائلة بعد التأمل الصحيح فلنذكر بناسخ التنبية على ضلعها
 ليتضح الحق الصريح: **فالأول** ان السورة مكية ويوم الكديية كان بعد الهجرة و
 يرتفع بهذا الوهم ان السورة التي نزلت بعد الهجرة عند مكة ايضاً تسمى مكية كما صرح به
 العلماء. والكديية بقرب مكة فان بينها وبين مكة مرحلة وبينها وبين مدينة تسع
 مراحل. وهي من الحرم. والثاني ان يوم الكديية كان بعد مضي خمس
 سنين وعشرة اشهر من الهجرة وقتل كعب بن الاشرف في السنة الثالثة
 وقد روي ان قوله [ان شانك هو الاثر] كان في الذين سألوا كعباً هم
 خیرام بن النبتى كما مر في الفصل السابق فكيف يصح ان السورة نزلت في يوم
 الكديية. ويرفع بهذا الوهم ان قولهم نزل في كذا الايدل على الوقت بل على
 مطابقة الآية بحال خاص قوله تعالى [ان شانك هو الاثر] ناظر الى كل من
 كان شاناً له سواء فيه من مضي ومن ياتي الى يوم القيامة. وحين نزلت هذه
 الآية كان اعداؤه الذين ماؤا بالذلة والهوان مثلاً لمن بقي ولم تنفك قریش
 بعد مكالمهم كبعب موقنين بكون النبي كما قال ذلك الفاسق حتى جاء الفتح وتبين
 ان اعداء النبي هم الحق ولون فمن قال ان آية [ان شانك هو الاثر]
 في قریش الذين زعموا الكعب ما زعموا انما ذكر مطابقة هذه الآية بحالهم لان
 الله تعالى رد عليهم طعنهم من غير مهلة. والثالث ان الآية الاخيرة ناظرة الى
 عقبة بن ابى معيط طعنه في النبي بانه لا يبقى له ولد وهو ابر. وعقبة هذا اسرى في يوم

بدر وقتل فمين قتل من الاسارى ويرتفع هذا الوجه بالارتفاع به الوجه الثانى .
 فتح ان الآية لا ترى تاويلها الى هذا الطعن . ولا ترى ان الابرار ههنا لمن لا يحب له
 سخافة هذا التاويل . ولبعده عن النظم ونصه من جهة الرواية ايضا . فارتفعت
 الفرافة عن قول سيد بن جبير . وتبين صوابه . ثم يوافقه ما روى عن محمد بن كعب
 القرظى فى تفسير الآيتين السابقتين حيث يقول . و ان انا ساكنوا ليعملون
 ويخرجون لغير الله فاذا اعطيناك الكوثر يا محمد فلا تكن صلوتهك ونحرك الاالى
 فكانه بهذا القول بين ان قرشا شقوا هذا الكوثر بانهم لم يودوا هذه فتزعه عنهم و
 تعطيك فاذا اعطيناك وقد اعطيناك فاذهبه . ولا يخفى ان الامر باقتبال حكم متضرع
 على دأته يدل على ان الواقعة قد وقعت او ستقع كما قال تعالى [اذا جاء نصر الله
 والفتح] رأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا فسبح بحمد ربك و
 استغفره [فلم يفهموا من ذلك الا انها نزلت عند الفتح وعد دخول الناس
 فى دين الله افواجا . فهكذا نفهم من قول محمد بن كعب رحمه الله و اذا اعطيناك
 الكوثر ، الخ امسى قد اعطيت وقرب ظهوره .

(النظر فى السورة من حيث مجموعها)

٥- ان صح عندك هذا التاويل الذى قد مناشم تأملت السورة بمجوعها ونظرت
 فى حدود آياتها اطلعت بادى بدء على تضام آية . . الاولى الى ان الله تعالى
 اعطى محمد صلى الله عليه وسلم وراثته ابراهيم والظهر فيه اجابة دعائه فقبلها
 ورثته من امته . والثانية انه قد سلب الله هذا العطاء كل خائن كفور فانه
 ساخط بهم كما صرح به فى سورة الحج . والثالثة انه اذ ربط القطع عن هذا
 العطاء بصفة خاصة دل على علته . فبين . ان عداوة البنى يقطع عن بركة الله

والرابعة انه بما جعل هذه الحكرمان مخصوصا باعداءه دل على ان الفائزين بوراثته
 هم اجباؤه فحصلت لنا علامة بين اهل الحق والباطل والمتبعين لهدى الله وبنه
 رسوله والزائغين عنها فالأبرار من هذه الوراثته داخل في ثنائيه. والخامسة
 انه كما جعل الصلوة والنحر شعارا اجباؤه جعل تركهما شعارا عدائه من المشركين و
 اليهود ومبتدعة الضاري والمبتدعة من هذه الامة فبهم من يستخف بالصلوة و
 منهم من يستخف بالحج، ومنهم من تسبل عن كل ذلك. فالضيعون للصلوة والنحر
 والحج هم الاعداء للبنى والمتطوعون عن دراسته والمخذولون كاليهود والضاري
 ولكن في الاسلام يقية من اهل الحق والسته ونرجو ان يحشرهم الله مع
 منهم من يعزبه الاسلام، وما ذلك على الله بعزيز وقدر قال عز من قائل
 [وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم] وما ذكرنا قد تبين ان
 السورة بشارة بفتح ميم كما قدمنا في الفصول المتقدمة. وهى ايضا اذ اراد الله
 النبى بكهم مقطوعين عن دراسته ابراهيم. فاول السورة وآخرها جاء تأمل
 اسلوب المقابلة وسطها كالبرزخ بينها ناظرة اليها اى من قام بالتوحيد
 وصلى ونحر اعطى الكثرة ومن خالف ذلك تبرعته، فنقل السورة كميزان
 ذى كفتين، لان، ففى كفته خير كثير فاقبلها، وفى كفته تبر كبير فاطرها فتوازنهما
 كتوازن الوجود والعدم، وكما ان اللسان يتجه الى الجانب الثقيل كذلك
 الآية الوسطى تتجه الى الآية الاولى، ولذلك وصلها بالفاء وجعل الآية الثالثة
 مفصولة، فدللت باسلوبها ايضا على قطع اعداء النبى عن الكثرة بخصوص
 باجباؤه.

بشارة الرضوان لأمته صلى الله عليه وسلم

١٦- قد سبق ان المراد بهذه الاغطاء هو الاعطاء العام للنبي واتباعه كما ان البتر عام لجميع اعداء النبي واذا كان الامر كذلك فلم تكن هذه البشارة محض غلبة الاسلام على الكفر بل كانت بشارة رقة الله على امته هذا النبي في الدار الآخرة فصرعن هذا الفتح باعطاء الكوثر اياهم في القيمة. فلما وقع بالبشرى به السورة ظهر انهم صدقوا الله ورسوله فاجتباهم، وامتنن قلوبهم فرضى عنهم وارضاهم. وقد علمنا من تاريخ الانبياء ومن تشریح القرآن ان اول النبوة لازل وصبر و آخرها بركات و اجر فصار فتح مكة برمانا على كونهم اولياء بيته وشهداء دينه وخلفاء ارضه فكان انجازاً لما وعدهم في قوله [وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصلوات ليتخلفهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليكن لهم دينهم الذي ارضى لهم وليبدلهم من بعد خو فهم اسياعه ونبي لا يشككون في شيئا، ومن كفر بعد ذلك فاو لك هم الفاسقون.] فبشر بانجاز هذا الوعد بقوله تعالى [انا اعطيتك الكوثر] فتشابه القولان. ثم تجد الشابهة فيما اتبعه قوله (واتيوا الصلوة وآتوا الزكاة) فان ذلك تشبه قوله تعالى [فصل لربك وانحر] و اطيوا الرسول لعلمكم ترجمون] وهذه ايشبه قوله تعالى [ان شانك هو الابرار] كما سيأتي بيانه وكذلك سورة الفتح بتامها تخبرنا عما جعل الله لهذه الامة من الرحمة والسكينة والمغفرة والتمكن في الارض المقدسة. وهكذا جاء في صحف الانبياء لاسيما في الزبور واسال سليمان. وقد اشار القرآن اليه حيث قال (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون) اى الارض المقدسة التي هي شال لارض الجنة. ومكة افضل هذه الارض و

واقدها كما ذكرنا في تفسير سورة آل عمران وسورة الفيل . فقد نزل بهذه
السورة جعل يثين التجاوز والوراثته حتى اتبها الله فنزع الله تعالى ارضه المقدسة
عن ايدي الكفار وادبرتها المسلمين وبذلك بشرهم بانهم عباده الصالحون
ومصدق قوله [الذين آمنوا وعملوا الصالحات] وانه جعلهم خلفاء في الارض
وارثين لها ولكن لهم دينهم ونفسي عنهم الاعداء طرا . وبذلك صدق في هذا النبي
ما بشر به موسى بنى اسرائيل من ان النبي الموعود اذا جاء طهر الارض
المقدسة عن الكفار ولم يصدق ذلك في احد من جاء من الانبياء والملوك
في بنى اسرائيل كاتشهده ما يديهم من صفهم المقدسة . ولذلك كانت
اليهود تنتظر لمن يطهر الارض المقدسة من الكفار كما قال تعالى [ولما جاء بهم كتب
من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتون على الذين كفروا فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به] فبهذه السورة اربان ظهور تلك البشارة حتى طهر الله الارض
المقدسة عن اعدائه .

(برهان دائم متصل على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم)

١٤- قد مر ان السورة اعلنت بان بناء القطع عن الكثرة هوشنان النبي نصار
اخبارا بامر متصل دائم . واذا ليس في حد بشره ان يشر بدوام سلطنته على
ارض وقطع عدده عنها فان الدهر لا يبقى على حد ثانه ملك ولا جيل فكم منهم طارثم
وقع واتقاه الدهر وابتلع . فبهذه النبوة الصريحة التي نزل بها القرآن مع كونها بشارة
عظيمة صارت لنا برهانا دائما متصلا على صدق النبي وذلك اقوى دلالة من
نبوات قضت نجها مثل ما جاء من نبوة عيسى عليه السلام [وانبكم بما تكونون
وتدخرون في يوم تكلم] ومن نبوات منتطرة لم يقع الى الآن مثل نبوات

داينال وخرقيل : وانبوة المتصلة اخرى بصاحب البعثة الباقية فان الله تعالى
لما جعله قائم الانبياء صدق فيه كثيرا من نبوات من قبله ومنه حجبا وائمة متصلة ومن عظم
النبوة ان يكون خرقا لاسباب الظاهرة . وقد مر ان السورة انزلت يوم
الحديثة الذي كان القلب الظاهر فيه للكفار كما يظهر من شرائط الصلح . حتى ان
بعض الصحابة اظهر للنبي كراهية لما جرى به الصلح . واذنكم بعضهم صورة الكتابة حين امره
النبي بمحو بعض ما كتب . فبين ان هذه النبوة لم تكن مما توقع وينظر من
الاسباب الظاهرة وذلك مثل اخبار النبي بعلية الردم بعد بضع سنين مع شدة
دلالة الاسباب الظاهرة على خلافه كما يراه في موضعه . وقد ذكر موسى عليه
عليها السلام من خصائص هذا النبي انه يخبرهم عما يقع عن قريب حتى يعرفوا انه
هو الموعود كما جاء في التثنية اصحاح ١٨ : « اقيم لهم نبيا وسط اخوتهم مثلك واجعل
كلامي في فم فيكلمهم بكل ما اوصيه به ويكون ان الانسان الذي لا يسمع لكلامي
الذي يتكلم به باسمي انا اطالبه واما النبي الذي يطعن فيكلم باسمي كلا ما لم اوصيه
ان يتكلم به او الذي يتكلم باسم آلهة اخرى فيموت ذلك النبي » ان قلت
في طلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب فالتكلم به النبي باسم
الرب ولم يحدث ولم يسر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطبقان تتكلم به
النبي فلا تخف منه ، وكما جاء في يوحنا اصحاح ١٤ : « واما متي جاء ذاك روح
الحي فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم
بامور آتية » فوقع فتح مكة بعد نزول هذه السورة يسيرا ودامت واتصلت
بهذه النبوة في حق المؤمنين الصالحين بشارته وفي حق اعداء النبي انذار انجاء
بهذه البشارة جامعة لوجه من البرهان على صدقه والحمد لله العلي الكبير .

(تصدیق ما وعد اللہ ابراہیم من عموم البرکة و فیہ المشاہدۃ بین ابراہیم
و محمد علیہما اتم الصلوات)

۱۷- قد تین ما ذکرنا فی الفصول السابقۃ ان امدتعالی اعطى الخیر الکثیر لنبینا و
واجابہ و قطع عنہ اعداہ ففی ذلک تصدیق لما وعد اللہ ابراہیم من ان جمیع اہل
الارض یبارکون بسببہ و یبارک اللہ مبارکیہ و یلعن لایعنہ ہذا ان امران
والاول ایضا ہی قولہ تعالیٰ [انا اعطینک الکثیرا] والثانی ایضا ہی قولہ تعالیٰ
[ان شانک ہو الا تبرأ فی کل الامین من شلہ عظیمۃ من محمد و ابراہیم علیہما الصلوٰۃ
و میان ذلک ان اللہ تعالیٰ قد قضی بکلمۃ و رحمۃ ان یجیع البرکات مع ابراہیم
علیہ السلام فانہ صار و ارثا لہا بعد نوح ؑ، کما قال تعالیٰ [ان ولد اعطنی آدم
و نوحا و آل ابراہیم و آل عمران علی الطین] فاعطی اللہ تعالیٰ آل ابراہیم فقط
بعد نوح فان آل عمران ایضا من ذریۃ ابراہیم . ثم بوسیلة ابراہیم وعد اللہ
شمول البرکات جمیع اہل الارض فقد جاء فی سفر یحزقین ص ۱۲ و قال الرب
لابراہیم اذہب من ارض ابیک و من عشیرتک و من بیت ابیک الی
الارض التی اریک فاجلک اللہ عظیمۃ و ابارکک و اعظم اسمک و تحقن برکۃ و
ابارک مبارکک و لا یغیبک آلعن و تبارک فیک جمیع قبائل الارض . و ہذا
فی قصۃ ہجرۃ الی موضع المروۃ التی قرب علیہا ابنہ اسمعیل علیہ السلام اشار
الی ان عموم البرکۃ یحکون بذریۃ کما صرح بہ فی موضع آخر فقد جاء فی یحزقین (۱۷: ۱۲)
۱۸ بذاتی اقصت یقول الرب انی من اجل انک فعلت ہذا الامر و لم تحسک
ابنک و حیدک ۱۷ ابارکک مبارکۃ . . . ۱۸ و د یبارک فی نسلک جمیع
اہم الارض من اجل انک سمعت تقولی ،، فصرح بان اصل البرکۃ ہو تصدیق

ابنه قرباناً فنج ان البركة عمت ذريته من اسحق عليه السلام ايضاً فان نبوءتها
كان في ذرية اسمعيل الذي قربه، ثم دل على حقيقة هذا السبب في موضع آخر فقوله
في سفر تكوين ص ١١ « و ابراهيم يكون اسمه كبرية وقوته وتبارك به جميع اعم
الارض لاني عرقتك لكي يوصي بنيه وبيت من بعده ان يخطوا طريق الرب ليعملوا
برا وعدلا لكي ياتي الرب لابراهيم بما تكلم به، اي البركة التي وعد بالابراهيم
عليه السلام فعلنا ان حقيقة الدين الذي اعطى ابراهيم هي البر والعدل والان
فاظهر كيف صدق الله هذه الامور بعبثتنا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه تعالى شمس هذا
الموضع الذي كان اصل البركات ثم اعطاه اياه واورثه شريعة البر والعدل .
فجعلنا وارثا لابراهيم عليها الصلوات وصدق فيه عموم البركة جميع اهل الارض
لما انه بئس لكافة الناس كما قال تعالى [وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا
ونذيرا] وايضا [وما ارسلناك الا رحمة للعالمين] فبما جعل الله نبوته شاملة لكافة
اهل الارض جعل البركة شاملة لاتباء الذين يباركونه وهم الذين يباركون ابراهيم
عليه الصلوات وفيه تصديقي ما وعد ابراهيم « و ابارك مباركك »، وذلك بان المباركة
هي دعاء البركة والخير في الابل والذرية فمن بارك رجلا بارك ذريته ومن
بارك ذرية رجل فقد بارك بذلك قطهر من ذلك انا نبارك ابراهيم حين نضلي
على محمد وكذلك نبارك ذرية محمد واهله حين نضلي عليه . ولذلك نقول في الصلوة
« اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم »، اي
بما تك صليت على ابراهيم وآل ابراهيم فصل على محمد وآله انجازا لوعده . ولا نجد
هذا الامر بالمباركة لغيرنا، فان الله تعالى امرنا بذلك فقال [ان الله وملائكته يصلون
على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما] ولذلك نختم صلواتنا كلها بهذه
المباركة . واما اليهود والنصارى فلا يردن الصلوة فرغيت و اذا صلوا فلا يباركون فيه

علی ابراہیم و لا علی احد من ذریۃ فصارت المبارکۃ شعار امۃ محمد صلی اللہ علیہ وسلم
لانا فی تشہدنا نقوض الصلوات الطیبات اول اللہ تعالیٰ ثم لبها بجمع عبادہ
الصالحین، و نذکر بالخصوص نبیاً و ابراہیم اعترافاً لکھما علینا و ذلک من البر و العدل
الذین بہما تنزل البرکات کاملہ ثم من تصدیق عموم برکتہ بہ الشریعۃ ان اللہ تعالیٰ
امرنا بہا بالبر و العدل بجمع الناس، فقد قال تعالیٰ [لاینبکم اللہ عن الذین لم یتاؤکم
فی الدین ولم ینحر جکم عن دیارکم (ای الذین ہم اعداء البر و العدل) ان تبرؤہم و
تقسطوا الیہم ان اللہ یحب المقسطین] و قال تعالیٰ [یا ایہا الذین آمنوا کونوا توابعین
للہ شہداء] بالقط و لا یجربکم شیآن قوم علی ان لا تعدلوا اعدلوا ہو اقرب للفقوی
و کذلک تجدد العوم و التادی بین جمیع الناس فی جزیات احکام ہذہ الشریعۃ
الکاملۃ کما ہو مبسوط فی موضعہ، و لا یخفی ان الکعبۃ اقاہما اللہ تعالیٰ للبر و العدل لانهایت
علی التوحید و الذکر و الشکر للہ تعالیٰ و المواساة بالناس و قد علمنا القرآن
ان التوحید راس العدل کما قال تعالیٰ [ان اشکر نظم عظیم ما قد بینا فیما مر
ان الصلوۃ و النحر للتوحید و الذکر و الشکر و المواساة فکل ذلک طرق البر
و العدل، فہدینا من ہذہ البجۃ ایضاً الی ان الکعبۃ ہی منبع البرکات لکونہا مرکز التعلیم البر
و العدل، و کذلک رأینا فی ہذا الفصل ان اللہ تعالیٰ بارک ابراہیم علیہ

الصلوات لیسید ہذا البیت، فخذہ الامور ایضاً تذلل علی

ان الکعبۃ ہی نبوع الکوثر، و ہذا آخر ما تیسرند ذکرہ

فی تفسیر ہذہ السورۃ و آخر دعوانا ان الحمد

للہ رب العالمین، و الصلوۃ علی

جمیع عبادہ الصالحین

فہرست مصنفات صاحب ہذا کتاب

اجزاء من التفسیر المسمی نظام القرآن

آفات

۴	تفسیر درۃ الثبتین ابی لب
۴	تفسیر سورۃ التحریم
۴	تفسیر سورۃ عبس و توی
۴	تفسیر سورۃ القیامہ
۴	تفسیر سورۃ التین
۴	تفسیر سورۃ الکفر
۴	تفسیر سورۃ العصر
۶	تفسیر سورۃ الذریت
۶	تفسیر سورۃ الکثر
۶	امعان فی اقسام القرآن
۱۰	الرای فی الصحیح فی من ہو الذبح
۶	اسباق النجوم، سہل طرز پر عربی گرامر بزبان اردو حصہ اول ۴ حصہ دوم
۱۲	دیوان جمید، بزبان فارسی
۸	خبر و نامہ، ترجمہ امثال حضرت سلیمان علیہ السلام منظوم بزبان درمی
۲	تحفۃ الاعراب، عربی کی نوجوید، اردو نظم میں

تطلب من مدرستہ الاصلاح، سرکے میز عظم گدھ

تفسير
سورة

من

نظام القرآن

تأويل الفرقان بالفرقان

تأليف

المعلم عبد الحميد الفراهي

طبع في مطبعه مطبوعه معارف عظم كره

الهند

فهرس مطالب الفصول من تفسير سورة الأنعام

- (١) تماديل الآيه الاولى وربط السورة وانه ليست بدعا بل اخبار ١
- (٢) السبب الاول لذكر ابي لهب بخصوص ٣
- (٣) السبب الثاني لذلك ٤
- (٤) السبب الثالث لذلك ٥
- (٥) السبب الرابع لذلك ٦
- (٦) ذكر الادلة على كون هذه السورة اخبارا ونجوة ٩
- (٧) اسباب وجههم في تماديل السورة ١١
- (٨) تماديل الآيه الثانية وان نجوة هذه السورة قد وقعت ١٢
- (٩) تماديل الآيه الثالثة وربطها بما قبلها وان الجزاء يشبه العمل ١٣
- (١٠) تفسير آية الرابطة والدلائل على ان "حالة الخطب" حالتها في القيامة ١٥
- (١١) الحكمة في ضرب امثال النساء عموما وامرأة ابي لهب خصوصا .. ١٩
- (١٢) الحكمة في وصفها بحالة الخطب وان الجزاء يشبه العمل .. ٢١
- (١٣) تماديل الآيه الخامسة وربطها بما قبلها وتأييدها للتاميل الصحيح .. ٢٣
- (١٤) زمان نزول هذه السورة ٢٤
- (١٥) لادلالته في السورة على التكليف بما لا يطاق ٢٦

سورة الذهب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَايَ أُنِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَبَّرَ (٢)
 سَيْصِلُ نَارًا إِذْ أَتَىٰ لَهَبٌ (٣) وَأَمْرًا تُهْ كَحَالَةَ الْحَطَبِ (٤)
 فِي جُيْدٍ هَاجِلٍ مِنْ مَسَدٍ (٥)

تأويل الآية الاولى و ربط السورة بالتي قبلها و انها ليست بدعاء بل هي اخبار
 عن فتح مكة

قد ذكرنا في تفسير سورة النص ان الله تعالى كاتم هذه البشة بفتح كة فكذلك
 ختم كتاب هذه النبوة بذكر هذا الفتح العظيم و ذلك اباء بان الحق بلغ مركزه لان فتح
 مكة هو مركز هذه البشة كون الكعبة مركز التوحيد و الاسلام كما مر تفصيلا في تفسير
 سورة البقرة فلم يبق الا الاستقامة عليه و الاعتصام به فريدت السور الثلاث الاخيرة
 للتنبيه على ان غاية هذه البشة هو التوحيد ف سورة الاحلاص جامعة لمعرفة التوحيد
 والمعوذتان لاجل الاستقامة و نظير هذا الربط في قوله تعالى [ان الذين قالوا
 ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا و ابشروا بالجنة التي
 كنتم توعدون] و تفصيل ذلك في تفسير المعوذتين فلا يخفى ان هذه السور كلها مربوطه
 فوضع سورة الذهب بين هؤلاء لابلد من سبب لكيلا يكون قاطعا لربط بعضها
 ببعض فاعلم ان سورة الذهب توكله و توضح معنى النص المذکور قبلها و تبشر به

كان قيل "قد نصر الله نبيه واهلك عدوه" كما قال تعالى [جاء الحق وزهق الباطل
ان الباطل كان زهوقاً] وترى نظير ذلك في خطبة عليه السلام على باب
الكنبة بعد فتح مكة حيث قال "لا اله الا الله وحده" (هذه امثلي سورة الكهف ون)
صدق وعده ونصر عبده (وهذه امثلي سورة النصر) وهرم الاحزاب وحده.
(وهذه امثلي سورة تبت) "فكما ان هذه الفقرات الثلاث منتظمة فكذلك هذه
السور كلها منتظمة عند من احضر مضمونها اجالا. ذلك واما الدليل على تاويلنا
لقوله تعالى [ثبت يد ابي لهب] فاعلم ان مفهوم ثبت يده انه صار عاجزا عن
الانتصار لان كسر اعدائيه واضحه عن كسر القوة والعجز كما قال الفقه الزماني
وتركنا ديار تغلب قفرا وكسرنا من الغواة الجناحا
وجاء مثل ذلك مع فقرات مرادفة موضحة في كتب الابناء والعبرانية اخت
العربية في اكثر اساليبها. وذلك ما نجد في صحف ذي الكفل (خرقل) النبي فقال
ص ٣٠ ف ٢٢ "وقع في السنة الاثني عشرة في الشهر الاول في اليوم
ان كلام الله جاء الى قافلا-يا ابن آدم اني كسرت ذراع فرعون ملك مصر وهاهي
لن تجربو وضع رفاة ولا يوضع عصا به لتجربو قسك السيف. لذلك هكذا قال
سيد الرب يا انا ذا انا على فرعون ملك مصر فاكسر ذراعيه القوية والمكسورة
واسقط السيف من يده" فبين من ذلك ان المكسور اليد هو العاجز الذي
لا يستطيع ان ياخذ سيفه. فهذه الآية ليست بدعاء عليه ولا في شيء من اشم بل
ذكره بالكتابة اقرب الى الاكرام فالتايل الظاهر انه اخبار ونبوة تبني عن هلاك
رئيس اعداء الله وفرعون هذه الالة كما ان قوله تعالى [ما غني عنه ما له وما كسب]
اخبار ونبوة وسيأتيك لمزيد بيان فان سألته لم سميت فرعون هذه الالة وما كان
من اشد من عادي النبي واصحابه واجلب عليهم نجيد ورجل كالي جهل والي سفيان

فما كان في غير ولا في نفية اجنياك بان اول ما دعاني الى ذلك ان الله تعالى
خصه بالذكور و ن سائر الكفار ثم تفكرنا فوجدنا ذلك اسبابا و تذكريها الآن .

السبب الاول لذكر ابي لهب بان مخصوص هو منصبه في الدين
وهو السبب الحقيقي

۲ فاعلم ان الله تعالى لم يجعل محمد صلى الله عليه وسلم ملكا فيكون اعدى عدده
من نازع ملكه بل بعثه نبيا و اعيانا الى الحق بشيرا و نذيرا و سرا جاسيرا و امره بالصبر و الصلوة
و اعلاء كلمة الله و الامر بالمعروف و النهي عن المنكر و ان يروههم الى مله ابراهيم
و ان يطهر بيته من اوضار الشرك انجا الماد عدبانية كما بيناه في تفسير سورة البقرة
و لذلك امره بانذار عشيرته الاقربين الذين هم سدة بيته و ذلك هو طريق الانبياء
الآتري عيسى عليه السلام كيف كان يعنف على علماء اليهود و يغلظ لهم القول فان
اولئك هم الذين عملوا امانة الله فهم لينا لون ثم انهم قادة الكهود في دعوى اولاد
لتصلح العامة بصلاحهم و لو ترك الانبياء سادة الناس كان مداهنة في الدين
و هذا السلم كما تفعل انما ارج من كل قوم فانهم يشيرون العامة و من ههنا يظهر الفرق
بين طلاب الملك و بين انبياء الله . الآتري كيف امر الله تعالى موسى عليه السلام
حيث قال عز من قائل [اذهب الى فرعون انه طغى فقل بل لك الى تزكي و
ادبيك الى ربك فتحتي] و تری و انيال عليه السلام يدعو الملك العظيم بنوخذ
نصره الذي ليمونه بتجفّر و تری يرميه عليه السلام تنبا على ملوك الشمال و كذا تری
محمد صلى الله عليه وسلم خاطب ملوك الارض و دعا بهم الى السلم و تفصيل هذه المسألة
موضع آخر - هذا - و قد سبق في تفسير سورة الماعون ان ابالهب كان صاحب
سدانة البيت و تولى امانة و قد بالغ في خيانة هذه الرياسته الدينية و قد جمع

ألا كثيرا بالرفادة فعلن كان بالشرك يدم ركن واحد من مقصد البيت فهذه
 المحصلة قد يدم ركنه الثاني وهو المواساة بالمساكين المطلوبة من القربان والطعام
 الحجاج أضياف الله فتح عليه الويل وتلب ولاية البيت . فلما كان أكبر مقصد
 هذه البعثة استخلاص الكعبة وتطهيرها عن الأراجاس لم يهمل النبي صلى الله عليه وسلم
 سائر قریش من أصحاب الذوة والقيادة واللواء مع أنهم آذوا النبي و
 حاربوه حتى أخرجوه وأصحابه عن جواربيت ربهم كما هم في الكائنات الأمانة
 المبطل الديانة فكان أبو لهب بجهة منصبه هو الخصم الحقيقي للدين وأما سائر قریش
 فبقي لعلما قيل "تبت يد أبي لهب وتب" فكانه قيل أنه شتم رأس الكفر واحتب
 جرتوم الفساد فبشر المؤمنين بهذه النبوة كالبشر بما قبلها من محبي نصر الله.

السبب الثاني أنه كان أكبر قریش خلافا للدين من جهة خلقه

٣ - أن الله تعالى بعث نبيا على أحسن المخلوق وأعلى إلى مكارم الأخلاق كما
 قال الله تعالى [أنا نك على خلق عظيم] وقال النبي صلى الله عليه وسلم
 "بعثت لأتم مكارم الأخلاق". وجامع المكارم الجود وصلاح الرحم وإعانة الضعفاء
 وقد نشأت العرب على هذه الأخلاق فلما دعاهم النبي إلى التوحيد والمواساة
 لم يخالفه الشرفاء إلا من جهة أشبه الكرم بالله وانكارهم بالبعث بعد الموت
 وأما أبو لهب فخالفه بحرصه وحسده أكثر مما خالفه لشركه وذلك يعلم من النظر
 في سيرته فإنه لما تألبت قریش خلافا للنبي ظلم وحية جاهلية وكتبوا صحيفة الجور
 وخذلوا بني هاشم باجمعهم وموئدهم وشركهم كان أبو لهب مع الظالمين فقطع الرحم
 وهو عند العرب أشم عظيم وجوب كبير فإن منزلة الرحم عندهم فوق كل شيء وكانوا

ينشدون بالله كما ذكرني سورة النساء [فالتقوا الله الذي تساءلون به والارحام]
حتى انها كانت اكبر دازع عن سوء واصل قانون اصلاح كما قال زهير

يدح هرم بن سنان

ومن ضربية التقوى وليصمه من سبي الغزوات الله والرحم
وتفصيل ذلك في تفسير سورة النساء فلما قطع ابولهب جبل بني هاشم بآء بكر ذلة
ولو كان له ادنى حظ من حمية العرب وشراقة نفوسهم لكان على اسوة ابى طالب
الذي كان ينافح عن النبي مع بقاءه على دين قومه او كان على اسوة حمزة
الذي جاءه الاسلام من باب حيمته وغضبه لابن اخيه حين آذاه ابو جهل
وكذلك لم يكن خلافاً بالنبي وسائر بني هاشم لتصلبه في دينه فانه حين خرجت
قرشيس كلهم الى بدر لقتال النبي وهو اكبر جد الهم ولم يبق من شرفائهم احد الا
قد حضر فحينئذ قطع ابولهب ولم يخرج كما سيا نيك تفصيل في الفصل الثامن
فلو كان له ادنى حسنة ونية لمخرج الى بدر كما خرجت كبراء قرشيس ولجأه عن
دينه وكان مثل ابى جهل ذي الحمية الآية الذي قال حين انتهى الناس ببدر ووالا بعضهم
من بعض "اللهم اقطنا للرحم وآمانا بالاعيرت فاحه الغداة" فاحسن قوله وما دله
على شرافته ورعاية الرحم لولا جهالة او كان مثل ابى سفيان الذي حين ضاقت
عليه الارض والى النبي يسأل العفو وصلة الرحم لم يكذب فيما اخبر عن مستكن صدره
من ايمانه بالتوحيد وشبهته في الرسالة فزى بنين الرئيس لقرشيس قائمين
للعرب قائلين فاعلمين ما ليق باحمية والاباء فلم يعاند ابولهب النبي لعصبية
قومية ولا لتعصب ديني حتى يكون ذلك عذرا يعتذر به لقطعه جبال بني هاشم
فلم يبق الا امر واحد وهو انه كان وبناه مع الكفار لما كان ياخذ من اموال
الرفادة ويجمعها لنفسه والى هذا تعرض الآية الثانية وسنذكره في تفسيره

وَلَوْلَا عِلْمُ النَّاسِ بِدَيَاتِنَا نَفْسَهُ وَجَمْعُهُ الْمَالِ مِنْ حَسَدِهِ لَمَا اتَّهَمُوهُ بِسُرْتَةِ غَزَالِ النَّهْبِ
الَّذِي كَانَ فِي الْكَلْبَةِ مَعَ كَوْنِهِ مِنْ أَشْرَفِ بَيْتِ الْعَرَبِ الْمَشْهُورِ بِالْجُودِ وَالْكَرَمِ
قَتْبَيْنِ لَنَا مَا ذَكَرْنَا إِنْ أَبْالِبَ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبَاءٌ أَوْ ابْنٌ أَوْ جَاهِلٌ وَلَا رِيَاةٌ
أَوْ سِيَانٌ فَيُبْغِضُ النَّبِيَّ وَيَخَالِفُهُ لِذَلِكَ بَلْ كَانَ أَشْرَبَ قَلْبُهُ لِبُغْضِهِ وَعُتَاؤُهُ
بِالنَّبِيِّ لَمَا كَانَ يَأْمُرُهُ بِالْجُودِ وَدِينَهَا عَنْ الْبُخْلِ وَيُخِضُّ عَلَى الْبِرِّ بِالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ
وَنُفْكَ الرِّقَبَةِ وَالطَّعَامِ فِي يَوْمٍ ذِي سُنْبَةِ عَلَى سُنْبَةِ عَلَى سُنْبَةِ بَنِي هَاشِمٍ الْبَاقِيَةِ مِنْ
جَدِّهِمْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَرْكِيَّةً لِنَفْسِهِمْ وَالْإِعَادَةَ تَحْتَ وَلايَةِ الْبَيْتِ فَكَانَ
قَوْلُ النَّبِيِّ يَقَعُ عَلَيْهِ كَمَا يَحْمِلُهُ غَيْطًا لَمَا كَانَ يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ اسْتِخَانَةً وَالشَّحْمَ فَلَمْ يَكُنْ
مُشْرَكَاً مَحْضًا بَلْ زَادَ عَلَى شُرَكَائِهِ الْإِعَادَةَ وَالْبَطْلَانَ الْخَصَالَ الْخَيْرِ وَالْكَرَمِ وَقَدْ أُلْغِيَ
بِأَحْيَاةِ الدُّنْيَا حَبًّا ذَكَرْنِي سُورَةُ الْهَمَزِ . فَكَانَ الْكِبَرُ خَصْمًا هَذِهِ الْبَشَّةُ
وَرَسَّ أَعْدَاءُ الصَّلَاحِ دَسْكَارُمُ الْإِعْلَاقِ كَمَا أَنَّ الْكِبَرُ أَصْدَقَ هُنَا مِنْ كَانِ
اسْتِخَانًا وَاتَّقَاهَا وَتَفْصِيلُ ذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ وَالْبَلِّ .

السبب الثالث لذكره بما وردت له مخالفة الاسلام

٢٠ ومثل ما استدلنا من منصبه وخلقه نستبسط من أفعاله في مخالفة الاسلام
فانه كان اول الكافرين لما انه باور الى خلاف النبي حين قام اولاً بالدعوة
قبل ان يخالفه احد بل انهم كادوا يذعنون لقول النبي لا نهم لم يروا منه الاكل خير
فكان ابو لهب هو الذي صار سدا دون الاسلام فانه هو الذي نفّرهم عنه وافسد
قلوبهم وبيان ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امره الله بانذار قومه وصعد الصفا
ونادى منه قائلاً "يا صباحاه" واجتمع اليه اهل مكة فقال "اني لكم نذير بين يدي عذاب
شديد" قال ابو لهب "تالک الهندا وعوتنا" ثم لما امره الله بانذار عشيرته

الاقربين ودعاهم واطمئنتهم حتى اذا فرغوا منه دارا النبي صلى الله عليه وسلم
ان يكلّم باوره ابولهب قائلا "لقد مسحكم صاحبكم" ففترق القوم ولم يكلّمهم النبي
صلى الله عليه وسلم بنظم لما ينس النبي عن قومه انخاص وجعل يعرض نفسه على
قبائل العرب في ايام الموسم يدعهم الى الايمان بالله وهداه كان ابولهب
يقول من خلفه "يا بني فلان ان يدايدعوكم الى ان تسلموا اللات والعزى من
اغناكم وحلفاءكم من ارجمن من نبي مالك بن ائيش الى ما جاء به من البدعة والضلالة
فلا تطيعوه ولا تسمعوا له" وهكذا كان امره في عداوة الاسلام وتقيظ من ظهوره
حتى مات غيظا وخفا كما سنذكره في تفسير الآية الثانية

السبب الرابع لذكره من جهة قرابة القميّة بالنبي صلى الله عليه وسلم

ه قد اتضح ما تقدم سبب خصوصية ابي لهب بالذكر دون سائر الكفار
على وجه يدل على مناسبة السورة باقربها وعلى انها ليست بدعاء عليه ولا شتم
لخالقه بالنبي والآن نذكر ما يؤيده ويزيد عليه معنى البراءة من اعداء الله
والاعتصام بالتوحيد والانقطاع الى الرب فهي تهديد للاخلاص الذي اعلنه في
السورة الثانية وبيان ذلك ان الله تعالى اذ خص بصراحة الذكر هذا عم النبي
دون سائر الكفار مع شدة اذيتهم اياه علناه انه ضرب مثلا لآزر لعنم
ان من قطعته اعماله عن رب لن تنفعه قرابة الصلحاء حتى النبي الحبيب كما قال تعالى
[لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيمة ليفصل بينكم والله بما تعملون بصير]

قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا للقوم انما ابراهيم
نكم ومما تعبون من دون الله كفتناكم، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء

اباء حتى تومنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لايه - لا استغفرن لك
وما املك لك من الله من شيء ، ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك
المصير] وايضا [وما كان استغفار ابراهيم لايه الا عن موعدة وعدها
ايها فلانين له انه عدل تبرء منه ان ابراهيم لاواه حلیم [فكلما تبرء
ابراهيم من ابيه بعد اتمام الحجج وافراغ الجهد في النصيحة له فكلذ لك هذا
البنی صدع بالحق خلاف عمه بعد اتمام الدعوة ولزوم الهجرة وهذا
عليه فانه عليه السلام كان على غاية الرحمة عموما وبذوي القربى خصوصا كما علمنا
من احواله وكان يستغفر لهم حتى نهاه الله عنه فهذه السورة تمثل بين ايدينا
غنيمة من بطشه تعالى عما قريبا لنبی کریم اذ عصى الرب وتماهى في طغيانه
فبدان من ذلك ان الله تعالى هو الحاكم والا مركة بيده وهو قائم بالقسط
لايراعى الوجوه ولا يحكم الا بالحق فوجب ان نعصم به ونتوكل عليه ولا نقتصر
بوسائل كاذبة فانه لا وسيلة اليه الا بالرضا ولا شفاعة الا باذنه فهو الغني
الموحد المقترد كما قال [قل هو الله احد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له
كفو احد] فان المبطلين زعموا ان له اباء فيشفعون لعبادهم كما حكى الله تعالى عنهم
[فانهبهم الا ليقربونا الى الله زلفى] فها ذكر الله تعالى من عاقبة ابي لهب دل
على قطع جبال واهته فهذه الجهة اتصلت السورة بما بعد ها .

سر والاوله على ان هذه السورة اخبار ونبوة لا دعاء ودوم

٤ فبما اتضح لنا التأويل الصحيح لا نرمي سبيلا الى اختيار قول من قال
ان هذه السورة نزلت شفاء لغيط النبي شتم ابا لهب وامرته لما
انه شتم النبي حيث قال له "تبا لك الهذا دعوتنا" لاشك ان ابا لهب

حينئذ خاطب النبي بالسفاضة ولكن القرآن يأمركم من الخطاب والصغ
 عن السفية كما قال [ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة و
 جادلهم بالتي هي احسن] وقال [فاصدع بما توعد] واعرض عن المشركين
 انما كلفناك المستهزئين [وقال] ان الساعة لا تاتي فاصنع الصنع اجميلا [
 وقال] فاصنع عنهم وقل سلام فسوف يعلمون [وكذا اثني على عباد الرحمن
 بقوله] واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما [وكذلك على ابراهيم حيث قال كي
 معا ورتة باية آزر [قال] اراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم اللئ لم تنته
 لا رحمتك واهجرني مليا . قال سلام عليك ساستغفر لك ربى ان كان حفيّا .
 وقد امر الله النبي باتباع ابراهيم عليها السلام ولبثه على خصاله وامره بالصبر
 على قولهم كما قال تعالى [واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرة اجميلا] . ثم لو اراد الله
 شفاء غيظه باشتم لما نهاه عن شتم الكفار وقد ضاق صدره بالخزن حين مثله
 حمزة جيب النبي واخاه من الرضاة وعمه وتكواراد النبي شفاء صدره لما
 عتق اهل مكة يوم فتحها ولما نبى المسلمين عن الاساءة بهم . واما ايقام بالمتدين
 ان كثرين العهد فذلك لا قامة العدل وتطهير الارض من الفساد والفاشة
 ومن تتبع احكامه في ذلك علم انه لم يقيم نفسه ابا و كان يرجع اللينة على النلطة
 شئ امكنه . وتكواراد الله ورسوله شتم احد من الكفار بعينه كان ابو جهل و
 عبد الله بن ابي راس المنافقين اتى بذلك . ولما ترى القرآن يذم الكافرين
 الاكثية مطلقة غير موسومة وما ذاك الا شل ذم الصفات المطلقة . وكذا علمنا
 بن تعريضات النبي عليه الصلوة والسلام فكان يقول ما بال قوم يفعلون كذا
 وكذا . وقد جاء من صفته في الكتب السابقة انه ليس بصحاب ولا ادرى
 لعلها فارقة بينه وبين عيسى عليه السلام الذي تراه يشتم ذلك

من تحريف الضاري وهو امثل ففي نسخة متى ص ٣٢ ع ٣٣ «يا اولاد
 الافاعي كيف تقدرون ان تكلموا بالصالحات وانتم اشرار» وكذلك
 خطابه لافضل خلفاء شمعون الصفا كما جاء في صرقس ص ٣٣ ع ٣٣ «فانتهز بطين
 (اي الصفا) قائلاً اذهب عني يا شيطان»، ولذلك امثال اخر. «ولم يكن
 من خلق النبي صلى الله عليه وسلم ولا يخلق له الا حسن الخطاب لما علمنا من عاقبة
 خلقه فانه كان اشد هم حياء واظهرهم كلاما. واذ لم يتنازل القرآن في ذمه الى
 تسية من كان اكبر الكفار عزرا ونباتة من قواد الجيوش وخطباء القوم وروساء
 الاحزاب نهل يتنازل الى شتم من لم يكن من خصائله الاكل امر خفيف دني.
 ثم هذا التاويل لا يلغى موضع السورة فامى محل للشتم بين ذكر امرين عظيمين
 من فتح مكة والاستغفار والشج والاعلان بالتوحيد الكامل الصريح. وكل
 واحد ما ذكرنا من الوجوه كيفي للصد عما توهموه.

اسباب الوهم في تاويل السورة الى الذم

١ اني لم اجد لتاويل السورة الى الذم واشتم منشأ ما عدا اربعة اسباب
 وكلها ضعيفة غير جدية بالتمسك وانما تذكر باسطة العذر هم وبياننا لضعفها فاول
 ان اباليه قال للنبي صلى الله عليه وسلم «تبارك» فرد الله تعالى عليه بمثل
 ما قال وتقدم البحث على هذا الوجه آتفا فلا تعيده والثاني ان صيغة الماضى
 اما تاتي اخبارا او انشاء ونزلت السورة قبل هلكه فلا تكون اخبارا او الانشاء
 ههنا للغة كما يقال تربت يداه وشلت يمينه. فنقول ان صيغة الماضى اصلها للاخبار
 والاخبار بما يكون عما سيقع وقد قضى امره من عند الله وهذا الصنف انما هو
 انباء من الله يعلن بما سيحدث ومن سرح النظر في اسلوب النبوة

النجرة عما ياتي كما جاء في صفح الانبياء والقرآن راي ان قوله تعالى [ثبت
 يا ابي لهب وتب] ما اغنى عنه ماله وما كسب [اعلان باهر يقع كما قال تعالى
 [اتي امر الله فلا تستعجلوه] وقال يوحنا في مسكا شفاة "سقطت بابل العظيمة"
 مع انها تسقط في المستقبل. ويؤكد كونه خبرا ما جاء بعده من قوله تعالى [سبيل
 نار اذات لهب] وهو خبر لا محالة ويؤكد لك ما اتصل به من قوله تعالى [ما اغنى
 عنه ماله وما كسب] فانه نبوة ايضا كما سيأتيك بيانه. ويؤكد لك السورة السابقة
 جاءت بالاتفاق اخبارا انك ذلك هذه السورة. والثالث حلهم هذه الجملة
 على نظير ما من قولهم "تربت يداه" فنقول ان ذلك لا يثبت دعواهم فان للدعاء
 صيغا مخصوصة ولا يستعملون من التباب للدعاء الا "تبا" ولو سلمنا محيية للدعاء
 ايضا فما كان اشبه بالسياق واقدم في الدلالة واحسن في التاويل
 كان مختارا ولا يصار الا اليه. والدرا بع ان قوله تعالى [حالة الخطب]
 جاء منصوبا لاجل الشتم والذم فنقول ان تاويل النصب الى الذم تاويل مقم
 والصحيح انه منصوب على المحالة كما ستجد بيانه في الفصل التاسع بعونه تعالى. وبعدها
 استيقنا ان هذه الجملة اخبار ونبوة فلنذكر الآن كيف صدقت هذه النبوة في
 ابي لهب.

تاويل الآية الثانية وان النبوة المذكورة في السورة قد وقعت

٨ قد تبين من جهة التاويل ان السورة نزلت على سبيل الاخبار كما نزلت
 السورة السابقة فالآن نذكر من جهة التاريخ كيف صدقت في ابي لهب هذه النبوة
 فاعلم ان يوم بدر كان من اكبر الايام في تاريخ الاسلام. سماه الله تعالى
 يوم الفرقان وانجز فيه ما وعد نبيه من النصر والفتح واهلاك اعدائه كما قال النبي

یومئذ فی دعاء المشهور «اللهم انجز لی ما وعدتني» فأراه الله مصارع کبراء فیرش
فخرج البني یرمی اصحابه مصرع واحد واحد. وذلك لان قریشا یومئذ جمعت
احابیشها و احلافها و قوادها و اشته انهما نضمت علی السلیین اطرافها حتی اطلبت
بیدر کل ما استطاعت من عدد و ما وعد و ما «القت بها انفا ذکبه» الى ان
مثل عباس مع جبه البني لم یسه القمو و عنها نفی ذلك الیوم لم یخرج البولهب
و بعث مکانه العاص بن هشام بن المغيرة و کان له علیه اربعة آلاف درهم فلم یس
بها فاشترى نفسه بال لار جاء له فيه و کذا الجلاء اکبنا و یفعلون و انما كانت
العرب تبجل المال جنة للعرض فرضی بالقمو و خوفا علی نفسه و کمن و وقع علیه و عد
الهلک المتاح لائمة الکفر. فانه لم یلبث بعد ما جاءه خبر بیدر الاسج لیا لیرمی
بالعدسة فمات و ترک ابنه لیلین و ثلاثا ما یدفاه مخافة عد و ابا حتی انتن فی
بیته و غیرها رجل بذک و جاء بهما الی جنة فاعسلوه الا قد قابلما و من لیس
ما یسونه ثم احملوه فدفنوا علی مکة الی جدار و قد فوا علیه الحجارة و واره و
تذف البحارة من اللغة کما یدیه فی تفسیر سورة الفیل فالظر کیف صدق نیه
انه عجز عن الانتصار لم یسک بینه و قد عن الخروج ثم کیف زاد عجزا علی عجزه ان قتل
اکثر اعدائه فان اولعت بالاشارات کفاک ذکک تاویلا لیدین فان العرب
نسبی الاعداء ان ید اشلا قول البني «وهم ید علی من سواهم» و اما ید العلم و العمل کما
قیل فیسید من جنة اللسان و انما هو تفسیر بالرائی المحض. ذکک. ثم لم تکسر قوته و
شوکه فقط بل هک نفسه ثم انظر کیف لم یغین عنه ماله اذا استاجر به من یقاتل عضا
منه ثم لم یغین عنه ماله و کسب اذ رمی بالعدسة فترکوه حتی ترک ابنه و هما کسب علی
رای ابن عباس ان صح عنه فانها خذلاه و قد فوا علیه البحارة و جعل الابن من
الکلب تاویل علی اسلوب توسیع اللفظ بجمع ما یدل علیه مع ابقاء المعنی الحقیقی

فذلك اذ كسب ما كسب تعريض الى ما ليس بآله حقيقة ولكنه كسبه باي وجه كان من
الحلال والحرام والراطين الآيتين على كلا التولين واحد وهو ان ما عمل على
بذه النجاسة والنجل لم ين عن شيئا والاهل والولد والمال من اكبر ما يتولى به دين
المرء كما جاء في القرآن [انما اموالكم واولادكم فتنه] وايضا [ان من اذ واجلكم
وادلاكم عدوا لكم] فان الله وربه يطلبون بعبادتهن جمع المال لزيتهن
فيصيرن سبيها لهن كما يحسن ويدخلن الناسهم نصرا والتاويل ان كلما حبه قوة و
عزة من المال والا ولاء لم ينفعه كما حكى القرآن عن اقرار اشالة [ما
اغنى عنى ماله ، بل كنى سلطنته] وان كلما عمل على الحرام والنجاسة من حب
المال والاهل لم ين عن شيئا حين يطشه ربه وبهذه التاويل ترتبط هذه الآية
بالتى بعد ها كما ستعلم. وثمما تقدم مرتاويل الآيتين الاولين الاكلا ما ليس رانى
سبب ذكر ابي لبس بكينة فذكره فى الفصل الآتى -

تفسير الآية الثالثة وان الحجزاء يشبه العمل

4 اعلم ان الله تعالى قد قضى بان يهلك من يهتك حرمة هذا المسجد الذى
سماه بيته المحرم كما قال [ومن يرد فيه باكاد بظلم نذته من عذاب اليم] وما زال
هذا القضاء يقع فسلب الله النجائين ولاية بيته العتيق ومزق الملهدين الظالمين كل
تخزيق كما مر فى تفسير سورة الماعون . فعلى هذا الاصل بعد ما اخبر عن بلاك هذا
الحائن اخبر عما يصير اليه بعد هذا العذاب الدنيوى فقال [سيصلى نار ذات
لبس] وذلك بان الانسان يحجزى فى الآخرة حسبما عمل بل نفس ما عمل
فيصعد ما حرته ويحجز ما غرسه كما قال تعالى [انما تجزون ما كنتم تعملون] وايضا [ذوقوا
ما كنتم تكسبون] فان صح عندك هذا الاصل تأمل فى احواله وما ذكر من جزاءه

النسبة بينهما. فانما قد علمنا انه كان عاد الطبع تتوقد وجهه كشعلة حتى كنى بابي لهيب
 واشتهرت هذه الكنية حتى غلبت على اسمه عبد العزى. فلو كان عاقلًا قهر نفسه و
 اطعوا سورتها بخصال الكرم والحكم والضيعة للناس لينال الشرف كما قال رسول الله
 وان لم يحل على النفس ضيمها فليس الى حسن الثناء سبيل
 وكما قالت الغناء

هنين النفوس و هون النفوس عند الشدائد ابقى لها
 فان الله تعالى جعل كرامة النفس منوطه بالكره واحتمال المشقة وذلك هو ابتلاؤه
 ولكن بالهيب لم يروا صلاح نفسه الاية اللهيية بل امد لها بما يزيد بها شر من الخير
 والعداوة والحد فكانه نفع في ضررها واشعلها بوتودها. وليس هذا من التحليل
 الباطل فان العرب والعجم شبهت هذه الخصال بالنار ولا سبيل الى مشابهة
 حية ظاهرة فلا بد ان يشبهوا بالنار لما رأوا من تاثيرها فعلنا ان هذه المشابهة
 ما عرفت اكثر العقول. وقد رأينا القرآن كثيرا ما يذكر الثواب والعقاب على صورة
 مناسبة بالاعمال ليشير الى بعض المحقق فمن تدبر ذلك وتأمله ازداد بصيرة وتبين
 عنده ان الشهوات واذا اكلها اشبهت شي بالنار ونظما. والفائدة الكبرى
 من ذلك ان نستيقن بان اجزاء مثل العمل وشجرة فوس بكال عدل الله تعالى
 ونزود معرفته باسمه الحق المبين وخير الحكيم وانه تعالى لا يظلم شيئا كما قال تعالى
 [ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون] فاذا نظرنا في هذه الآية من
 جهة مشابهة الاجزاء بالاعمال لم تزد هذه النظرة الا تأييد لما قد مناسنا من تأويل السورة
 واحوال ابى لهيب والمطابقة بينهما. فقولنا تعالى [سيصلى نار ذات لهب] اخبار
 عن واقعة حق لا محالة عنها،

تأويل الآية الرابعة وذكر الدلائل على ان [حالة المحطب]

بيان حالها يوم القيمة

١٠ اعلم ان معنى الآية الرابعة ان امرأة ابى لهب تصلى نارا ذات لهب وهي حينئذ على حياة امه حمالة للحطب وليس المراد انها كانت تحمل الحطب في الدنيا فان ذلك تأويل بعيد غير صحيح ودلت عليه دلائل الاول ان كلمة [حالة] منصوبة واجتمع المسلمون كلهم على هذه القراءة والقرآن يحفظ الله كونه ولا يعتمد الا على القراءة المتواترة المحفوظة ولا ننكر اختلاف القراءة اذ لم يختلف المعاني فانهم ارادوا بذلك تفسير او تقريبا الى فهم الحطب نقرأ وبالرفع ليدل بوجه آخر على ما يفهم من النصب وانى انفسنا على كلا الوجهين اما وجه النصب فبان الواو في وامرته للعطف اى تصلى امرته مع زوجها نارا ذات لهب وهذا هو الظاهر فان سوت الكلام لذكر صلاتها النار واردة اسما معنى بالنص اولى . وحينئذ نصب الحماله ليس الالهائية واما قول سيويه "بلغنا ان بعضهم قرأوا هذه المحرمة اضبا وامرته حالة المحطب . لم يجعل الحالة خبر المرأة ولكنه كانه قال اذكر حالة المحطب شتما لها" فنقول ان القراءة عند سيويه الرفع وانما ذكر مراد من نصبه فلم يذهب هو الى هذه المراد وس ذكر لك عن قريب يكون التأويل على قراءة بالرفع . واما صاحب الكشاف فقد عذره كلام سيويه والرجل مولى لكل ناد وغريب ولا مولى على ذوقه فانه لم يعجب هذا التأويل الا لكونه شتما فقال "وانما استحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجمل من احب شتم ام جميل" فما اخطاه استعمال الصيغة لفظية وانما سالتقريب الى اكرم وله آدم شتم غيرته فانغرب الصبح عن سخافة قوله . وثمة مرئي الضل

الساوس ما يصدنا عن ارادة اشتم ومرهناك من الدلائل ما فيه كفاية
 ان شاء الله تعالى ويستفح لك ان نضبه على المحالية يجعله اوضح محلا واقرب
 رباطا واحسن تاويلا فلا حاجة الى وجهنا ودر للاعراب اذا هو حال عن فاعل يصلح
 ذات لهب دل على كونها محالة حين تضي النار واما وجه الرفع فلا يصح فيه
 الا ان يكون خبر المرأة كما يفهم من قول سيبويه والواد حينئذ محالة اى يصطلي
 ابو لهب نار اذا ذات لهب والحال ان امرؤة محالة الخطب في جيبها جل من سد
 فمن قرأ بالرفع فسر ما يفهم من الضب ليكلا يتوهم متوهم انه للذم والاشتم
 واما جعل الواد للطف فلا يستقيم لان ذلك لم يكن حالها في الدنيا كما سيايتك
 بيانه وكتبنا عند المعطوفين ولقطع النظم بين الخبرين محالة الخطب وفي جيبها جل من
 سد واما الرفع على الصفة فلا يسيل اليه لان محالة الخطب نكرة لاضافة اسم المبالغة
 الى مموله فهي لا محالة اضافة لفظية فلم تكسب تعريفا للضافات واما الاخبار بحذف
 المبتدأ اى هي محالة الخطب فالخذف خلاف الاصل وايضا هذا الاخبار لا يدل على
 ان ذلك حالها في الدنيا فبقى سبها وبالحكمة كلنا القراءتين تبين حالها في الآخرة
 والثاني ان الآية التي بعد بيان حالتها يوم القيمة كما هو ظاهر مد عليه المفسرون وجوب
 تيمم بوصف محالة الخطب كما يستفح لك من تاويل تلك الآية وحينئذ لابد ان
 تكون المحالان متصلتين في الزمان كقول الشاعر

اشى الى ايسجا صبحا متقلدا سيفاد رمحا

فلا يمكن ان تجعل الامرين في زمانين والثالث ان منزلة قرش كانت
 اشرف من ان تحط بساؤهم ومن له المام بتاريخ العرب يعلم ان قرشاهم
 رساؤها وحكامها لا سيما بعد اميت باسم الذي هو ذروتها وسناها حتى انهم من
 شرافتهم واحسانهم بها كانوا اتحدوا ولادهم مرضعات من قبائل العرب اشتقا

وقال عمرو بن الاطانة الخزرجي

ليسوا بالخاص ولا بلسل اذا ما الحرب ثبتت اشعلوا بالناسل

واما نقل صاحب لسان العرب من قول الشاعر

من البقيص لم تقصط على ظهرك لانه ولم تش من الحي بالحطب الرطب

فلم يسم الشاعر والاستناد بالجهول لا يصح لاسيما في تاويل القرآن وهذا
الملاحظ فيه من العلماء ثم اتى الشاعر بهذه الاستعارة مع القرينة فلا تكون
دالة على ذلك المراد بغيرها. وكذلك ذهب بعضهم الى انها كانت تأتي
بالشوك فليقها على طريق الرسول واصحابه وانه ابو اختيار ابن جرير رحمه الله
ولكنه بعيد فان الذي يلحق الشوك لا يقال له حامل الحطب وايضا انقاء الشوك
في الطريق يودي كل من يمر لا النبي واصحابه فقط. والرابع ان حمل الحطب
لا ثم فيه ولا معرفة من جهة الدين فكيف يعيبها القرآن به وما ذاك من طريقة
فانه قد ذكر كثيرا من عيوب اعداء الله فلم يذكر الا ما كان منبرا عند العقل والتقوى
واما كلته زينهم في سورة ق فكلك ايضا لم يرد بها الا قصد التعليل والتعلق كما بيناه
في موضعه. ونتج هذه الادلة انما اوردناها تهديدا لكيلا تمنك مخالفة الشكوك عن تصحيح النظر في
الدليل الحقيقي المعتمدين وذلك ما سيا تيك من تاويل هذه الآية فان حن الربط
والمنى اثبت ما يستدل به وايضا رايه.

الحكمة في ضرب امثال النساء عموما وامرأة الى لهب خصها

الا قد بينا في الفصل السادس انه لا سبيل الى ارادة الشتم والذم لامرأة
بعينها لانهما آذت النبي واصحابه وتوكلنا نزل القرآن الى مثل ذلك. عاشاه
لكانت اليهودية التي جعلت السم في طعامه اذ لي بذلك والذين اخرجوه من الطائف

بالرغم والشتم فما شكا الا الى ربه وما ارتقى والطف قوله هناك ابو جهل و
 اصحابه الذين كان من عادتهم الطعن فيه فهو لا وكانوا اولى بالظن ولكن حسن القول
 احب الى الله ورسوله . واذ لم يشتم القرآن احد من رجالهم قبل يشتم نساءهم
 فذرع عنك هذا وقد مر فيه الكلام من قبل ولكن اتس الحكمة في ذكر هذه الامثلة و
 قد سمى الله القرآن حكيمًا فخا ظلم من لم يطلب الحكمة منه فاعلم ان الله تعالى ذكره
 كتابه بعض الاقوام والافراد وشر بهم مثل الخيرون الشر لنتقط بما اصابهم من النعمة
 والنفقة وكما ذكر بعض الرجال فذلك ذكر بعض النساء لان المثل يقط بالمثل
 وايضا فان من خصال الخير والشر بعضها ادلى بالرجال وبعضها بالنساء فلا بد من
 ذكر كلا الصنفين ليتم النصح والتبليغ ثم يضرب امثاله من نبينا القرآن على خطر منزلة
 النساء لما يجلبن على الرجال من السعادة والشقاوة فان خصالهن تسرى ويترى
 في ازواجهن واولادهن والناظر في تاريخ الامم ربما يتبع اسبابا لكبار الامور
 فيجدها متساوية الى خيوط يغزلها غزال متقن فلو ترك ذكرهن فانتاب باب عظيم من
 دقائق الحكمة فمن تأمل امثال القرآن واستنبط خصائص الاخلاق واثار بعضها
 على بعض ودار به في النفع والضر علم ان من اخلاق النساء ما يتعدى شره
 الى اخلاق ازواجهن وذلك انراطين في الشح وحسب التزين فان ذلك
 يحمله على ان يسيو لهن المال من اى وجه كان ولا ينفقه في الحقوق النوايب
 ويجعلوا المال الذي يوتياهم الحيوة والنجاة معكونا على اجابهن فيصير كما آسن
 قل خيره وكثر شره . الا ترى كيف كره الله تعالى الى ازواج النبي زينة السيوة
 الدنيا والظن فيه فاهم لطيف في امر آخر حتى جعلها من امور الجاهلية والرجس
 محرمين حسب التزين غلة وحيوة ليجن المال بل الشح طبيعة مستقلة فيهن ولذلك
 يصرفن ازواجهن عن الجود وقد صرح القرآن بذلك حيث حذرنا عن اطاعتين

اذا من عن اهل النفاق في سبيل الله ومع ذلك امرنا ان نعلمهم بالعفو والصفح
 فان ما يصلح كله يد ارسى به فقال تعالى [يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم اولادكم
 عدوا لكم] انما ضم الاولاد دين لان جميع نجل كما قال النبي "الولد منجاة مجنة" وليس المراد
 انهم يامرون بالنجل قولاً فاحذروهم (اي احذروا عن شدة يصيبكم من جهتهم)
 وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم. فالتقوا الله ما استطعتم واسمعوا و
 اطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون [ولكن لك
 العرب تذکر كثير اغل النساء على البحر مثلاً قال حاتم الطائي

وما ذل بيت بليل تلومني وقد غاب عيوق الشرا فعدوا
 تلوم على اعطائي المال ضلة اذ اضمن بالمال النجيل وصردا
 تقول الا اسك عليك فانتى ارى المال عند الممسكس مبعدا
 ذريني مكن مالي لعرضة جنة يقى المال عرضي قبل ان يتبددا

وقال ايضا

وما ذلتين هبتا بعد هجعة تلومان مثلاً فامفيدا ملوما
 تلومان لما غور انهم ضلة فنتى لا يرى الا طاف في الكهنة

ذلك وقد مر في الفصل الثالث ان نرة الى الهب لم تامة من وجه سن
 وان حرصه للمال وتهيأ له عليه قد ار كبه اكبر الشنا نفع فخان الله وقطع الرحم وعادى
 النبي وامتلاً غضبا حتى مات بغيلة فان تبينت بذه الامور واحضر تها في عقلك
 جملة ثم رايت ان الله تعالى اشرك امرءة في عدا به لم تشك في انها قد شاركتني
 اسبابه بان حرصه على كسب سئ لتبشيرين به ولترفع غفها بين النساء تها فكانت
 تمنه عن الانفاق فيما يجب عليه فان الله تعالى لا يشرك نفسا بنفس ان لم تشك
 في العمل ثم ما ذكر الله تعالى من حالها يؤيد به التاويل ويوضح انها حلة على نصا

السوء وسياتيك بيانه في الفصل الآتي . فكلما ان الله تعالى ضرب بالهيب
مثلا للرجال ضرب امرأته مثلا للرجال والنساء معا لينهتين عن الشح وحسب التبرج
وينتهون عن فتنه ازواجهم واطاعتهم اياهم اذا سادون عن افعال الحق والافتقار
في سبيل الكارم . ولا يستصغر احد امر الشح فانه ينبج اكثر السيئات . ليس
خدا الزكاة التي هي نصف الاعمال الصالحة اليس قد جاء في القرآن [ومن يوق شح
نفسه فاولئك هم المفلحون] وقد انقضت عدة سور على ذكره مثل سور الطيف و
الكافر والهمزة ولم يقتصر على التوحيد الاسورة واحدة فدلنا على عظم اثمه وشدة الحاجة
الى النظر فيما مر من الاسراف في زينةهم والجل عن الحق الواجبه وما
اوجبا الى هذا النصح لان الناس يظنون مساعدة منهن على المصالح ولذلك سماهم الله
فنته واعداءه اذا نمت عن الخير .

الحكمة في وصفها بحالة الخطب وان اجزاء شبه العمل

١٢ | علم ان القرآن كثيرا ما يذكر للمؤمنين المستكبرين عذاب الهمون و
والذلة فان ذلك اشد وقع عليهم كما قال الحماسي

بضرب فيه توبين وتخضيع واقران

فانهم قالوا ان رولا العار فانه هم الله تعالى بان لهم النار والعار معا كما قال تعالى
[فاليوم تجزون عذاب الهمون بما كنتم تستكبرون في الارض وبما كنتم تفسقون]
واليفضا [سخمه على اخر طيم] واليفضا [ذق انك انت العزيز الكريم] وكذلك
يذكر اجزاء مناسبة بالاعمال ليكون عين العدل وقد ذكرنا في الفصل الثامن
ان الهيب بحر صمد الشديده وعداوته بالهيب وحده عليه جعل نفسه كنار ذات
هيب وقد مر في الفصل العاشر ان امرأته حمت على تلك الشئ لما كانت

تجب البرج بزئيتها وعليها ولذلك اشركها الله تعالى به في الحساب لقوله [سبح على
 نار اذات لهب وامرأة] فلما ذكرها بقوله [حالة الخطب] ولنا على مناسبتها
 اجزاء بالعمل بوجه - وهي انما تحول من الشرف والترفع الى الذل والهينة
 وان عليها التي كانت تفخر بها تصير عليها طلبا فان الخطام الديوي وزخرها شبه
 نسي بابشيم فتصير كمن يحمل الخطب لتصير النار التي يلقى فيها او كمن يحمل جذعا ليصيده
 عليه وهذه اقوله تعالى [يحملون اوزارهم على ظهورهم] الاساء ما يرون [وانها لما
 حملت زوها على خصال اضرست النار التي كانت في طبيعتها فكانها التي حملت اليها
 الخطب فاشتعلتها فاقضى عملها في الدنيا ان تبعث على هياة عمالة الخطب وقريب
 ما قلنا ما روى عن سعيد بن جبيرة ان المراد ما حملت من الاتمام في عبادة الرسول
 لانه كما خطب في تصيرها الى النار، وقد مر ان جزاء الى لهب كان مناسبا
 بحالة فكذا لك راعى المناسبة حين اخبر عن حال امرأته ولم يقتصر على ذكره
 الصفة بل اوضح بالآية المناسبة تصوير الامة المحتطبة كما سنذكره الآن .

تأويل الآية الخامسة وربطها بما قبلها

لما كانت آية [في جدها جبل من سد] تبين حاجتها التي تكون يوم القيمة قال
 بعض اهل التأويل ان المراد من [جبل من سد] ما ذكره القرآن من احوال الكفار
 حيث جاء [في سلسلة ذرعهما سبعون ذراعا فاسلكوه] فليس انهم بدوا معنى السد
 ولكنهم اولوه الى ما يشبه احوال المغذيين ولكن اللفظ لا يصرف عن معناه الظاهر
 من غير ضرورة ولذلك نسر الآخرون حسب معناه الحقيقي فان اللفظ معلوم مستعمل
 في كلام العرب اسما وفعلًا، فالسد في اللغة ليف او غصن او حيا، يقتل منه الجبال
 انخسنة ولذلك يشمل لكل جبل خشن سواء كان من ليف ومثله او جلد وكثرة
 استعمال السد للجبل البكرة تدل على ان السد به اسم الجبل الغليظ يقال سد الجبل

أي قلنا غلظا فأتى ويل الطاهر أنها إذا جاءت يوم القيامة كان في عقابيل
 حشن غلظ غلظ ما يكون في اعناق الاماء الكاطبات ولهذا الزيادة فوائد
 فان فيها توضيحا لصورتهما التي ذكر في كلمة [حمالة الحطب] وتوضيحا للذلت التي تصير
 اليها وتبنيها على الموافقة بين الاعمال وتبعاتها فان السعط والقلادة التي كانت
 تتحمل بهاني الدنيا تقلب يومئذ جلا خشنا فتصير يومئذ مثل ان تخرج للحطب
 واذ المرأة المحتالة لا تقنع بحض الزينة بل بجهد فتناسب حالها ان يكون جلا غلظا
 واثمارة كلمة [جيدا] بل غلظا يدل على ذلك فان الجيد يستعمل في مواقع الحسن
 واليه كقول امرئ القيس

وجيد كجيد الرقيم ليس يفاحش اذا هي نصته ولا بمنطل

او كقوله جع بجيد سم في العشرة مخول

فلو لم يرد ما ذكرنا لانحار العنق فانه اشبه بجبل من مسد وادق بجمالة الشدة
 والخلطة كما ترى مثالي قوله تعالى [فطلت اغناكم بها خاضعين] ايضا [انا جلنا في
 اغناكم اغنا لا] ولولا ارادة ما ذكرنا من التوجيه والتصوير والنبية لما كان ههنا فتح
 لذكر الجبل من المسد في عقابها ثم الفواصل السابقة تقتضي كلمة آخرها حرف الباء
 فلو اراد محض شدة العذاب لم تضق لغة العرب مع سعتها وكثرة اساليبها عن اتيان
 فاصلة مشابهة لعدم مراعاة الفواصل السابقة يدل على محي هذه الآية لغاؤه تمام البيان
 وذكر امر واقع وتنبية على توافق السمل والجزاء كما ذكرنا

زمان نزول هذه السورة وفائدة العلم به

١٣ لم يأتنا الخبر بزمان نزول هذه السورة عن الذين شابهوا نزولها ولكن
 روى لنا من السلفاء المتعلمين انها نزلت بكاء ولسل ذلك لما جعلوا باجوابا قبل

ابی لهب وکان ہلاک ابی لهب بعد واقعتہ بدر فلا شک انہا نزلت قبل ہلاکہ
 وکذا فیہم من اسلوب الکلام فانه لو ہلک قبل نزولہا لکان وجہ القول "الم تر
 ثیف تبیت ید ابی لهب" او مثل ذلک فلا شک انہا خبرت من قبل عما وقعت
 والروایۃ واقعت ما فیہما من اسلوبہا ونفس عبارتہا ثم نقول انہا لم تنزل فی
 ادائل البعثۃ کما تبیان فیہا وراویہ من یظہرہا بالاشتم ابی لهب فانه ظن باطل کما مر بنا
 فاذا ہی لیست بجواب لقولہ ہل ہی نبوة و اخبار فلا شک انہا نزلت بعد ان شہد
 احوال ابی لهب باصرارہ علی الکفر فحینئذ تمت علیہ الحجۃ وجب اعراض النبی صلی اللہ
 علیہ وسلم عن خطابہ کما مرہ اللہ تعالیٰ بقولہ الحکیم [فاعرض عن تولی عن ذکرنا ولم
 یرو الا حیوۃ الدنیا ذلک سبلہم من العلم (اسی لایتجا وزون ہذا الحد من العلم لہم
 ما ہو فوق حیوۃ الدنیا) ان ربک ہو اعلم بمن ضل عن سبیلہ وہو اعلم بمن اہتدأ
 ای انما یرک اللہ تعالیٰ بالاعراض عن ہولاء الذین ولت احوالہم وشہدت
 اتواہم علی اصرارہم بالکفر ونفرتہم عن دار الاخرۃ فلا تطع فیہم ابدیۃ
 بعد ما خبرک ربک بانہم لایہتدون فانه تعالیٰ جعل لکل شیء سبباً و لکل امرئ ما
 فلا یسأل بالکافرین بعد ما اتم علیہم الحجۃ و اہملہم مدۃ للتوبۃ کما قال تعالیٰ [ادلم
 نعمکم ما یتذکر فیہ من تذکرہ جاءکم الذکر] فبعد مدۃ المدۃ وتبین شقوتہم یمنع اللہ تعالیٰ
 نبیہ عن اضاعتہ الوقت بہم والدعوة لہم کما قال تعالیٰ [ماکان للنبی والذین آمنوا
 ان یتغفروا للمشکین ولوکانوا اولی قربی من بعد ما تبین لہم انہم اصحاب الکجیم
 (تجعل مدۃ یتبین فیہا للمسلمین انہم من اصحاب النار) و ماکان استغفار ابراہیم
 لابیہ الا عن موعدۃ وعدہا لایاہ فلما تبین لہ انہ عد ولید تبرء منه ان ابراہیم لا واد
 حلیم] [فبعد ما استبتن ابراہیم انہ لایہتدی ابد تبرء منه الا تری ان اللہ تعالیٰ
 قد اہلک الکافرین وعدہم فی الدنیا فہل لاحد ان یقول انہ کان ظالم لکان توبتہم

فيما بعد لا نأقول انهم غدوا واكلوا ابدان تبين انهم لم يكونوا يومئذ اكلوا قال تعالى
 [ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم بالبينات وما كانوا يؤمنوا]
 اسی لم یبق رجاء ایمانهم فی المستقبل . وذلک بان آیات اذ ازرکبها
 الانسان تمدا وشرح بها صدره وادخرها و قوی سلطانها حتی انها تحیط بصاحبها
 و تصد علیه ابواب الهدایة فلا یکنه الخروج من ظلمات الضلالة و تجری علیه سننہ اللہ
 الی ربط الآثام بالاشیاء فلیس ان اللہ تعالیٰ اخذ من قبلہ بل الانسان نفسه تمسک
 بسبب الضلال كما قال تعالیٰ [فما کان اللہ یظلمهم ولكن كانوا انفسهم یظلمون] وقد صرح
 القرآن کثیرا بتوقع نتائج آیات من الضلالة و الزیغ و القساوة و الشقاق . كما
 قال تعالیٰ [و ما یضیل بہ الا الفسقین] و ایضا [فلما زاغوا عن الاغواء اللہ قلوبہم] و ایضا
 [فما نقضهم ميثاقهم فجعلنا قلوبہم قاسیة] و ایضا [ففسوا خطا ما ذکرنا به فاعزینا
 بینہم اندادۃ و البغضاء] و ایضا [کلا بل ان علی قلوبہم ما کانوا یکسبون] و ایضا
 [فأعقبہم نفاقا فی قلوبہم الی یوم یلقونہ بما اخلفوا اللہ ما وعدہ و ما کانوا یکذبون] و ایضا
 [و ما کانوا یؤمنوا بما کذبوا من قبل کذ لک یطیع اللہ علی قلوب الکفیرین] و ایضا [ذرہم
 یا کلوا و یشربوا ولیہم الامل فوسف یعلمون] و جملة الکلام ان اللہ تعالیٰ بعد اتمام
 الحجۃ یصرف الدعوة عن المصرین و یامر البنی ان یرض عنہم فان کلمۃ اللہ اب
 قد حقت علیہم كما قال [ذرہم ینحوضوا و یلعوا حتی یلاقوا یومہم الذین یوعدون]
 قتیس مما قد ثمان السورة لم تخبر عن ہلاک الی لبس الا بعد ان آیس
 البنی فاعرض عنہ و کف عن دعوتہ و السورة ایضا لا تنالہ و لا تدعوہ بل تمسک المسلمین
 بہلاک اعدی عدوہم كما سبق . و ہذا القدر یشکی لنا من العلم بزمان نزولہا سواء نزلت
 بکثرۃ قلیل الحجۃ و بالہدیتۃ بعیدہا و فائدۃ ہذا العلم تطہر لک فی الفصل الآتی .

لادلالة في السورة على تكليف بالالفاظ

١٥- قد تمسكت الاشاعرة بهذه السورة في وقوع تكليف الله عباده بما لا يطيقون خلافا للحنيفة وبعض الاجلة من الشافعيين كالامام ابي محمد الاسفرائيني والامام ابي حامد الغزالي رحمهما الله واما قالوا بذلك سجد الهم بالمعتزلة الذين يقولون ان العدل واجب على الله تعالى فاشتمأزت نفوس اكثر فرق اهل السنة عن شناعة هذا الايجاب فقالوا ان الله تعالى هو الحاكم ليعمل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو الذي خلق كل شئ قبل ان يوجب عليه مخلوقه حكما ويقضي عليه قضاء وبلغ انكارهم بقول المعتزلة كل مبلغ كما تكون نتيجة الجدل والخصام فتمسكت الطائفتان بكل غث وسمين والزموا خصمهم بالزم وما لم يلزم ولان هذا الخلاف فرع من خصامهم في مسألة العدل فعليه استمر اللجاج واسطر الججاج فلا يتضح الحق فيه من الباطل الا بالكشف عن اصل بحث العدل وفروعه وهذا المقام لا يتحمل فلنكتف بهنا بما يتعلق باستدلالهم بهذه السورة.

فأعلم ان الامام ابا الحسن الاشعري رحمه الله استدلل بما اخبرت به هذه السورة على وقوع التكليف بالالفاظ فقال رحمه الله تعالى في كتابه المسماة بالابانة " ويقال لهم اليس قد قال الله تعالى [تبت يد ابي لهب وتب . ما اغنى عنه ماله وما كسب . يصلى نارا ذات لهب] وامره مع ذلك بالايان فواجب عليه ان يعلم انه لا يؤمن وان الله صادق في اخباره عنه انه لا يؤمن وامره مع ذلك ان يؤمن ولا يجمع الايمان والعلم بانه لا يكون . ولا يقدر القادر على ان يؤمن وان يعلم انه لا يؤمن واذا كان هذا هكذا فقد امر الله سبحانه ابا لهب بالالتقيد عليه لانه امره ان يؤمن وانه يعلم انه لا يؤمن . ولا يخفى ان بناء هذا الاستدلال على فرض امرين : الاول كون ابي لهب نكاحا لعابده

السورة وما مور باليقين بانه لا يؤمن وآلت في نزول هذه السورة قبل تبين
 اصراره واعراض النبي عن دعوته وكلا الامرين مدقوخ كما مرني الفصل
 السابق فالاستدلال مختل في مادته . هذا اذا والامام فخر الدين الرازي
 رحمه الله هذا الاستدلال قوّة من جهة الصورة فانصره في قالب الجمع بين النقيضين
 ليسين كونه محالاً بالبداهة والمحال لا طاقته عليه واذا مر الله بالحال فلا بد انه كلف
 بالالفاظ فقال رحمه الله « اتج اهل السنة على وقوع تكليف بالالفاظ
 بان الله تعالى كلف بالالباب بالايان ومن جملة الايمان تصديق الله في
 كل ما خبر عنه وما خبر عنه لا يؤمن وانه من اهل النار قد صار مكلفاً بانه يؤمن
 وانه لا يؤمن وهذا التكليف بالجمع بين النقيضين وهو محال » وذكر من جانب المعزلة
 جوابين مبينين ثم ردهما وقال في الآخر « هذا الاشكال قائم نقول ان الاستدلال
 على جمع النقيضين ساطع من وجوه الاول انه لا يتم الابدان ثبت ان الله
 حين انزل هذه السورة كان قد سبقه البولي بـ مكلفاً بالايان ولم يستحق الاعراض
 ثم انه لا يتم الابدان ثبت ان الله تعالى خاطبه بهذه السورة وقد بينا في الفصل السابق
 ان الله تعالى امر نبيه بالاعراض عن اصره استكبر فللخصم ان يمنع كون الالباب
 حين انزلت هذه السورة مكلفاً بتكليف تكلفين والثاني بان الخصم لا يسلم
 كون الكفار مطالبين بحجيات الاحكام الابدان يؤمنوا بكلمة التوحيد والطاعة جملة وجنّة
 يكفون بالايان التفصيلي ولذلك قال تعالى [يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله
 والكتب الذي نزل على رسوله والكتب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وكتابه
 وكتبه ورسوله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً] فان سلم كونه مكلفاً بالايان
 انا جمالي لا يسلم كونه مخاطباً بهذه السورة ومكلفاً بالايان فايها فلا جمع بين النقيضين
 والثالث ان القرآن لم يخبر بانه لا يؤمن ولا بانه من اهل النار انما اخبر

بأنه يصلى نار اذا ات لهب ومحض صلاية النار لا يستلزم انه لا يؤمن وانه
 يخلد في النار. والرابع انه لو سلم ان القرآن انجربانه من اهل النار فهل
 هذا انجربعين انجربانه لا يمين. آليس ان الكفار يؤمنون يوم القيمة ومع ذلك
 يؤقون بانهم اهل النار وذلك بان الصديق يتبع الدلائل فاذا تبنت الدلائل
 الامر على ما يؤمن به صدق به ومع ذلك ان تبين له الدلائل على استحقاقه
 بالنار الاقن بأنه يذللها. انظر كيف اجاب الله تعالى فرعون حين آمن واسلم
 حيث ذكر القرآن [حتى اذا درك الفرق قال آمنت انه لا اله الا الله
 آمنت به بنو اسرائيل وانا من مسلمين آلن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين]
 فما اجابه الله بانك لم تؤمن ولم تعلم بل بأنه تعالى لا يقبل الآن منه ايمانه ولا
 اسلامه ونشد قوله [يخلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا ير
 عن القوم الفاسقين] فان بين الفعل وبين كونه مقبولا فرقا والعبد انما يكلف
 بفعله لا بقوله وجلة الكلام انه لو كان بين دخول النار والايمان ساقطة لما
 ابدوا وقد رأيت اجتماعهما ولو في بعض الاحوال فارتفع التناقض. والخاص
 انه ان سلم ان القرآن انجربانه لا يكون مومنا وانه يخلد في النار فهل كلفه الله بالايمان
 بالله ورسوله والطاعة ام كلفه بان يستيقن بأنه مومن وانه لا محالة مبعده من النار
 فلما تناقض. فان قيل سلمنا ان الايمان نتيجة الدلائل ولكن العمل الصالح لا بد له
 من رغبة وبعد ان انجربه الله تعالى بأنه من اهل النار اى نفع يرغبه الى العمل
 الذى هو مكلف به فلما ان رجاء النفع غير منقطع فان للعقاب مدارج فان عمل
 صالحا نفعه بعض النفع ولو في الدنيا او في القيامة بخفض التحفيف الا ترى ان المرض
 الذى لا يزيل رجا يادى لتقليل المه ثمة العمل الصالح جيل بذاته واليضا
 يجلب حسن الثناء فدلائل القرآن تثبت عليه ما يؤمن به ورجاء بعض النفع

یوجب علیہ العمل وان یقن بانہ غیر داخل فی المؤمنین المقبولین . فقلنا تبیین
 لما سبق ان ہذا الاستدلال لایتم الا بعد فرض الاولیل علیہ بل الاولۃ خلافہ .
 ثم نقول لاتناقض بینہما مع تسلیم ما فرضہ المستدل من التکلیفین فان قولہ
 ”فقد صار مکلفا بان یومن وانہ لایومن“ منالطہ . انما کان مکلفا بان یومن لا بانہ یومن
 و بینہما فرق عظیم فانہ لم یکلف بالایمان بانہ یومن انما کلف بان یومن اسی بالایمان
 بما جاء بہ البنی وبالایمان بانہ لایومن و ہذا ان الایمانل لاتناقض فیہا وکذلک لاسناقضۃ
 فی الاخییر ایضا کا ہونظاہر الاتری الکفار فی حالتہ کفر ہم کلہم یومنون بانہم لایومنون
 نقین ان دعوی جمیع النقصین لاتصح ولقی الاستدلال علی حالتہ الاولی کا
 تمسک بہ الاشعری رحمہ اللہ فی الایمانہ . وجوابہ ما ذکرناہ آنفا من التخلل فی
 مادۃ اصل القضية التي فرضہا المستدل من کونہ مخاطبا بان یومن ومع ذلک
 مخاطبا بالایمان بکفرہ . ودخلہ النار فان ہذا الخبر جاء بعد ما عرض عنہ و ترک
 کا مینا فی الفصل السابق . وجملة کلام ان ہذہ السورۃ لاشتمک فیہا
 لمن یدعی بوقوع تکلیف اللہ عبادہ . لیسئل لایطیقونہ واما اصل المسئلۃ فمبسوطۃ
 فی موضعہا والنزاع یرجع الی محض اللفظ والاشعری رحمہ اللہ تعالی
 ارنع عن القول بما ینسب الظلم الی اللہ سبحانہ و تعالی عن قول
 الظالمین . و ہذا آخر ما اردت ذکرہ فی تفسیر ہذہ

السورۃ حسب نہی القاصد اللہ تعالی یرہدی سن

یشاء الی صراط مستقیم و الحمد

مد رب العالمین والصلوۃ

علی رسولہ محمد وآلہ

وصحبہ اجمعین